

- ١ مقدمة
٦ تمهيد : احوال مصر قبل الفتح الاسلامى

الباب الاول

١٢ العوامل المؤثرة فى التمريب فى مصر الاسلامية

- ١- موقف المصريين من الفتح العربى وأثره فى اقبالهم على
الاسلام والتمريب ١٣
٢- القبائل العربية الوافده على مصر ٣٢
٣- اثربناء الفسطاط فى اتخاذها مركزا للتمريب ٤٢
٤- انتشار الاسلام فى مصر وأثره فى التمريب ٥٦
٥- موقف اللغة العربية من اللغتين اليونانية والقبطية ٧٧
٦- أثر سياسة الضرائب فى انتشار الاسلام والتمريب ٩٤
٧- ثورات المصريين وأثرها فى التمريب ١٤٨

الباب الثانى

١٦٣ مظاهر التمريب وآثاره فى الحياة الفكرية

- ١- تمريب الداوين وأثره فى انتشار اللغة العربية فى مصر ١٦٤
٢- اثر التمريب فى قيام المدرسة العلمية الاسلامية ١٧٧
٣- دور الذميين المصريين فى الحياة الفكرية العربية ٢٠١
٤- دور الصحابه والتابعين فى التمريب وفى النهضة الفكرية ٢٢٦
٥- دور الموالى فى النهضة العلمية ٢٣٥
٦- أثر التمريب فى ظهور الفكر الصوفى ودوره فى الحياتيين
السياسية والاجتماعية فى مصر ٢٤٢
٧- دور التمريب فى نهضة الدراسات اللغوية والنحوية ٢٥٧
٨- ديوان الرسائل ودوره فى تدعيم التمريب فى مصر الاسلامية ٢٧٢
..... ٢٩٠
..... ٣٠٨
..... ٣١٥
..... ٣١٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مقدمة

يدرس هذا البحث التعريب في مصر الاسلامية وأثره في الحياة الفكرية ، حتى بداية العصر الفاطمي ، وقد رأيت ان اتجه ببحثي الى ابراز صفحة مشرقة من صفحات تاريخ مصر الخالدة ، فدرس المسالك التي سلكها التعريب الى القطر المصري ، حتى اصبحت مصر اقلية بارزا من اقاليهم العالم العربي الاسلامي ، ثم لدرس وسائل التعريب والعوامل المؤثرة فيه ، ومظاهره ثم آثاره الفكرية .

كان الاسلام في القرن السابع الميلادي أعظم الحركات الاصلاحية في العالم . جمع ، عبر جميع المصور فالاسلام حضارة طامة شاملة تصلح لكل انسان ، ولكل بيئة ، ولكل عصر . ولم تنجح اللغة العربية في تحقيق وحدة العرب ولم تخلسق منهم امة واحدة ، بل تفرعت الى عدة لهجات حتى اصبحت بعض اللهجات وكأنها لغات مستقلة . وتنوعت الحياة السياسية في الجزيرة العربية ، فأينا الدولة فسي اليمن والمدينة المستقلة في الحجاز ، والقبيلة في البادية . وتفلبت البداوة علسى معظم العرب واثرت في فكرهم وعاتاتهم وتقاليدهم وفي حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وكان لسان العربي أنشط من عقله ، ولذا اشتغل في الجاهلية بالعلوم الادبسية واللفوية ، أكثر من اشتغاله بالعلوم العقلية ونجح الاسلام في خلق امة عربية موحدة ذات حضارة واحدة .

والاسلام هو الدين العالي وحضارته تتصف بالعالمية والانسانية وقد بسأدا الرسول عليه الصلاة والسلام بتحقيق عالمية الدين الاسلامي ، فكانت كتبه الى ملوك وأمراء الدول المعاصرة ومنهم القوقس نائب الامبراطور البيزنطي في حكم مصر . وكان من بين الهدايا التي أرفق القوقس بها رده الى الرسول الكريم ، مارسه القبطية التي أنجب منها ابنه ابراهيم . وشر الرسول عليه الصلاة والسلام بفتح مصر وأوصى بالقبط خيرا .

وتابع الخليفةان الاولان ابوبكر الصديق وعمر بن الخطاب سيااسة الرسول الكريم في تحقيق عالمية الدين الاسلامي فكان فتح مصر في عهد الخليفة الثاني

عمر ، على يد القائد العربي عمرو بن العاص ، فبدأت مصر تدخل التاريخ
الاسلامي من أوسع أبوابه .

شاء الله تعالى ان يختار خاتم رسله وأنبيائه من بين العرب ، كما شاءت
حكيمته السامية ان ينزل آخر الكتب السماوية باللغة العربية . وجاء ذكر مصر في
القرآن الكريم عدة مرات ما كرمها وشرفها على كثير من الاقطار والبلاد . وكانت
مصر هي الارض الخصبة للمقيدين المسيحية واليهودية ، وطش على أرضها موسى
وعيسى عليهما السلام ، ثم وجد الاسلام واللغة العربية مجالات فسيحة على
ارض مصر وبين أهلها . كما قد راها المصريون الحضارة العربية الاسلامية حق قدرها
فالشعب المصري عريق في الحضارة ويستطيع استيعاب الحضارات العالمية
وهضمها وتقبلها .

لم يكن الفتح العربي لمصر غزواً أو توسعاً اقليمياً بل كان تحقيقاً لعالمية
الاسلام من جهة وانقاذاً لشعب مصر من مظالم البيزنطيين . وتحريراً للمصريين
من الاضطهاد الديني وتطويراً للحياتين الاجتماعية والاقتصادية . فقد حصل
الاسلام منه مبادئ الخالدة من حرية واخاء ومساواة وعدالة . وكان المصريون قد
سمعوا بسياسة العدل والتسامح التي اتبعها الفاتحون العرب في بلاد الشام ،
ولذا لقي جيش عمرو بن العاص ترحيباً من المصريين .

ويحتل بدراسة الارض التي ألقى فيها الفاتحون العرب بذور الاسلام العروبة
ويتبع البحث هذا الفرع الطيب في مراحل نموه المختلفة حتى ازهر وأثمر
فتركت مصر وراءها العاصم البيزنطي الواسع الفروع بما صحبه من تخلف
حضاري ومظالم سياسية لتبدأ تاريخها العربي الاسلامي بما انصف به من حضارة
زاهرة وتقدم عراقي ونهضة فكرية .

اتبعت النهج الموضوعي ، مع المحافظة على التسلسل الزمني ولم يُعيوب
باحتلال على أسس زمنية ، بحيث يُجمل لكل من عصر الولاة او العصر الطولونسي

او العصر الاخشىدى بابا خلاصا به بل رأيتك تقسيم البحث الى موضوعات لكل موضوع وحدته الفكرية وتكامله العلمى وخصائصه المتميزة مع دراسة جوانب كل موضوع ففى هذه المصور الثلاثة .

وقد واجهت عدة مشكلات عظيمة فالموضوع متسع الاطراف ، متشابك الاحداث ، والتعريب يعنى مقبما سنة الحياة والتطور والارتقاء ، بدون توجيه مقصود او قوة دفع مرسومة ، فقد نضج كل من الاسلام واللغة العربية لعنصر الاختيار وأقبل المصريون عليهما فى حرية تامة مع بعض المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فالحياة متشابكة متداخلة فى عناصرها المختلفة المتعددة . والتعريب له دوافع ومظاهر ونتائج كثيرة متنوعة فكان علينا ان نلم بها كلها بقدر الامكان ، مفصلين الحديث عن أبرزها وأهمها ، مجملين الدراسة للموضوعات الثانوية والفرعية .

وقد رأيت ان نقسم بحثنا الى بابين كبيرين مع تفريعهما الى عدة موضوعات ، اذ لم نغشأ تفتيت المادة العلمية ، كما اردنا المحافظة على تكامل التعريب ففى دوافعه ومظاهره وآثاره الفكرية وقد بدأ البحث بتمهيد شمل دراسة موجزة عن حلة مصر قبيل الفتح العربى ودرس الباب الاول العوامل المؤثرة فى التعريب وما صاحبه من انتشار الاسلام . وقد تناولنا فى هذا الباب عدة موضوعات متنوعة فدرسنا موقف المصريين من الفتح العربى ، واثر هذه المواقف فى اقبالهم على اعتناق الاسلام وعلى التعريف . ورأينا القبائل العربية الوافدة على مصر ، ثم درسنا اثر قيام مدينة الفسطاط فى اتخاذها مركزا للتعريب وكيف اصبح جامع عمرو بن العاص اول جوامع مصر والقارة الافريقية - مركز اشعاع الاسلام والمروية ثم تتبعنا خطوات انتشار الاسلام وأثره بالتالى فى انتشار اللغة العربية ، ثم درسنا اثر اقبال المصريين على تعلم اللغة العربية فى اتساع حركة التعريب ، كما درسنا موقف اللغة العربية من اللغتين اليونانية والقبطية وأثر كل مسن سياسة الضرائب وثورات المصريين فى التعريب .

ودرس الباب الثانى من هذا البحث مظاهر التعريب وآثاره فى الحياة الفكرية ودرسنا فى هذا الباب عدة موضوعات ، فرأينا اثر تعريب دواوين

الحكومة في مصر الاموى في انتشار اللغة العربية في مصر ثم اثر التمريب في قيام المدرسة العلمية الاسلامية وتبتمتلك دور الذميين المصريين في الحياة الفكرية العربية وأبرز دور الصحابة والتابعين والقضاة في التمريب وفي النهضة الفكرية. كما كان للموالى دورهم المؤثر ايضا في النهضة العلمية. كما ادى تمريب مصر الى ظهور فكر صوفى كان له اثره في الحياتين السياسية والاجتماعية في مصر. ثم درسنا دور التمريب في نهضة الدراسات اللغوية والنحوية ، ثم شهدنا ديسوان الرسائل الذي قام بدور مؤثر في تدعيم حركة التمريب في مصر الاسلامية وتتضح تفاصيل هذه الموضوعات في فهرس الرسالة.

اطمئنت على كثير من المصادر الاصلية والمراجع الحديثة العربية والافرنجية دونها في حواشى البحث وفي قائمة المصادر والمراجع في نهاية الرسالة. والحقيقة ان كثرة المادة العلمية وتناقضها وتضاربها احيانا ، كانت من مشاكلنا العليصة. وقد اهتم المؤرخون الاقدمون المسلمون بصفة عامة والمصريون بصفة خاصة بالنهضة الفكرية العربية في مصر وأمدونا بكثير من الحقائق والمعلومات. كما ان اساتذة جامعاتنا المصرية قدموا لمكتبنا العديد من الابحاث القيمة.

وفي ختام هذه المقدمة ، أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان لاستاذى المشرف الاستاذ الدكتور على حسنى الخريوطلى على كريم رعايته وحصن عنايته فقد اعطانى الكثير من علمه وجهده ووقته. جزاء الله تعالى عن الدراسات الاسلامية خير الجزاء .

كما اتقدم بمعظيم الشكر وبالغ الامتنان للمؤرخ الاجل الاستاذ الدكتور محمد جمال الدين مور ، استاذ الاساتيد ، والمؤرخ الجليل الامتياز الدكتور احمد السرايى على تفضلها بقبول مناقشة رسالتى ، حفظهما الله تعالى ومعهما بالصحة والعيانية وجعلهما ذخرا لكل الدارسين والباحثين.

ويعد • نهضة • بنى عورة • مشيئة • من صور تاريخ مصر • العربية الاسلامية •
أقدمها لكل مسلم • وعربي • ومصري • لتكون الطائر والتدوية والأسوة • لنمضي
على طريق الاجداد • نحو المزيد من الأمجاد • والله عز وجل ولى
التوفيق •

تمهيد

أحوال مصر قبيل الفتح العربي الاسلامي

كانت لاحوال مصر السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية ، قبيل الفتح العربي الاسلامي اثرها الواضح في موقف المصريين من هذا الفتح ، ثم من استقرار العرب الفاتحين ، ثم من اقبالهم على اعتناق الاسلام والتعرب لغويًا وخصريًا .

تحولت مصر الى ولاية رومانية ثم بيزنطية ، منذ انتصار اغسطس قيصر على كليوباتره في موقعه (اكتوبر) سنة ٣١ ق م . واستيلائه على مصر ، والقضاء نهائيًا على دولة البطالمة فيها . (١) ولم يختلف الوضع في مصر في العهد البيزنطي (٢٨٤ - ٦٤٠ م) عما كان عليه في العهد الروماني (٣١ ق م - ٢٨٤ م) فقد عانت مصر في العهدين - على السواء - من الاضطهاد الديني ، والمظالم الاجتماعية والاقتصادية . فضلا عن اهمال الرومان والبيزنطيين لمرافق البلاد .

انقسم سكان مصر الى ثلاث فئات هي : المصريون ، والبيزنطيون ، واليهود ، الى جانب اقلية اخرى اجنبية .

أما المصريون ، فقد عاشوا حياة ضئيلة ومشفقة ، نتيجة كثرة الضرائب المفروضة عليهم ، حتى ان كثيرا من الفلاحين هجروا اراضيهم وقراهم بمدحهم عن سداد الضرائب . (٢)

وكان الفلاحون ينقسمون الى طبقتين كبيرتين ، الاولى منها هي طبقة مزارعي الضياع الكبيرة ، وهم ارقاء ملتصقون بالارض ولزمون بخدمة اصحاب هذه الضياع .

(١) الخريوطي : مصر العربية الاسلامية ص ٧

(٢) *Milne : A History of Egypt Under Roman Rule, Vol. 5, P. 118 - 119.*

والطبقة الثانية تضم المزارعين الاحرار ، وهم اما ملاك لقطع صغيرة مسن
الارض ، أو مستأجرون لدى ملاك متوسطين . وكان هؤلاء ايضا يرتبطون بالارض ، ويحظون
عليهم مفاد رتبها ، رغم تقسيمهم رسميا وظاهريا بالحرية . (١) وعلى اكتاف هؤلاء
الفلاحين التمساء أخرى كبار الملاك وكنوا طبقة من النبلاء الاقطاعيين بدأت تظهر
في القرن الرابع الميلادي وبلغت اقصى قوتها في القرن السادس للميلاد . وغدت
هذه الطبقة - بحكم مصالحها - مرتبطة بالحكومة البيزنطية منذة لربغياتها ، وحامية
لمصالحها في مصر . (٢) ومن هذه الطبقة النبيلة ظهرت بعض الاسر الكبيرة . وقد
حرصت هذه الاسر على اخضاع من جاورها من الفلاحين الاحرار للسيطرة البيزنطية ،
حتى اصبحوا بمثابة ائمان للارض . وانصف هؤلاء الفلاحين البؤساء بالجهل والقصور
الفكري وان اشتهروا بحقق تدبيرهم وثقواهم وخضوعهم التام لكنيسة الاسكندرية .

طاني المصريون من فداحة الضرائب وكان الامبراطور يحدد سنويا مقدار هذه
الضرائب في رسالة يبعثها الى نائبه في حكم مصر ويقوم الحاكم بتحديد الضرائب
على الاقاليم والقرى . (٣) ومن أهم الضرائب ضريبة القمح ، حيث تقدم كل قرية
سنويا قدرا محددًا من القمح ويرسل الحاكم القمح الى العاصمة البيزنطية . (٤) ثم
كانت هناك ضريبة الرؤوس وتفرض على المصريين الذين تتراوح اعمارهم بين ارسبع
عشرة سنة وستين سنة . (٥) كما فرض البيزنطيون تقديم الهدايا للامبراطور
وضرائب مختلفة على التجارة والدخل والمبيعات والتركات والمعقود والحيوانات . وطاني
المصريون من مظالم جباة الضرائب ولجأوا الى حياة كبار الموظفين المدنيين
والمسكرين فكان المالك الصغير عندما يمانى من الضرائب يلجأ الى أحد
جيرانه الاقوياء لحمايته على ان يتنازل له عن ارضه ويزرعها له كمتأجر . (٦)

(١) بل : مصر من الاسكندرا الاكبر حتى الفتح العربي (ترجمة عبد اللطيف احمد
على ومحمد عواد حسين) ص ٢٤٣

(٢) Diehl: L'Egypte Chretienne et Byzantine, P.403. (٢)

(٣) Milne : Op. Cit. P. 118 - 119. (٣)

(٤) Hardy: The Large Estates of Byzantine Egypt, P.7. (٤)

(٥) Milne : Op. Cit. P.121. (٥)

(٦) بل : مصر من الاسكندرا الاكبر حتى الفتح العربي ص ٢٣٥-٢٣٦

وعانى المصريون أيضا من الاضطهاد الديني نتيجة الخلاف العذبي ، وكانت المسيحية قد انتشرت في مصر قبل انتشارها في الامبراطورية الرومانية التي احتفظت بوثنيتها ولقى المصريون المسيحيون كثيرا من مظاهر الاضطهاد وخاصة في عصر الامبراطور دقلديانوس (١) ، وبدأ فرار المصريين الى الصحراء وبناء الاديوية (٢) حتى تولى الامبراطور ثيودوسيوس فجعل المسيحية دين الدولة الرسمي ، وقام خلاف بين اثنين من كبار رجال الدين المسيحي في الاسكندرية هما (اثناسيوس) و (اريوس) حول طبيعة المسيح وتدخّل الامبراطور (قسطنطين) في الخلاف وعقد اجتماعا في (نيقية) لانهايا الخلاف ، وأدان مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م (اريوس) وسجنه ونفى اتباعه ، وتحددت العقيدة الارثوذكسية باعتبار المسيح من نفس مادة الاب ، أي ان صفة الالهية مستعدة من الاب . (٣)

تولى اثناسيوس بطريركية الاسكندرية وتمصب لمذهب نيقية ، ولكن الامبراطور البيزنطي أدرك ان قرارات مجمع نيقية تتعارض مع آراء معظم رجال الكنيسة والرعيّة فبدأ ينحاز الى الاريوسية وانقلب على انصار مذهب نيقية ، وأمر بطريرك اثناسيوس بان يعيد اريوس الى الكنيسة فرفض فقرر الامبراطور نفيه ، مما أدى الى اضطراب الاسكندرية وهرب اثناسيوس الى الصحراء . (٤) وبدأ تدخل الدولة في شئون الكنيسة وأصبح للاساقفة حقوق مدنية ومنها فرض الضرائب كعمونة للكنيسة . (٥)

ومنذ ذلك الحين سيطر بطاركة الاسكندرية على الاحوال الداخلية في مصر وحرصوا على استغلال كنيستهم واحتضان شعبيهم كما قام صراع بين الاساقفة واتباعهم واستمرت هذه الصورة من سنة ٣٨٥ الى ٤٥١ م . (٦)

(١) يسمى عصر هذا الامبراطور (عصر الشهداء) نتيجة قتل كثير من المصريين وهدم الكنائس (ساويرس بن المقفع : سير البطاركة الاسكندريين ج١ ص ٤٧-٤٨)

(٢) بل : نغمر للمرجع ص ٢١٧ وما بعدها ، العربي : مصر البيزنطية ص ٢٤٩

Milne : Op. Cit. P. 89.

(٣)

(٤) العربي : مصر البيزنطية ص ٥٣

Milne : Op. Cit., P. 89.

(٥)

(٦) العربي : مصر البيزنطية ص ٥٣

وفى سنة ٤٥١م (١) عقد مجمع خلقيدونية لاقرار صيغة جديدة للعقيدة المسيحية ، وقررا لاساقفة المجتمعون ان للمسيح طبيعتين ، كما أصدر قرارات بابطال مذهب العقيدة الواحدة ، وتم خلع (ديسقورس) بطريرك الاسكندرية مساعداً الى غضب المصريين (٢) ورفض المصريون قبول (بروتوريوس) بطريركا ، فأرسل البيزنطيون كتبية عسكرية لارغام المصريين على قبوله (٣) ورفض المصريون قرارات مجمع خلقيدونية وبدأت روح انفصالية استقلالية عن الدولة البيزنطية .

ومعد سنة ٤٥١م انفصل الاقباط عن الكنيسة البيزنطية تحت شعار الاعتقاد بالطبيعة الواحدة كما اطلق المصريون على أعدائهم في المذهب اسم (الملكانيين) باعتبار المذهب الملكي الامبراطوري (٤) وزاد انتشار اللبس القبطية والادب القبطى فى اعاق مصر بدلا من اللغة اليونانية والثقافة اليونانية (٥) وبدأ صراع بين المصريين اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والبيزنطيين اصحاب مذهب الطبيعتين . واستمر الصراع حتى الفتح العربى لمصر .

اليهود : تركر اليهود منذ المصر البطلى فى مدينة الاسكندرية ، وكانت لهم جليات اخرى فى بعض مدن مصر السفلى ، وكذلك فى القيوم ، وفى البهنساء ، وأقام اليهود فى احياء خاصة بهم وتحول بعض اليهود الى المسيحية مع احتفاظهم بأسمائهم القديمة (٦) واشتغل معظم اليهود بالتجارة سواء فى داخل مصر او مع دول حوض البحر المتوسط وجنوا ثروات ضخمة (٧) كما اشتغل بعض اليهود بالزراعة والاعمال اليدوية فى مدن مصر (٨) وأبدي اليهود عداوة

(١) فى عهد الامبراطور ماركيان ٤٥٠-٤٥٧م

(٢) نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية (ترجمة حميد مؤنس ومحمود يوسف زايد) ص ١٠٤-١٠٥

(٣) بتشر : تاريخ الامة القبطية وكنيستها ج٢ ص ٥٨-٥٩

(٤) Hardy: The large Estates of Byzantine Egypt, P. 21.

(٥) المرينى: مصر البيزنطية ص ٧٥

(٦) The Jewish Encyclopedia, Vol. 5, P. 60.

(٧) Milne : Op. Cit., P. 98 - 99.

(٨) Goitein : Jews and Arabs, Their Contacts through the Ages. P. 7.

للمسيحية والمسيحيين ، مما عرضهم دائما للمقاب والعذاب ، حتى ان البطرك كيرلس امر سنة ٤١٥ م بطردهم من الاسكندرية واطلاق معايدهم واستباحهم بيوتهم ، وتصرفهم اليهود لمذبحة كبيرة . (١)

وكان عداء المصريين لليهود مظهرها من مظاهر عدائهم للروم . اذ كان الهجوم على اليهود اسلم عاقبة لهم من الهجوم على الروم . (٢) فمران الكراهية العنيفة المتأصلة في نفوس اليهود ضد النصارى وجدت الفرصة للانتقام اثناء الفزو الفارسى للشام ومصر (٦١٥-٦١٨ م) فاقتهزها اليهود وفتكوا بالنصارى ودمروا كنائسهم وأحرقوها . فلما انتصر هرقل على الفرس وخلص الشام ومصر من الفرس (٦٢٧ م) طلب منه نصارى الشام ومصر ان يكفهم من الانتقام من اليهود وذلك على الرغم من العهد الذي ضحاهاهم بحمايتهم . ولما اشتد ضغط النصارى عليه اجابهم الى طلبهم ، وأمر باجلاء اليهود عن بيت المقدس وعدم عودتهم اليه ابدا . (٣) وانتهز النصارى الفرصة وهاجوا اليهود في كل من مصر والشام ووقعت مذبحة طامة لليهود سنة ٦٣٠ م قتل فيها كثير منهم ، ولم يفلت من القتل والتعذيب الا ^{الذين} الذين هربوا أو اختفوا في الصطرى والكهوف . (٤)

ولكن اليهود استعادوا قوتهم ومركزهم حتى بلغ عددهم بعد ذلك بمشور سنوات اى قبيل الفتح العربى لمصر ^{البيزنطيين} أريمنون القا فى الاسكندرية وحدها كما سأهوا باموالهم بقسط كبير فى الجزيرة التى دنمتها مصر لبيت مال المسلمين . (٥)

البيزنطيون : كونت الجالية البيزنطية طبقة ارسقراطية فى مصر ، اذ كانت هى الطبقة الحاكمة . فقد تركزت فى ايدى البيزنطيين معظم الوظائف الكبرى ، فكانوا هم حكام الاقاليم وقواد الفرق العسكرية ومنهم من كان ينتخب اعضاء (مناخرو الاسكندرية) ومن الطبيعى ان تتركز معظم ثروة البلاد فى ايديهم نظرا لصيغتهم

(١) الصيرفى : مصر البيزنطية ص ٢٥١

(٢) بل : مصر من الاسكندرية الاكبر حتى الفتح العربى ص ١٢٦

(٣) تيلر : فتح العرب لمصر ص ١١٩

(٤) بتشر : تاريخ الامة القبطية وكتيبتها ج ٢ ص ١١٩

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٢



(١) على الاقتصاد المصري واشتغالهم بالتجارة الخارجية ما زاد من نفوذهم وسلطانهم وكان ذلك على حساب التجار المصريين الذين قل اشتغالهم بالتجارة الخارجية الى حد ما ، بعد ان كانت السفن المصرية تشق مجاب البحر المتوسط وتمارس تجارة واسمة . (٢)

عاش البيزنطيون في مصر حياة كلها بدخ وترف ، واتخذوا قصورا فخمة وحمامات رائعة ما زالت اطلالها قائمة في الاسكندرية كما يمكن البيزنطيون كثيرا من مدن مصر وخاصة الفيوم . (٣) وحرصت الحكومة البيزنطية على حرمان المصريين من الالتحاق بالخدمات البيزنطية في القرنين السابقين للفتح العربي حينما اشتد الصراع بين المصريين والبيزنطيين مما ادى الى حرمان المصريين من الخببرات العسكرية ومعرفة فنون القتال . (٤)

وامتلكت البيزنطية الملكية في الاسكندرية ^{الراعي} اراض واسعة ، كانت تصدر كميات ضخمة من القمح كما مارست نشاطا تجاريا واسعا وصدت المصنوعات المصرية الى الدولة البيزنطية نتيجة امتلاكها اسطولا تجاريا كبيرا كما امتلك البطارك ثروات ضخمة بينما اعدت الكنيسة المصرية على التبرعات والاحسان . (٥)

-
- (١) الميرني : مصر البيزنطية ص ٢٥١
(٢) بتشر : تاريخ الامة القبطية وكتيبتها ج١ ص ٩٦
(٣) غير على بوردات يونانية ترجع الى المهد البيزنطي تحمل اسما يونانية في الفيوم
(٤) بتشر : تاريخ الامة القبطية وكتيبتها ج١ ص ٩٦
(٥) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٤٤ - Hardy : Christian Egypt, P.156

الباب الأول

المواصل المؤثرة في التمريب في مصر الإسلامية

- ١- موقف المصريين من الفتح العربي وأثره في إقبالهم على الإسلام
والتمريب
- ٢- القبائل العربية الوافدة على مصر
- ٣- أثر بناء القسطنطينية في اتخاذها مركزا للتمريب
- ٤- انتشار الإسلام في مصر وأثره في التمريب
- ٥- موقف اللغة العربية من اللغتين اليونانية والقبطية
- ٦- أثر سياسة الضرائب في انتشار الإسلام و التمريب
- ٧- ثورات المصريين وأثرها في التمريب

١- موقف المصريين من الفتح العربي
وأثره في إقبالهم على الإسلام والتعريب

كتاب الرسول الى القوقس :

الإسلام هو الدين المألوم ومحمد عليه الصلاة والسلام هو رسول الله الى العالمين . وقد عرف الرسول الكريم عالمية العقيدة الثراء التي يدعو اليها ، ولذا ما كاد يوقع صلح الحديبية في العام السادس من هجرة ، الذي ينص على هدنة مع قريش تستمر عشر سنوات حتى بدأ النبي صلى الله عليه وسلم تحقيقه عالمية الإسلام فكانت كتبه الى ملوك وامراء الدول ومنهم القوقس حاكم مصر . (١)

بسمك الرسول عليه الصلاة والسلام ططب بن ابي يلتقه اللخس السى
القوقس نائب الامبراطور البيزنطى في حكم مصر وكان يقيم في الاسكندرية ، فسلمه ططب كتاب النبي وقد جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى القوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى . فاما بعد ، فاننى ادعوك بدعاية الاسلام ، فاسلم تعلم ، واسلم يؤتيك الله اجره مرتين ، يا اهل الكتاب تمالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا باننا مسلمون . " (٢)

أحسن القوقس استقبال ططبا واكرمه ويشير المؤرخ ابن عبد الحكم (٣)

الى الحوار بينهما حول الرسول عليه الصلاة والسلام وصفاته ، ونستنتج من هذا الحوار ان القوقس كان يعلم مسبقا بظهور نبي جديد ولكنه كان ينتظر ظهور دعوته في بلاد الشام لا في الجزيرة العربية . واظن القوقس لططب ترحيبه باعتناق الاسلام الا انه يخشى معاوضة القبط له ، ثم طلب القوقس من ططبا الا يتحدث الى النصريين بما كان بينهما من حوار وخاصة عن ميله الى اعتناق الاسلام .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٣ ص ٢٥٩ وما بعد ها .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٤١

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٤١-٤٢

(٣) المصدر السابق .

ويمكننا ان نستنتج من الروايات التاريخية ان العقوقس كان حريصا دائما على مصالحه السياسية ، فهو يخشى على نفوذه ومركزه وهو يرضح لمعارضة قومه للدين الجديد . فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام حين تسلم كتاب العقوقس " من الخبيث بملكه ، ولا بقاء لملكه " . (١)

بحث العقوقس كتابا الى الرسول عليه الصلاة والسلام جاء فيه : " لمحمد بن عبد الله من العقوقس عظيم القبط ، سلام ، اط بحد ، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كتبت اظن انه يخرج بالشام . وقد اكرمت رسولك وبحثت اليك بجارتين لهما مكان في القبط عظيم ، ومكسوة ، وأهديت اليك بخلعة لتركبها ، والسلام " . (٢)

بشر الرسول عليه الصلاة والسلام بفتح مصر واوصاهم بقبط مصر خيرا ، وهناك احاديث نبوية شريفة ذكرها كتاب الحديث والمؤرخون ومنها ان الرسول الكريم قد قال : " انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيروط فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحم " . وقال عليه الصلاة والسلام ايضا " انكم ستكونون اجنادا وان خير اجنادكم اهل العنبر منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم اكل الخضر " . (٣)

الفتح العربي لمصر:

بحث الخليفة عمر بن الخطاب عمرو بن الماص على رأس الجيش العربي الاسلامي لفتح مصر ، بعد ان انتهى من فتوح الشام . وبلغ العقوقس خبر قدوم عمرو بن الماص ، فأسرع الى حصن بابليون وبدأ اعداد القسوات المسكينة لمواجهة جيش عمرو . وكان حاكم حصن بابليون من الروم ويسى (الاعينج)

- (١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٣ ص ٢٦٠-٢٦١
- (٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٤٣
- (٣) المصدر السابق ص ٢-٣
- (٤) المصدر السابق ص ٥٣ - الكندي : الولاة والقضاة ص ٨

واراد المقوقس الا تبلغ المصريين اخبار انتصارات العرب في الشام وتخاذل الروم امام الفاتحين فبعث رسالا الى الحدود المصرية لمنع دخول القائد مين من بلاد الشام حتى لا ينقلوا اخبار الانتصارات العربية فيضمفوا الروح الممنوية . (١)

بدأ القتال بين العرب الفاتحين والروم عند (الفرما) لمدة شهر وانتصر المسلمون . (٢) وتشير بعض الروايات التاريخية الى مساعدة قبط الفرما لعمرو بن العاص وذكرا انه كان بالاسكندرية أسقف للقبط يصحى (ابو ميامين) لما يلفسه اخبار قدوم عمرو بن العاص على رأس الجيش الاسلحي كتب الى القبط يمشروهم بقرب زوال الحكم البيزنطى فى مصر . وطلب من القبط مساعدة العرب . (٣) والواقع ان (ابو ميامين) هذا هو الاب (بنيامين) بطرك القبط اليماقبة فى مصر السذى بادر بالخروج من الاسكندرية عند قدوم المقوقس اليها حاكما لمصر وطركا للملكانيين فيها . وقد لجأ هذا البطريك الى بعض اديرة الصعيد .

ونستخلص من كتابات المؤرخين عن أولى مواقع الفتح العربى ان المقوقس لم يبادر بارسال نجدة لاهل الفرما عندما علم بحصار العرب لهم . ويصور (بتلر) (٤) موقف المقوقس بانه اول خيانة ارتكبها فى حق دولته ويذهب الى انه كان يرمى الى فصل الاسكندرية عن القسطنطينية بالاتفاق مع العرب المسلمين ومساعدتهم ضد الدولة البيزنطية . كما ان المقوقس - فيما بعد - لم يهتم ايضا بارسال نجدة الى ابنته ارمانوسه فى بلبس حتى نجح العرب فى فتح هذه المدينة .

(١) الواقدى : فتوح الشام ج٢ ص ٦٤
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٤ - ابن البطريق : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ص ٢٥

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٢-٥٣

(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ص ١٨٨-١٨٩

تقدم عمرو بن العاص في الاراضى المصرية دون اى مقاومة تذكر حتى وصل السى بلبس حيث دار القتال لمدة شهر تقريبا حتى فتحها المسلمون. (١) ونفسرد الواقدي (٢) بالاشارة الى تقدم (يوقنا) صاحب حلب على رأس بعض الجنود ، حتى وصل الى بلبس حيث ارمانوسه ابنة المقوقس كما ارسلت ارمانوسه الى ابيها تخيره بتقدم الجيش العربى ، وتطلب منه الاستعداد لمواجهة العرب ، وجمع المقوقس كبار رجال الدولة وسألهم المشورة ، فاقترحوا عليه ارسال جيش الى ارمانوسه لمساعدتها ضد العرب الى جانب الاستنجد بجيرانه لمناصرته وجمع الجيش من جميع مدن مصر استعدادا لمواجهة الجيش العربى ولكن المقوقس رفض مشورتهم ، واعلمهم بانه مهما استمد فلن يقوى على مائة العرب وانه من الحكمة ان يرسل الى ابنته كتابا يطلب فيه منها التلطف فى معاملة (يوقنا) ومن معه من الجنود العرب ومنحهم الامان وارسالهم اليه لتطيب خاطرهم .

فلما علمت بذلك ارمانوسه ارسلت الى يوقنا تخيره بما كتب ابوها اليها . ودار قتال بين الجيش العربى وجند ارمانوسه انتهت بانتصار العرب واسرهم لارمانوسه . واحسن عمرو بن العاص معاملتها وارسالها معززة مكرمة الى ابيها المقوقس فى صحة قيس بن سعد الذى قال للمقوقس فى حديث طويل له معه : " ايها الملك لا بد لنا منك ، ولا ينجيك منا الا الاسلام او الجزية او القتال " فوجه المقوقس بمرضا الامر على قومه ، وهم وثوقه بعدم استجابتهم لامر من هذه الامور الثلاثة لانهم قوم عناد ولان " قلوبهم قاسية من اكل الحرام " . (٣)

ثم مضى عمرو بن العاص على رأس جنده دون مقاومة تذكر حتى وصل الى قرية (أم دنين) (٤) حيث اشتد القتال وواجه عمرو مقاومة عنيفة جعلته يطلب المدد من الخليفة عمر بن الخطاب الذى سارع بنجده . (٥) وتدل هذه المقامسة

- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٤ - الكندى الولاية والقضاء ص ٨
 (٢) الواقدي : فتوح الشام ج ٢ ص ٢٦
 (٣) الواقدي : فتوح الشام ج ٢ ص ٢٧ - ٢٠
 (٤) أم دنين قرية بمصر بين القاهرة والنيل اختلطت بمنازل القاهرة (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٥١) وهى الآن مكان حديقة الازبكية
 (٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٤ - الكندى : الولاية والقضاء ص ٨

على ان البيزنطيين قد ادركوا الان خطورة الموقف فأعدوا العدة لمواجهة الفاتحين العرب. وبعد قتال عنيف انتصر عمرو على البيزنطيين ومن لحق بهم من القبط وهلك كثير منهم ولجأ كثير منهم بحصن بابليون ومدينة نقيوس (١)

وتذكر بعض الروايات التاريخية القبطية (٢) ان فتح الفيوم كان بعد حصار ام دنين وقيل فتح حصن بابليون كما تشير الى ان عمرو بن العاص قد قام بمطالبة لفتح اقليم الفيوم قبل اتمام فتح ام دنين ولكنه لم يطالعه التوفيق حتى وصله المدد من الخليفة فتكمن من الاستيلاء على ام دنين ثم وجه جهود الاستيلاء على اقليم الفيوم.

ولكن المؤرخين المسلمين يجمعون على ان فتح الفيوم كان بعد فتح حصن بابليون وليس قبله كما يذهب المؤرخ القبطى حنا النقيوس كما ان الروايات الاسلامية تذكر ان الذى قام بفتح اقليم الفيوم هو احد قواد عمرو (٣)

ويبدو ان اهل مصر من القبط بصفة خاصة بدأوا يقدمون المساعدات الايجابية للعرب الفاتحين بعد استيلائهم على اقليم الفيوم. فقد طلب عمرو من (ابا كبرى) (٤) حاكم دلاحي (٥) ان يبعث الى القوات العربية فى الفيوم بعض السفن لينقلوا بها من الجانب الغربى للنيل الى الجانب الشرقى للسيطرة على ضفتى النيل (٦) كما طلب عمرو ايضا من (جوج) حاكم اقليم مصران يبنى جسرا على قناة مدينة قليوب حتى يتمكن من فتح المدن المصرية. ونجح عمرو فى فتح مدينة اتريب ومنوف بمساعدة القبط له (٧)

(١) تقع نقيوس على الطريق بين الفسطاط والاسكندرية (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٣٠٣)

(٢) Chronique de Jean, P. 437.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٧-٢٢٨ - البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٨

(٤) Abaciri

(٥) على الضفة الغربية للنيل جنوب مقيس شرق الفيوم

(٦) Chronique de Jean, P. 439.

(٧) Ibid., P. 439 - 440

وطون القبط ايضا العرب الفاتحين في اقامة جسر ضخيم عند بابليون لمنسح السفن من الذهاب الى نقيوس والاسكندرية ومصر العليا من جهة ولتيسير عبور الفرسان العرب للنيل من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من جهة اخرى واصبح القبط - في الحقيقة - اعوانا للعرب الفاتحين يقدمون لهم الوانا من المساعدات .

كان الحكام الرومان قد غدروا مدينة (نقيوس) الى حصن بابليون حتى اذا علموا بانتصارات العرب المسلمين في اقليم مصر وساعدة بعض المصريين لهم بادوا الى الخروج الى الاسكندرية وتركوا في نقيوس طامية صغيرة للدفاع عنها كما بحثوا السى حاكم سنود (١) بحثونه على الدفاع عن الاراضى الواقعة بين فرعى النيل وتخلصى بعض القبط عن عقيدتهم واعتنقوا الاسلام واستولوا على املاك المسيحيين الذين هربوا من وجه المسلمين مؤثرين التمسك بدِينهم . (٢)

لن نخوض في التفاصيل العسكرية واخبار سقوط حصن بابليون في ايدي العرب الفاتحين وخاصة ان الروايات تعددت وتختلف وتتناقض ويهمننا في بحثنا - فحسب - الاشارة الى موقف المصريين من الفاتحين العرب .

شدد عمرو وجنده الحصار على حصن بابليون حتى طلب الروم والقبط الممتصمون بالحصن التفاوض من أجل الصلح ومنع الامان للمصريين فأجابهم عمرو الى طلبهم على ان يهودى كل واحد منهم للمسلمين دينارا واجبة ورميا وعمامة وخفين . (٣)

استضاف الروم والقبط - عقب هذا الصلح - جند عمرو بن العاص فنقدوا عليهم وقد ارتدوا اليهود (٤) وجلس العرب الى جانب الروم . (٥)

(١) بين سنود والمحة ميلان (باقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٥٤)
(٢) Chronique de Jean. P. 440

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٥

(٤) اليهود : جمع البرد وهي كما مخطط يلتحف به (الوسيط ج ١ ص ٤٧)

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٥٥

رفض الروم والقبط اعتناق الاسلام أو دفع الجزية وأصروا على القتال وحاول
 المقوقس جاهد اقناعهم بقبول دفع الجزية للمسلمين الا انهم أصروا على موقفهم
 وأمروا بقطع الجسر بين الحسن وجزيرة الروضة واشتد القتال بين الفريقين • وتحقق
 النصر للمسلمين وعند ذلك لم يجد الروم والقبط بدا من قبول دفع الجزية وعقد
 الصلح مع المسلمين • (١)

وكتب المقوقس الى عمرو بن الماص بأنه مازال حريصا على اجابته الى واحد من
 الامور الثلاثة التي عرضها عليه وان قومه اقتنعوا بوايه واستجابوا لرغبته ومن ثم عادت
 المفاوضات بين الطرفين وتم عقد الصلح بين عمرو والمقوقس بالشروط الآتية :

- ١- يفرض على جميع من بمصر واعلاها واسفلها من القبط ديناران يتساوى فيسى
 ذلك الرفيع والوضيع • ومن بلغ الحظ منهم دون النساء والاطفال والشيخ •
- ٢- ضيافة القبط للمسلمين النازلين عليهم ثلاثة ايام •
- ٣- للقبط ارضهم واموالهم ولا يتعرض لهم في هي • انمها • (٢)

واشترط المقوقس على عمرو ان يترك للروم حرية الموافقة على هذه الشروط
 ومن رفضها منهم فله الحرية في الخروج من مصر الى الدولة البيزنطية • وارسل
 المقوقس شروط هذا الصلح الى الامبراطور هرقل •

ويجدر بنا الاشارة الى كتاب الامان الذي منحه عمرو بن الماص للمصريين
 فهو يرسم الاهداء التي حددها العرب المسلمون لمعاملة اهالي مصر وقد كجما
 في هذا الامان:

بسم الله الرحمن الرحيم • هذا ما أعطى عمرو بن الماص من الامان
 على انفسهم ووطنهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم ووجههم ويحرمهم ولا يدخل عليهم
 عليهم شي • من ذلك ولا ينتقصن ولا تساكتمهم التوبة وعلى اهل مصر ان يعطسوا

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٢-٦٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٣-٦٤

انظر الصفحة
 التالية

الجزية ، اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خصين الف ألف
وعليهم ما جنى لصومهم فان ابي احد منهم ان يجيبه رفع عنهم من الجزية بقدر رهم
وذمتنا من ابي بريقة وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك
ومن دخل في صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن ابي منهم
واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ ما منه او يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم اثلاثا .
في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله . وذمة
الخليفة امير المؤمنين وذم المؤمنين وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكندا
وكذا رأسا وكذا وكذا فرسا على الا يفزوا ولا يمنحوا من تجارة صادرة ولا واردة . (١)

ونستنتج من هذا النص التاريخي ان الصلح الذي عقده عمرو بن العاص
مع القوقس عقب الامتلاء على حصن بابلين كان :

- ١- ينطبق على جميع اهالي مصر في الوجهين البحرى والقبلى فقد كان مقدار
الجزية يمثل مبلغا كبيرا من المال .
- ٢- يمنح الصلح القبط الامان على ارواحهم وعقائدهم واموالهم وكنائسهم
- ٣- يفرض المرب المسلمون الجزية على المصريين ويزاد قدرها او ينقص تبعا
لاحوال الفيضان في كل سنة وكانت تدفع على ثلاثة اقساط سنويا . واصبح
المصريون بذلك (أهل الذمة) .
- ٤- يطبق المرب شروط هذا الصلح على الروم والنوبة اذا شاءوا ذلك ،
اما اذا رفضوا الشروط فلهم حرية مغادرة مصر الى حيث يريدون . ويقصد
بالنوبة هنا النوبيون المقيمون في الاواض المصرية وليسوا سكان بلاد النوبة .

(١) الطبرى ج٣ ص ١١٩ - ٢٢٠ .

ابو المطاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٤ - ٢٥ .

القلقشندي : صبح الاعشى ج١٢ ص ٣٢٤ .

في القاموس اللغوي وهو صوت اللص

وحدد عقد الصلح (٢٠ هـ - ٦٤١ م) أمر عمرو بن العاص الجند الروم بخفادرة الحصن على ان يحملوا معهم بعض اموالهم واعطى لهم مهلة ثلاثة ايام يفادون فيها الاراضى المصرية . ورفض عمرو تسليم السبايا حتى يستشير الخليفة عمر بن الخطاب . وقد أمر الخليفة برد السبايا . (١)

غضب الامبراطور البيزنطى هرقل عندما بلغه عقد الصلح مع العرب الفاتحين وكتب الى المقوقس يوحىه على ذلك . ويقول له ان الجند العرب اقلية بالنسبة لعدد القبط وانه اذا كان قبط مصر قد رحبوا بالعرب . وقبلوا اداء الجزية فان عدد الروم بمصر يزيد على مائة الف ومعهم السلاح والعتاد . وطلب هرقل من المقوقس ان ينهض مع الروم لقتال العرب . وكتب هرقل ايضا رسالة مشابهة الى الروم بمصر . (٢)

اما المقوقس فقد كان مقتنعا بالموقف الذى اتخذه من عمرو بن العاص والمسلمين . كما تمسك بعقد الصلح وحاول اقناع الروم بقبوله . فقال لهم : " واعلموا معشر الروم والله انى لا اخرج مما دخلت فيه ولا عما صالحت العرب عليه . وانسى لاعلم انكم سترجعون غذا الى قولى ورأى وتتخفون ان لو كنتم اطعمتمونى . وذلك انى قد عابنت ورأيت وعرفت ما لم يحاين الطك ولم يره . ولم يعرفه ويحكم . انا يرضى احدكم ان يكون آمنا فى دهر على نفسه وماله وولده بدنا رين فى السنة . " (٣)

أخبر المقوقس عمرو بن العاص برفض الامبراطور هرقل للصلح . وانه كتب اليه والى جماعة الروم بمصر بنقض الصلح ومواصلة القتال . واكد المقوقس لعمرو انه هو والقبط متمسكون بالصلح ويتنفذ شروطه ثم طلب من عمرو الموافقة على امور ثلاثة : اولها : احترام عهود القبط واعتباره واحدا منهم . وثانيها : الا يقدم عمرو على مصالح الروم حتى يصبحوا ارقاء . وثالثها : ان يأمر

(١) الطبرى ج ٢ ص ١٩ - ٢٠٠ - ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٢٩٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٤ - ٦٥

(٣) المصدر السابق ص ٦٥

عمرو عند وفاة المقوقس بدفن جثمانه في كنيسة بالاسكندرية . (١)

ووافق عمرو على ما طلبه المقوقس في مقابل مساعدة القبط له ضد الروم خلال زحفه الى الاسكندرية . فيضمنوا له سلامة الجسور على النيل ويقدموا المأوى والضيافة للجند المسلمين . وقدّم القبط كل المساعدات الممكنة للجيش العربي . (٢)

مدى معاونة المصريين للفتح العربي :

ساعد بعض القبط عمرو بن المصائثاء حصاره لحصن بابليون فقد تقدم اليه فريقان - على التوالي - احدهما بقيادة (ميناس) والاخر بقيادة (كرمثاس بن صمويل) وقد قدما من الشاطئ الغربي للنيل وهم جميعا من اهالي اقليم الفيوم ويغضون الروم . ويتصفون بالجسارة والاقدام . (٣) وكانت المعاونات التي يقدمها القبط للجيش العربي تدعم جهود الفاتحين . وتضعف من مقاومة الروم وتخرج موقفهم وتقلل من هيبتهم .

وانخذت المساعدات التي قدمها القبط المصريون للجيش العربي صورا عديدة نذكر بعضها . ففي اثنا حصار حصن بابليون جمع القائد البيزنطي (تيودور) جيشه بين فرعي النيل فلما علم عمرو بذلك أسرع بالزحف بكتيبة من الجند مطوذا الفرع الشرقي للنيل . وفي نفس الوقت بحث تيودور قائد يسن من قواده . (٤) الى سفنود لعناهضة العرب وطلب من الجند القيمين بها مساعدتهما ضد العرب الا انهم ابوا قتال العرب . (٥) وكان معظم هؤلاء الجند من القبط الذين كرهوا الحكم البيزنطي ورأوا في الفتح العربي تحريرا لهم .

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢١٧

ابن البطريق : التاريخ المجموع ص ٢٤

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٥

Chronique de Jean. P. 443.

(٣)

(٤) هما ياكوبى وساتقارى

Chronique de Jean. P. 440.

(٥)

ويرى بعض المؤرخين ان استيلاء المسلمين على الحصن كان خيرا انتقاسا
 للقبط من الروم الذين لم يراعوا حرمة عيد الفصح فأخرجوا في هذا اليوم القبط
 الارثوذكس الذين كانوا في سجن الحصن لرفضهم اتباع مذهب الامبراطور الديني .
 وأساءوا مما ملتهم فانها لوا عليهم ضوبا بالسياط وقطعوا أيديهم . (١) وفي الحقيقة
 كان هذا الاضطهاد هو حقة في سلسلة طويلة عانى القبط المصريون منها طويلا
 عبر العصر البيزنطي . ولا شك ان هذه الاضطهادات المتكررة كانت من العوامل
 التي دفعت بهؤلاء الاقباط الى كراهية الحكم البيزنطي وتقديم المعاونات للفاتحين
 العرب .

وبعد استيلاء عمرو بن العاص على حصن بابليون فكر في فتح الاسكندرية فقد
 رفض الامبراطور هرقل الصلح الذي تقدمه القوقس مع عمرو وبعث قوات بيزنطية كبيرة
 أغلقت ابواب الاسكندرية وتأهبت للقتال . (٢)

وخلال زحف عمرو بن العاص الى الاسكندرية لقي كثيرا من المساعدات والمعونات
 التي قدمها القبط المصريون فقد اصلحوا الطرق واقاموا الجسور . ولم يلبس
 عمرو اية مقاومة على طول الطريق من حصن بابليون الى الاسكندرية حتى يبلغ
 ثرثوط . (٣) حيث التقى بالقوات البيزنطية وانتصر عليها وهربت حاميات المدن
 الى الاسكندرية .

عسكر عمرو بن العاص قرب الاسكندرية وكان معه رؤساء القبط الذين قد مسوا
 الطعام للجنود العرب والملف لخيولهم ودلهم الى الطرق والمسالك المؤدية الى
 الاسكندرية . (٤)

Chronique de Jean. P. 447.

(١)

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٦

(٣) قرية بين الاسكندرية ومصر وسها اسواق كثيرة وكتيسة كبيرة ومناصر للمكسر

وساتين (ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٧)

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٧

والحقيقة ان أهل المدن المصرية اللججورة للاسكندرية انقسموا الى فريقين
فريق مع القائد البيزنطى المام تيودور وفريق آخر يؤيد الجيش المصرى . وانتشرت
فى البلاد حرب أهلية . فكان كل فريق يهاجم الفريق الاخر .

وفى الاسكندرية كان هناك بعض الحكام والقواد البيزنطيين الذين لاذوا بالفرار
الى الاسكندرية الى جانب بعضاها الى الدلتا من القبط والروم . وساد الاسكندرية
جو من الاضطراب والانقسام فقد تنازع الرؤساء والقواد والحكام كما انقسم اهل
الاسكندرية والمهاجرون اليها الى فريقين متخاصمين ونشب القتال بينهما وراحت ضحيته
اعداد كبيرة من الاواح . (١)

وكان الامبراطور هرقل حريصا على الاحتفاظ بالاسكندرية . فكان يقول :
" لكن غلبوا على الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكهم " . واخذ يستعد للخروج
بنفسه للدفاع عنها الا انه مات كعدا . فاشتد ساعد العرب وزادت تحاسنهم . (٢)

وتذكر بعض المصادر التاريخية ان العقوقس طلب من عمرو بن العاص انهاء
حصار الاسكندرية الصلح والمهادنة لمدة مميئة فرفض عمرو . ثم تقول هذه المصادر
" الا ان القبط فى ذلك يجبون الموادة " . (٣)

ولن نخوض ايضا فى تفاصيل فتح عمرو لمدينة الاسكندرية . وقد انتهت
الامر بعقد الصلح . وشروطه هى :

- ١- يدفع الجزية كل من دخل فى العقد .
- ٢- يبقى المسلمون فى اماكنهم دون تدخل فى اى عمل وبدون تعديل فى
اى وضع حتى يجلو جنود الروم .
- ٣- يجلو الجند الروم عن الاسكندرية خلال احد عشر شهرا ويحملون معهم
ممتلكاتهم ومنازلهم ومن اراد منهم الرحيل عن طريق البر يدفع جزية
شهرية حتى يتم رحيله عن ارض مصر .

Chronique de Jean. PP. 450 - 451. (١)

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٩

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٢ - ابن الاثير : الكامل ج ٢ ص ٣٩٧

- ٤- يأخذ المسلمون رهائنا دابة وخسين من المسكرين وخسين من المدنيين .
- ٥- لا تعود القوات البيزنطية ثانية الى الاسكندرية .
- ٦- يسود السلام ويتوقف القتال بين المسلمين والروم .
- ٧- يتعهد المسلمون بحماية كنائس المسيحيين ومنحهم الحرية الدينية .
- ٨- يسمح لليهود بالاقامة في الاسكندرية . (١)

أخذنا هذه الشروط عن المؤرخ حنا النقيوس وما لاشك فيه ان سماح عمرو بن العاص لليهود بالاقامة في الاسكندرية - اهم مراكز نشاطهم - كان مكافأة لهم لعدم تدخلهم في قتال المسلمين والتزامهم الحياد طوال احداث الفتح وفقى اليهود في الاسكندرية وأدوا للحكومة الاسلامية الجزية . (٢)

واذا ناقشنا شروط صلح الاسكندرية نجد ان الشرط الاول قد جعل اهالي الاسكندرية اهل ذمة يؤدون الجزية في مقابل الدفاع عنهم وتأمينهم على انفسهم ، وعلى مصالحهم وممتلكاتهم وكان هذا الشرط ايضا احد شروط صلح بابليون . ومن الشروط المشتركة ايضا في الصلحين حماية المسلمين لكنائس القبط وغيرهم من المسيحيين . وعدم التدخل في شئونهم الدينية اما فيما عدا ذلك فهي شروط خاصة بمدينة الاسكندرية وشعبها . مما يعيز هذا الصلح عن صلح بابليون .

بعد عقد هذا الصلح عاد القوقس الى الاسكندرية واخبر الحكام والقواد وكبار رجال المدينة من الروم بما تم بينه وبين عمرو بن العاص وما تضمنه الصلح مع المسلمين بينما لم يعلم سائرا اهالي الاسكندرية شيئا عن هذا الصلح . فلما قدم بعض المسلمين الى الاسكندرية لحمل الجزية المقررة في الصلح . اراد بعض سكان المدينة مقاومتهم الا ان جيش الروم حل دون ذلك فثار الشعب وانتشرت

Chronique de Jean, P. 455.

(١)

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٤ .
ابن بطريق : التاريخ المجموع ص ٢٦ .
ابن اياس : بدائع الزهور ج ١ ص ٢٢ .

الفوضى في الاسكندرية بل اراد وا قتل المقوقس ورجمه بالحجارة تعبيرا عن سخطهم لعقده الصلح مع المسلمين . (١)

وخرج المقوقس الى العظاهرين والثائرين لتهدئة روعهم وتوضيح حقيقة الموقف فمذكر انه اقدم على عقد هذه التسوية لمصلحتهم ولا نقاذهم هم وأطفالهم . وتوصل اليهم لقبول الصلح . وسلم أهالي الاسكندرية أخيرا بقبول الصلح وحملوا كثيرا من الاموال الى المقوقس ليدفع الجزية المقررة عليهم للمسلمين . وما تجدر الاشارة اليه ان المقوقس حمل الجزية بنفسه الى عمرو بن العاص (٢)

كان استقرار الحكم الاسلامي في الاسكندرية يقضى على كل امر في عودة الحكم البيزنطي الى مصر وقد فترت الحطاسة للقتال ورأى معظم اهالي مصر الدخول فيما دخل فيه سائر الناس من العهد . ومن ثم تم فتح كبير من لدن الدلتا صلحاً ، بعهد بين حاكمها وبين المسلمين ومن هذه المدن اخنا ورشيد والهرلس . وفرض الحرب عليهم في الصلح " دينارين على كل انسان جزية " وأزاق المسلمين التي جانب شروط سنة لا يخرجون من ديارهم ولا تنتزع نساؤهم ولا كنوزهم . ولا أراضيهم ولا يزداد عليهم . (٣)

وهكذا تم للحرب المسلمين فتح البلاد المصرية واستقرت الامور لهم فيها . الا ان الاسكندرية ما لبثت ان نقضت الصلح (سنة ٢٣ او ٢٥ هـ) (٤) ولا شك ان البيزنطيين هم الذين نقضوه وليس القبط المصريين . ونجح عمرو بعد جهود عسكرية عديدة في استرداد الاسكندرية . (٥)

Chronique de Jean. P. 456.

(١)

Ibid. P. 456.

(٢)

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح للبلطاص ص ٧٧

ابو عبيد : الاموال ص ١٤١ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٣

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٣٥

اختلف الكتاب المحدثون في الرأي حول موقف قبط مصر من العرب الفاتحين ومدى ترحيبهم بالمسلمين ، ومدى تقديم المساعدات اليهم .

وينسب المستشرق (توماس أرنولد) (١) النجح السريع الذي أحرزه الفاتحون العرب الى ما لقيوه من ترحيب المصريين الذين كرهوا الحكم البيزنطي الظالم ، ولما أضمره من حقد مرير على علماء اللاهوت فان البعاقة - وهم يكونون السواد الاعظم من المصريين - قد عملوا صامطة مجحفة من اتباع المذهب الطلكاني التابعين للإمبراطور .

وما لاشك فيه ان بعض القبط وقف موقف الحياد لان ترحيبهم بالعرب معناه انتقالهم من تبعية الى اخرى وهم بذلك لن يتمكنوا من اجلاء العرب والبيزنطيين مما وفي وقت واحد كما ان فرقا من القبط طرب الى جانب الروم البيزنطيين اذ كانوا يستوقمون اقتصار البيزنطيين على العرب (٢)

ويرى احد الكتاب المحدثين انه لما قدم العرب الى مصر فاتحين احتاجوا الى من يشد أزهرهم فوجدوا في القبط خير معين وان كان ليس هناك ما يدل دلالة واضحة على مساعدة القبط العرب في تقدمهم من العرش حتى فتح حصن بابليون ، الا انه من الثابت انهم لم يساعدوا الروم ضد العرب بل امدوا العرب بالعطش والمؤن وغيرها (٣)

ويرى (هاردي) (٤) ان القبط نظروا الى الفاتحين العرب على انهم منقذون ومحررون لهم ما كانوا يلاقونه ويمانون منه فقد كانوا يفضون الروم بغضاً شديداً لما قاسوا على يد القوقس وقد ادرك المسلمون حقيقة مشاعر القبط مما جعلهم اكثر جرأة وسالة في القتال .

(١) ارنولد : الدعوة الى الاسلام ص ١٢٣

(٢) سيده كاشف : مصرفى فجر الاسلام ص ١٨٦

(٣) على ابراهيم حسن : مصرفى المصور الوسطى ص ٤٨

(٤)

والحقيقة ان المصريين رحبوا بالفتح العربي الذي يقضى على الاوضاع القائمة
الظالمة والدليل على ذلك تمرد بعض القواد وعساكر بعض الطميات ورفضها قتال
المسلمين. (١) ويذكر (سيلفستر شولير) (٢) ان القبط لم يرتكبوا خيانة فسي
حق الدولة البيزنطية فقد كانوا من قبل ساخطين على فساد الادارة وسياسة الامبراطور
الدينية ولذا كان من الطبيعي ان يخضع القبط ويسلمون للمرب الفاتحين تخلصا
من طغيان الروم واستبدادهم ويؤكد المؤرخ رايه برواية تذكر ان الرهبان قد تركوا
أدبهم وانضموا الى الجند المسلمين ضد الرومان. كما انه عندما حاول البيزنطيون
غزو مصر ثانية كان موقف القبط اكثر وضوحا. وقد انطزوا الى جانب المسلمين وقد موأ
اليهم كل مساعدة ممكنة.

ويذهب كتاب محدثون آخرون مذهباً مخالفاً، فينفون الآراء التي تذهب
الى ان القبط رحبوا بالفاتحين العرب وقد موأ لهم المون والمساعدة. وهؤلاء الكتاب
يستندون في آرائهم على ان المسلمين اخفقوا في فتح بعض المناطق ووجدوا كثيراً
من الصعوبات والمعوقات في فتحها. (٣)

ويقف بعض الكتاب المحدثين موقفاً وسطاً فيذكرون ان القبط قد انقسموا
الى فريقين متميزين في موقفهم فقد انطز فريق منهم الى الروم بينما ابدى فريق
آخر ترحيبه بالعرب. (٤)

ومعد هذا الصرض لا راء الكتاب المحدثين حول موقف القبط من الفاتحين
العرب يمكننا ان نقول انه مما لا شك فيه ان كثيراً من القبط قد ساعدوا العرب
في تقدمهم في الاراضى المصرية وقد موأ لهم كل مساعدة وكل تأييد ممكن.

The Encyclopedia of Islam, Art Kibt, Vol.2.P.990 (١)

Sylvester Chaileur: Histoire des Coptes, PP.93-94 (٢)

(٣) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٢٥٩ وما بعد ها .

(٤) اسد رستم : الروم جا ص ٣٥٢-٣٥٣

وكان ذلك نتيجة ^{البيضية} لما قاموه من الاضطهاد والمصنف لمدة عشر سنوات • ونستند
في ذلك على أقوال ^{المؤرخين} المؤرخون القدماء •

فقد كتب اسقف القبط بالاسكندرية (ابو ميامين) عند قدوم الجيش العربي الى
مصر الى القبط يسخير عليهم بالتحريض بالعرب فلم تكن للروم دولة كما قدم قيسط
الفرما كثيرا من المساعدات للجيش العربي • (١) مما فتح الطريق امام العرب وكتاب
هرقل الى القوقس يوضح حقيقة موقف القبط وكراهيتهم للقتال • واستعداد ادهم لدفع
الجزية وقد جاء في هذا الكتاب : " . . . انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا • وبصر
من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واجبوا أداء
الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك من بصر من الروم وبالاسكندرية ومن
ملك اكثر من مائة ألف " • (٢)

ومن الروايات القديمة التي تثبت ترحيب القبط بالعرب وتقديم المعاونات
لهم هذه الرواية : " ان عمرو بن العاص قد خرج بالمسلمين حين امكنهم الخروج
من حصن بابليون ومعه جماعة من رؤساء القبط • وقد اصالحوا لهم الطريق ولقاصوا
لهم الجسور والاسواق وصارت لهم القبط اعوانا على ما ارادوا من قتال الرومان " •

وأما ببعض المؤرخين صراحة الى ان مساعدة القبط للعرب الفاتحين ظهرت
بوضوح بعد فتح العرب لاقليم الفيوم • (٣)

والحقيقة ان العامل الرئيسي لنجاح الفتح العربي لمصر ولنهاية الحكم
البيزنطي هو السياسة التي انتهجها الامبراطور هرقل والمعاملة التي عامل
بها القبط الارثوذكس وما لقيه هؤلاء القبط من بطرك الملكانيين • وقد رأى بعض
المصريين انهم لا يخشون شيئا اذا تقبلوا الحكم العربي بدلا من الحكم البيزنطي

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥٤-٥٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٦٤

Chronique de Jean. PP. 439 - 448.

(٣)

فكل من الحكمين بالنسبة لهم حكم اجنبي وقد خبروا حكم الروم سنوات طويلة وغانموا من فسادهم ومظالمهم وتوقموا ان يكون الحكم العربي أخف وطأة او اكثر تسامحا وخاصة ان العرب يدعون بعقيدة تخالف عقيدة المصريين المسيحية فتنتهي بذلك الخلافات الطائفية التي سادت دهرها وادت الى اضطهاد القبط كما كان كثيرا من القيسية قد سمعوا بسياسة التسامح التي اتبعتها العرب الفاتحون نحو المسيحيين في بلاد الشام .

كما ان الجزية التي فرضها العرب وقبيلها القبط كانت تتضاءل كثيرا اذا قارنوها بالضرائب الباهظة التي كان يؤديها المصريين للدولة البيزنطية وقد اثقلت كواهلهم وادت الى كثير من المساويء الاقتصادية ولمس قبط مصر تواضع العرب وساطتهم مما شجعهم على الخلاص من سياسة التفرقة المنصرية التي اتبعتها الروم في حكمهم مصر .

اما يهود الاسكندرية فقد كانوا قد استقروا دهرها طويلا في هذه العاصمة وامتزجوا باهلها من القبط المصريين . وشاركوهم ظاهريا مشاعرهم وكراهيتهم للحكم البيزنطي . وهؤلاء اليهود وان كانوا في الحقيقة ينفضون الطائفتين المسيحيتين على السواء لاختلافهم معهم في العقيدة الا انهم آثروا اخفاء بغضهم . حرصا ونهم على مصالحهم المادية ونشاطهم الاقتصادي .

وكان الفتح العربي مفاجأة ليهود الاسكندرية وقد جعل موقفهم حرجيا . فقد كانوا في الحقيقة لا يريدون اقتحام انفسهم في معارك حربية او خلاف سياسي . او نزاع طايفي ويريدون التفرغ التام لنشاطهم الاقتصادي الواسع النطاق الذي يمارسونه منذ سنوات طويلة في الاسكندرية مما جعلهم يسيطرون على كثير من المرافق الاقتصادية وقد خشوا نتائج مساعدتهم للسلطات البيزنطية الطغمة . فقد تحقق النصر للعرب كما تخرجوا من تأييد الفتح العربي فقد يكون النصر للروم مما يمرضهم لمخطهم واضطهادهم . كما كان هؤلاء يكرهون اليهود ويدركون حقيقة مشاعر القبط المدائية نحو الروم .

ولهذه الاسباب كلها ، آثر اليهود انتهاج سياسة الحياد التام والوقسوف
موقفا سلبيا تجاه الاحداث الدائرة في داخل الاسكندرية وخرجها . وفي الحقيقة
لم يكن العرب الفاتحون في حاجة الى معاونة هؤلاء اليهود فعدد هم قليل اذا قارنهم
بعدد القبط الذين يمثلون غالبية سكان مصر . كما ان اليهود لم يكونوا قوة عسكرية
يل اتجه كل اهتمامهم الى الشؤون الاقتصادية . وقد قدر العرب لهؤلاء اليهود
موقفهم فسمحوا لهم بالبقاء في الاسكندرية .

وقد كان العرب في الحقيقة - على جانب كبير من الفطنة والذكاء . حينما
اتخذوا هذا الموقف من اليهود فقد كان هؤلاء اليهود في الاسكندرية هم عصب
النشاط الاقتصادي وكان جلاؤهم ون المدينة يوقف هذا النشاط في وقت يريد
العرب الفاتحون تحقيق الاستقرار . ولاشك ان الاقتصاد هو اساس الاستقرار السياسي
والاداري والاجتماعي . كما ان العرب أرادوا ان يثبتوا لجميع اهالي مصر انهم
يكافئون كل من لم يقف موقفا عدائيا . كما كان العرب يخشون من مطولة السروم
استمادة الاسكندرية ، ولهذا رأوا ان يضمنوا حياد اليهود مرة أخرى .

وفضلا عن ذلك كانت هذه السياسة التي انتهجها العرب المسلمون نحو
اليهود هي جزء من سياسة التسامح الاسلامي نحو اهل الذمة في كل مكان . موسى
شجعهم على الاقبال على الاسلام وعلى تعلم اللغة العربية ثم الاندماج في الحياة
العربية .

٢- القبائل العربية الواقعة على مصر

تم الفتح العربي لمصر في سنة ٢٠ هـ (٦٤١م) وأخذ العرب المسلمون يتوافدون على مصر بعد الفتح سواء أكانوا جنودا أم مهاجرين إذ استهوتهم مصر وما سمعوا عن خيراتها وثروتها . وبقى السنين ازدادت هجرة القبائل العربية النازحة الى مصر وامتزج العرب بالمصريين الذين ^{صحوا} بلغتهم ودِينهم لأول مرة في تاريخهم الطويل طواعية واختيارا ليصبحوا جزءا من الامة العربية الاسلامية .

قدم عمرو بن العاص الى مصر فاتحاً ومعه اربعة آلاف جندي ، ثم تبعه الزبير بن العوام بعدد قدر يائس عشرة آلاف جندي . (١) ثم وفدت قوات اخسرى مع عبد الله بن سعد بن ابي سرح . ولو تتبعنا عدد من وفدوا على مصر من العرب في ربح القرن الاول من الفتح (١٨-٤٣هـ) لوجدناهم يهضغ عشرات من الالوف ، نزلوا مصر واقاموا في القسطنطينية والجيزة والاسكندرية وبعض جهات الصعيد . (٢) كما ان قوات الجيش العربي لم تقم بصفة دائمة في القسطنطينية التي بنيت كحصن لها ولكنها كانت تتحرك داخل البلاد لاسباب مختلفة تتعلق بالامن ، وايضا للعناية بالخيول وتسميتها فيما يعرف بالارتباع .

ومن اجل تأمين البلاد واحكام السيطرة عليها كان لا بد من اقامة قوات من الجنود في الثغور وعلى سواحل مصر بصفة دائمة وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي باسم (الهاط) (٣) ونظرا لاهمية الاسكندرية واهمية موقعها خصها عمرو بن العاص بربيع قواته وجعل بها آخرها في بقية السواحل على حين اقام النصف الباقي من قواته معه في القسطنطينية . (٤) كما كانت حامية الاسكندرية تستبدل كل ستة اشهر بقوات اخرى وربما كان ذلك لتجدد نشاط وحيوية هذه الحامية وتكون دائما على اهبة الاستعداد لصد محاولات الغزو الاسكندرية .

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص٩

(٢) القزويني : البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب (تحقيق عبد المجيد

طابدين) ص٩٥

(٣) عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة

الاولى للهجرة ص٤٩

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص١٩٢ .

فيقول ابن عبد الحكم (١) : " وكان يصير بالاسكندرية خاصة الريح في الصيف بقدر ستة اشهر ويمقب بعدهم شاتية ستة اشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من اصحابه واتخذوا فيه اخاذا " .

كما كان الخليفة عمر بن الخطاب يرسل في كل سنة غازية من اهل المدينة تروابط في الاسكندرية على ان العرب الذين اتاموا في الاسكندرية لم يخطبوا بها وانما سكنوا منازلها ، فمن اخذ منزلا نزل فيه هو واهله " فكان الرجل يدخل الدار فيركز رصحه فيها فتكون له ولاهله " . (٢)

ومن اشهر القبائل العربية التي سكنت الاسكندرية (لخم) و (جزام) و (كندة) و (الازد) و (الحضرية) و (خزاعة) و (العزاعة) وغيرها وكلها يمنية . وقد عهد اليها عمرو بن العاص بحراسة المدينة والدفاع عنها . (٣) واستمر وفود القبائل العربية على الاسكندرية كما اخذت حاميتها في الازد ياد كلسا استشعر المسلمون الخطر على الاسكندرية ففي خلافة معاوية بلغت طامية الاسكندرية اثنا عشر الفا زدت حتى وصلت الى سبعة وعشرين الفا بقيادة علقمة بن يزيد الخطيفي . (٤) ولا ريب ان اقامة هذه الاعداد الكبيرة في الاسكندرية وفي مثل هذا الوقت المبكر من الفتح كان لها اثرها الكبير في التعريب .

كذلك وزج عمرو بن العاص بربع قواته على السواحل فيما بين الصرير ولوبيسة فأقامت القوات العربية في القرما والاشتم ودمياط والبرلس ورشيد كما كان يقيم في تلك الثغور فرق من المتطوعة وجماعات من اهل الديوان . (٥)

(١) المصدر السابق ص ١٣

(٢) المصدر السابق ص ١٣٠-١٣١ - البلاذري - فتوح البلدان ص ٢٣

(٣) المقرئزي : البيان والاعراب ص ٢٧ - المبادئ : تاريخ البحرية الاسلامية ص ١٦

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٩٢ - المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٣٠١

(٥) المقرئزي : الخطط ج ١ ص ٢١١ - عبد الله خورشيد البري : القبائل

العربية في مصر ص ٥٠

وقد صاحب انتشار القوات العربية على طول الساحل الشمالي لمصر بنسبة مدينة الفسطاط واستقرار القبائل العربية بها . فلما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية اخبط داره في موضع فسطاطه وبنى بجوارها المسجد الجامع ، كما بنى بجانبها دارا اخرى لابنه عبد الله عرفت باسم الدار الصغرى . (١) واقبلت عليه القبائل تتنافس في المواضع ، فولى عمرو على الخطط (اى الطرقات) معاوية بن خديج النجيسى وشريك بن سمي الشطيفى ، وعمرو بن فحزم الخولانى ، وحمويل بن ناشرة المحافرى ، فكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين القبائل ، وذلك في سنة ٢١ هـ . (٢)

واخطت حول دار عمرو والمسجد أهل الراية (٣) من قرشوا لانصاره ، وأسلم وقتار وجهينة وغيرهم ممن لم يكن لمشيرته عدد كبير عند الفتح . وحول خطة أهل الراية اخطت بقية القبائل مثل مهرة ونجيب ولخم وعافق ومذحج وغليف والمحافر وبنى وائل وغيرها . وأخذ العرب يقدون على الفسطاط حتى كان بها في خلافة معاوية بن ابي سفيان أربعون ألفا . (٤)

واستمرت مدينة الفسطاط في النمو والانتعاش في الفضاء الواقع شمالى بالبيون بين النيل وجبل القطم على الضفة النيل الشرقية . وقد فضلت بمسكن القبائل كهمدان ومن والاها (مثل آل ذى اصبغ من حمير وياض وغيرهم) سكنى منطقة الجيزة غرب النيل . فخاف عليهم عمرو لان النهر يحول بينه وبينهم .

-
- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٦ وطبعها - القرزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٦
 - (٢) القرزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٦ - ابن دقماق : الانتصار لواسطة عمدة الامصار ج ٤ ص ٣
 - (٣) أهل الراية : خليط من قبائل مختلفة شهدوا الفتح مع عمرو ولم يكن لكل منهم من العدد ما يمكنهم من الانفراد تحت اسم واحد . (ابن عبد الحكم ص ١١٦ - القرزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٦)
 - (٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨ - القرزى : الخطط ج ١ ص ٢٩٧

فكعب الى الخليفة عمر بن الخطاب بشأنهم فأمره بان يجمعهم عليه فان أبوا فليمن
عليهم حسنا من في المسلمين فمرض عليهم عمرو ذلك فأبوا ، فبنى لهم حصنا
في الجيزة سنة ٢٢ هـ . (١)

كذلك بلغ العرب الفاتحون أقصى الصعيد منذ سنوات الفتح الأولى في صحبة
عبد الله بن سعد بن أبي سرح عندما كان أميراً على الصعيد . (٢) حيث اتخذ
مقرًا رتبته في أقصى الصعيد في المنطقة التي كان يسكنها نوبة مصر . واستقر معه
بالطبع عدد كبير من العرب ، وكان ذلك سنة ٢٢ و ٢٢ هـ . (٣) أما حلة عبد الله
ابن سعد على النوبة سنة ٣١ هـ فقد رت بمحشرين ألف مقاتل . (٤) وهو عدد
كبير ولا شك وكان له تأثيره على الصعيد . ويذكر القرظي (٥) ان بلدة القيس
التي تجاوز البهنسا سميت باسم رجل عرس يدعى القيس بن الطارث كان عمرو
قد بعثه الى الصعيد فسار حتى أتى مدينة القيس هذه ، فنزل بها فسميت
باسمه .

وهكذا انتشر العرب منذ سنوات الفتح الأولى في الاسكندرية وعلى طول
الساحل الشمالى وفي الفسطاط ، كما انتشروا في الصعيد .

وهناك عامل مهم ساعد على انتشار العرب في ريف مصر في وقت مبكر ،
وهو خروج العرب الى الريف في فصل الربيع وهو ما يعرف بالارتجاع ، فكانوا
ينطلقون الى القرى والحقول ، يعربون من لبنها ويأكلون من خيراتها .

(١) القرظي : الخطط جا ص ٢٠٥-٢٠٦ ، ابن سعيد : المغرب فسى

ذكر بلاد افريقية والمغرب ص (١)

(٢) السيوطي : حسن المطهرة جا ٢ ص ٣

(٣) القرظي : البيان والاعراب ص ٩٦

(٤) القرظي : الخطط جا ص ٢٩٩

(٥) الخطط جا ص ٢٠٤

ويتحركون خيولهم ترمى لتسمن وتشتد . فكان اذا جاء وقت الربيع كتب الوالى لكل قوم
ببريمهم ولبنهم الى حيث اجوا وحدد لهم القرية التى يذهبون اليها وكميات
اللبن والخراف التى يسمح لهم بالحصول عليها من المصريين . (١) مع التنبيه
على العرب بحسن معاملة من جاورهم من القبط . (٢) فتخرج القبائل الى القرى
التى حددت لها يشربون من لبنها ويأكلون خرافها ويطلقون خيولهم فى حقول
البرسيم . (٣) حتى اذا انتهى فصل الربيع و" يبر العود وسخن العمسود
وكرر الذباب وحض اللبن . وانقطع الورد عن الشجر " . (٤) عدوا ثانياً
الى فسطاطهم .

وكان لكل قبيلة او بضع قبائل مرتبع خاص بها ، فكانت قبائل بلى وممراد
وآل ابرهة تأخذ مرتبعها من منف ، وآل عمرو بن العاص ، وآل عبد الله بن
سعد ونجيب ياخذون فى وسيم (قرب الفسطاط) وآل فهم وآل ابرهة والمعافر
فى منف . وفى الشمال الشرقى والذى عرف فيما بعد بالحوف الشرقى ، كانت
قبائل عمار وأسلم ووائل تأخذ فى بسطة وقريبط وطرابية . وكانت المعافر
فىى اتريب وحضرموت فى عين شمس وأتريب وطائفة من لخم وجذام فى صمان
وأبليل وطرابية . وفى الشمال كانت حمير وعدوان تأخذ فى بوضير ومهرة وحضرموت
فى بناء والمعافر فى سخا ، ومدلج فى خريتا .

اما فى الجنوب فكانت حركة الاتباع اقل فعراء كانت تأخذ فى الفيوم ، وحمير
تأخذ فى أهناص . اما فى الصعيد الاوسط فكانت ترتبع قبيلة واحدة هى خولان
التى كانت تأخذ فى أهناص والقيس والبهنساء . (٥) ويلاحظ ان معظم القبائل
كانت تتركز حول الفسطاط شمالا وجنوبا وشرقا وغربا فى شبه دائرة . بينما

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق ص ١٤١-١٤٢- القزيرى : الخطط ج ٢ ص ٢٦٠

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤١- القزيرى : الخطط ج ٢ ص ٢٦٠

يقبل الانتشار كلما ازداد الاتجاه شمالا او جنوبا . (١) وبعض هذه القبائل
كان يستقر بصفة دائمة في منطقة الارتجاع ، فقد أقامت قبيلة مداح بخيرتا واتخذتها
منزلا ، وكان معهم نفر من حمير حالقوهم فيها ، فهي منازلهم . (٢) كذلك
استقرت بعض القبائل في الشمال الشرقى (الحرف الشرقى فيما بعد) من لخم
وجذام الذين نزلوا في صان وأبليل وطرابية . (٣)

وهكذا كانت حركة الارتجاع المنوية عاملا مهما في اختلاط العرب
بالمصريين وتعريف كل فريق على الفريق الاخر منذ سنوات الفتح الاولى ما كان له أثر كبير
في تعريب مصر ونشر الاسلام فيها فيما بعد وفي فترة وجيزة .

وبالاضافة الى الروابط والارتجاع ساعدت الضيافة على الامتزاج والاختلاط
بين العرب والمصريين فقد كان على المصريين ان يستضيفوا من ينزل عليهم من
المسلمين ثلاثة ايام يقدمون لهم فيها بالطعام والمأوى . (٤) فضلا عن العلاقات
اليومية من معاملات وبيع وشراء وتعامل مع الحرفيين والزراع والباثمين الاقباط
ما يزيد الصلات من اجل المنفعة المتبادلة مع سيطرة العرب وقيامهم الانسانية ،
ورعايا دينهم بحسن معاملة أهل الكتاب . (٥)

والمعروف ان القبائل العربية في مصر لم تشتغل بالزراعة في اول الامر ،
لان الخليفة عربى الخطاب كان قد نهى الجند العرب عن الاشتغال
بالزراعة او شراء الاراضى الزراعية حتى يكونوا على استعداد دائم للفرار
والجهاد . (٦) وفي نفس الوقت ضمن لهم معاشهم وأرزاق عيالهم وان عيالهم
قائم وان رزق عيالهم سائل ، فلا يزعمون ولا يزعمون . (٧) ولما طلب شركه بين

(١) البرى : القبائل العربية في مصر ص ٤٦

(٢) القريزى : الخطط ج٢ ص ٢٦١

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤

(٤) المصدر السابق ص ٢٠ - ابن سعيد : المغرب ص ٢٩

(٥) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر ص ٥٥

(٦) القريزى : الخطط ج٢ ص ٢٥٩ - مصطفى صمد : الاسلام والتنمية

في المصور الوسطى ص ١١١

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢

سكى القطيفى من عمرو ان يأذن له بالزروع ، قال له عمرو : ما أقدر على ذلك
فزرع شريك من غير اذن عمر ، فطلب الخليفة ارمال شريك اليه فى المدينة . وكساف
شريك ان يتعرض لعقاب عمر بن الخطاب لولا انه قيل اخيرا توتته . (١)

وهذا يفسر لنا اصرار عمر بن الخطاب على عدم اشتغال الجند المصرب
بالزراعة حتى يتفرغوا للزروع والجهاد ، طالما ضمن لهم عطاءهم وأزاق عيالهم ،
علاوة على نصيبهم من غنائم الحرب . وبناء على أوامر الخليفة دون عمرو بن العاص اسما
القبائل واعطياتهم فيما يحرف بالتدوين الاول ، (٢) ونظمها فى الديوان الممسد
لهذا الغرض فى القسماط . وحرصا على تنظيم عملية العطاء فيما بعد جعل الخليفة
معاوية بن ابي سفيان على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا يمر كل يوم على أهلها
فيقول : " هل ولد الطيلة فيهم مولود ، وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال ولد لفلان
غلام ولفلان جارية " . (٣) فيكتب اسماهم ثم يذهب فيثبتها فى الديوان .

ويلاحظ ان القبائل العربية لم تشتغل بالزراعة طوال القرن الاول الهجرى
فى مصر كما ان معظم القبائل التى وفدت على مصر فى هذه الفترة كانت من المجموعة
السبئية فيما عدا جماعات قليلة من المد تانية (القيسية) سكنت القسماط ولم يكن
لكل بطن من هذه الجماعات من الحدود ما يتفرده بدعوة من الديوان ، فأسكنوا
هم وفئات اخرى من المجموعة السبئية خطة واحدة سميت بخطة أهـ
الرايسة . (٤)

وظلت القبائل السبئية تمثل غالبية عرب مصر حتى عهد الخليفة الاموى
هشام بن عبد الملك (٥٥ - ١٢٥ هـ) وكان والى مصر الوليد بن رقاة قد ولاء
هشام على صلاتها سنة ١٠٩ هـ بينما كان عامل الخراج هو عبيد الله بن الحجاب (٥)
فوفدا بن الحجاب على الخليفة هشام وسأله ان ينقل الى مصر بيوتا من قيس

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢ - القزيرى : الخطط ج ٢ ص ٢٥٩
(٢) التدوين هو تسجيل اسما القبائل واحصاؤها . وارجاع كل فرع الى اصله ،
وكان التدوين الاول لعمرو بن العاص والثانى لعبد العزيز بن مروان (سنة
٦٥ هـ) والثالث لقرة بن شريك (سنة ٩٠ هـ) والرابع ليشرب بن صفوان
(١٠١ هـ) - القزيرى : الخطط ج ١ ص ٩٤ - ابو الحسن : النجوم
الزاهرة ج ١ ص ٢٤٤

في نسخة
الخطوط
الرقمية
الرقمية

(او عرب الشمال) وكانت القيسية اقلية في مصر كما كان ابن الحجاب من موالي قبييلة سلول القيسية . (١) فاذن له هشام في الحطاق ثلاثة آلاف منهم . وتحويسل ديوانهم الى مصر على الا ينزلهم القسلاط . (٢) فجاء بهم ابن الحجاب وأنزلهم بالحرف الشرقي وفوقهم فيه . وامرهم بالاشتغال بالزراعة . (٣) ومنحهم امولا من صدقة العشور فاشتروا ابلا فكانوا يحطون الطعام الى القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر المشرة دنانير واكثر واقل ثم امرهم باشتراء الخيول . فحصل الرجل منهم يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤنسة في اعلاف ابلهم ولا خيلهم لجودة مرعاهم . (٤) فلما علم قومهم في البادية بما هم فيه من خير اخذوا يتوافدون عليهم في الحرف الشرقي حتى بلغ عدد هم في ولاية محمد بن سعيد على مصر سنة ١٥٢ هـ خمسة آلاف ومائتي اهل بيت صغيرا وكبيراً .

ولاشك انه حدث تحول خطير نتيجة السطح لتلك القبائل بالزراعة ، بمسند ان كان الاشتغال بالزراعة ممنوط . فقد ساعد اشتغال العرب بالزراعة على سرعة اختلاطهم بأهل البلاد مما عجل بانتشار الاسلام واللغة العربية في مصر وفسى هذا يقول المقرئ (٦) : " ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد الطاعة مسن

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٢ - المقرئ : الخطط ج ١ ص ١٤

(٤) المقرئ : البيان والاعراب ص ٩٨ - ٩٩

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٥ - ٧٦

(١) المقرئ : البيان والاعراب ص ١٠

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٣ - الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٦

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٧٧ - المقرئ : الخطط ج ١ ص ٨٠

(٤) الكندي ص ٧٧

(٥) المصدر السابق

(٦) الخطط ج ٢ ص ٢٦١

تاريخ الهجرة ، عندما انزل عبدالله بن الحجاب مولى سلول قيما بالحرف
الشرقي ، فلما كان في المائة الثانية من سني الهجرة ، كثر انتشار المسلمين
بقري مصر ونواحيها .

والى جانب القبائل المصرية التي كانت تغد الى مصر ، جرت عادة معظم
الولاة على ان يصحبوا معهم الى مصر اعدادا من الجند المربي (١) ففي سنة
٦٤ هـ ارسل مروان بن عبد الحكم ابنه عبد العزيز واليا على مصر فقدم بها ومعه
جيش . (٢) وفي بعض الاحيان كان يبلغ عدد الجند المصاحب للوالي عشرين
الفا ، فقد صاحب حميد بن قحطبة والى الخليفة العباسي ابي جعفر المنصوره
عشرين الفا من الجند سنة ١٤٣ هـ . (٣) اما والى هارون الرشيد سلعة بن
يحيى فقد قدم الى مصر سنة ١٧٢ هـ ومعه عشرة آلاف من الجند . (٤) واستقر
كثير من هؤلاء الجند في المدن والقرى وتزوج بعضهم من فتيات مريسات . (٥)
كما ان معظم الولاة كانوا يقدمون الى مصر ومعهم آلاف من ابنا عشيرتهم ليكونوا
لهم عونا وسندا . فقد اتى الحوشرة بن سهيل الباهلي الى مصر سنة ١٢٩ هـ ،
ومعه آلاف من الابناء ، كذلك قدم هرثة بن اعين واليا على مصر في عهد
الخليفة هارون الرشيد سنة ١٧٨ هـ فدخل مصر ومعه ألف من الابناء أنزلهم
بليبس . (٧) والمصروف ان هؤلاء كانوا يصحبون معهم زوجاتهم
وابناءهم .

(١) كانت الجيوش في مصر الاموي من المربي بينما ضمت في العصر العباسي
خراسانيين واتيكا .

سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ص ١٣٦

(٢) المقرئى : الخطط ج٢ ص ٣٧٧

(٣) الصدر السابق ج١ ص ٣٠٦

(٤) ابو المطاسن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٧١

(٥) Lane-Poole : Hist. of Egypt. P. 29.

(٦) المقرئى : الخطط ج١ ص ٣٠٣

(٧) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٤٧ .

البنود المرفوعة

وقد جرت العادة على ذلك مع أغلب الولاة العرب الذين حكموا مصره
حتى عهد عزيمة بن اسحاق الضبي والى مصر فى عهد الخليفة العباسى المتوكل
على الله ، وهو آخر وال مصرى حكم مصر فى عصر الولاة ، ويحده أخيراً
العباسيون يولون عناصر غير عربية. (١)

(١) ابرالمطامن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٨٨

٣- اثر بناء القنطاط في اتخاذها

مركزا للتعريب

لم يكن الفتح العربى لمصر هو بداية الاتصال بين العرب والمصريين، فقد قامت ببعض الطرفين علاقات قديمة، وكان اهم وسائل الاتصال بين العرب والمصريين قبل الاسلام عن طريق التجارة، فعلى الشمال عند شبه جزيرة سيناء كانت تلتقى الصحراء الشرقية ببلاد العرب لقاء دائما او من الجنوب حيث يشتد اقتراب جزيرة العرب من افريقية عند باب المندب فلا يفصل بينهما سوى خمسة عشر ميلا. (١)

ويبدو من اقوال (هيرودوت) ان الاقسام الشرقية من مصر ولا سيما المتصلة بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية. (٢) وكان بعض الاعراب والتجار العرب يقدون الى الصعيد بطريق البحر الاحمر وروديان الصحراء الشرقية منسذ امد بحيد حتى ان الطون والجغرافى الرحالة (استرابون) قال عن مدينة (قفط) بالصعيد انها مدينة مشاع بين المصريين والعرب. (٣)

وكانت بعض الهجرات العربية التى تخرج من شبه الجزيرة العربية قبيل الاسلام - فى الجاهلية - يقد بعض منها الى مصر والشام وتشير بعض المصادر الى " ان قبائل من بلن التى امتدت ارضها الى برونخ السويس " (٤) كان منهم عدد كبير فى مصر فى عهد ظهور النصرانية. وكانت منطقتهم ما بين القصير وقتنا وعليهم كان الاعتماد فى نقل التجارة. (٥) وقد ازدادت اواصر الارتباط بين العرب والمصريين بتحقيق القرباى الدموية فقد قيل " ان ام العرب - هاجرو

(١) حتى : تاريخ العرب ج١ ص ٤ - جولد، ولسون : الحضارة العربية ص ٤٢

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ١

(٣) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص ٣٤٢

(٤) الهمذانى : صفة جزيرة العرب ج١ ص ١٣١ - العفرى : البيان والاعراب ص ٨٤

(٥) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ص ١٠٧

ام اسماعيل بن ابراهيم الخليل من القبط من قرية نحو القلوا واسماعيل ابو المسرب كلها * (١) ويقول (بتلر) (٢) انه في اواخر العصر البيزنطى فى مصر كان يعيش بالاسكندرية كثير من المسرب الى جانب غيرهم من الافريق والقبط والسوريين واليهود *

وقبيل الفتح العربى كان التجار المسرب قد اعدوا دخول مصر فكان عمرو بن الحاصر جازا فى الجاهلية وكان يختلف بتجارته وهى الادم (الجدد) والمطر السى مصر * وكان يشهد اعياد اهل الاسكندرية والعاينهم * (٣) وربما اتاحت له ظروف قدومه الى مصر مارا الفرس لمصر فطرق مصر وسالكها * ومن قدم الى مصر فى العصر الجاهلى للتجارة ايضا عثمان بن عفان والمغيرة بن شعبه * (٤)

وبانجاب الرسول عليه الصلاة والسلام ابنه ابراهيم من كاتبة القبطية تأكدت الصلات الدوية والقربانية العنصرية بين المسرب والمصريين * وقد رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالقبط خيرا * فقد اشرعنا فيه قال : " استفتح عليكم بمسدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم منهم صبها وذمة * " (٥)

وقد ذكرت مصر فى بعض المواضع فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى : (اهبطوا مصر فان لكم ما سألتم) (٦) وقوله عز وجل (ادخلوا مصر ان شاء الله آمين) (٧) وقد كان ذلك تأكيدا للصلات بين العرب والمصريين وتدعينا روحيا للعلاقات بينهم *

-
- (١) سورة ابن هشام ج١ ص ٨٧-٨٨ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢ - الكندى : فضائل مصر ص ٢٥
- (٢) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٦١
- (٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥ - الكندى : الولاة والقضاة ص ٧ - السيوطى : حسن المظنونة ج١ ص ١١٣
- (٤) السيوطى : حسن المظنونة ج١ ص ١٦
- (٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢ - الكندى : فضائل مصر ص ٢٦
- (٦) سورة البقرة آية ٦١
- (٧) سورة يوسف آية ٩٩

وكان الفتح العربي الاسلامي لعصر وغيرها حدثا فذا في تاريخ العلاقات الدولية تخضعه تغيير جذري لام كثيرة. فقال ولفنسون : ان الهجـرة العربية الاسلامية بمد ظهور الاسلام الى جميع اطراف العالم كانت آخر حداث سامي عظيم وقع في الجزيرة العربية واخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الارض وهزت العالم بأسره هذا عنيفا وصدرت عنه توجعات فكرية ونفسية عظيمة شملت اصقاع اسيا وافريقيا واروپا . وكان من نتيجتها ان تغيرت ام كثيرة هناك . وانقلبت منها كل جوانب الحياة من سياسية ودينية واجتماعية وعمرانية مما ادى الى نتائج خطيرة جمعت التاريخ البشري في كل هذه الاتجاهات يتجه اتجاهها **جديدا** . (١)

وقد كان الفتح العربي الاسلامي لمصر حدثا عميقا في حلحلة العلاقات العربية المصرية وله اثره الواضح في التاريخ المصري فقد بدأ العصر العربي الاسلامي واصبحت القسطنطينية عاصمة لمصر ومركزا لاشعاع الاسلام والمروءة طمس **مصر** .

اعتاد العرب في قوتهم ان يؤسسوا في الاقطار التي يفتحونها مدنا اسلامية عربية جديدة وبها لاتتصار الاسلام وللحماية العربية وكانوا يتخيرون اماكن هذه المدن الجديدة .

وفي مصر اسس القائد العربي الفاتح عمرو بن العاص مدينة القسطنطينية بعد فواحه من فتح الاسكندرية الفتح الاول (٢) . ويشير المقرئ الى ان **انشاء مسجد عمرو بن العاص الجامع كان نواة تأسيس مدينة القسطنطينية** ، فيقول : **..... ولما افتتح عمرو مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا**

(١) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١١٢

(٢) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٢٨٦

المسجد
الذي
الاساس
الذي
الاساس

كذلك الحصن - أي حصن بابلين - واخطت الجامع المعروف بالجامع المتيسق
 وجامع عمرو بن العاص * واخطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت
 بالقسطاط ونزل الناس بها * (١)

وقد تعددت آراء المؤرخين حول سبب اختيار عمرو بن العاص لموقع هذه
 العاصمة العربية الاسلامية الجديدة كما اختلفت الآراء حول تسمية القسطاط وسنذكر
 بعض هذه الآراء التي بين اجماد عروة مدينة القسطاط وعروية تسميتها *

ومن هذه الآراء ما يشير الى اختيار العرب مواقع المدن الجديدة بمسيدة
 عن السواحل وتشير الرواية الى ان " عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها
 وناهاها * هم ان يسكنها وقال ساكن قد كفيهاها * وكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب
 يصفها له ويستأذنه في اتخاذها عاصمة فسأل الخليفة رسول عمرو : هل يحول بيني
 وبين المسلمين ما؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل * فكتب عمر الى عمرو :
 اني لا احب ان تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيفه
 فتحول عمرو من الاسكندرية الى القسطاط وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي
 وقاص وهو نازل بدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل
 بالاسكندرية الا تجعلوا بيني وبينكم ما * حتى ارددت ان اركب اليكم راحتى حتى
 اقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن ابي وقاص من بدائن كسرى الى الكوفة وتحول عتبة
 ابن غزوان الى البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى القسطاط * (٢)

وهناك روايات لا نيل كثيرا الى تصديقها وهي تشبه الروايات التي احدثنا
 ان نجدها في مصادرنا التاريخية ترتبط بنشأة المدن الاسلامية فتذهب هذه
 الروايات الى ان عمرو بن العاص حين اراد التوجه لفتح الاسكندرية بعد امتياله
 على حصن بابلين * امر بنزع قسطاط ماى خيمته وكان قد تركها بجوار الحصن
 أثناء حصارهم له * فاذا بطم قد فرح فقال عمرو : لقد تحرمنا بمحترم * فامر
 به فافركما هو وارضى صاحب القصر * فلما رجع المسلمون من فتح الاسكندرية

المسجد والعمارة
 البعدي والصلبي
 وجملة النيل

(١) القرظي : الخطط ج١ ص ٢٨٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١ - ابن سعيد : الغنوب ص ٣٩

القرظي : الخطط ج١ ص ٢٩٦ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ١٢

عرض عمرو مسألة اختيار المكان الذى ينزلون به ، فقالوا : ننزل بالفسطاط .

هذه الروايات يشوبها الخيال وينقصها التخصيص ، لان المواقع الهامة نفس
انطء المالم عرفها الانسان منذ القدم وان تغيّرت اسما تلك المواقع بتفسير
الزمان وربما تنبه العرب الى اهمية موقع تلك المدينة التى اتخذوها عاصمة لمصر
اذ يمتاز موقعها بتوسطه بين مصر السفلى ومصر العليا ، وله عدة مزايا تجارية
وسياسية وحرية ويذكر (استرابون) ان حصن بابليون الذى يقع قريبا من موقع
منف كانت فيه احدى الطاميات الثلاث فى مصر (١)

وشير القريزى الى موقع هذه الطيبة البيزنطية فيقول : " ان هذا الحصن الذى
يعرف بقصر الشمع وبالمعلقة لكن ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل
القيصرة طوك الروم عند مسيرة من مدينة الاسكندرية ويقوم فيه ثم يعود الى دار الامارة
ومنزل الملك من الاسكندرية " (٢) وما يؤكد اهمية موقع هذا المكان ان المصريين
القدام كانوا قد اتخذوا منف عاصمة لهم مدة طويلة وكانت مدينة هليوبوليس - عين
شمس - التى كانت بجانبها متصلة بمباني مدينة منف قد بما عاصمة لمصر ايضا .

وتقع مدينة الفسطاط بين مدينتي القديمتين ويفصلها عن كل منهما
ثلاثة فراسخ الى الجنوب والى الشمال . كما اتخذها البابليون فى القرن السادس
قبل الميلاد مكانا لاستقرارهم فى مصر ونوا فيها حصنا حوريا وجعلها السور
عاصمة ثانية لاقليم مصر وصلوا بها بين الوجهين البحرى والقبلى . (٣)

ويصف القريزى موضع مدينة الفسطاط حين اخطبها العرب بانه كان
فضا ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل القطم . وليس

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢١٦-٢١٧

(٢) القريزى : الخطط جا ص ٢٨٦-٢٨٧

(٣) جمال الدين الشيبان : تاريخ مصر الاسلامية جا ص ٢٦-٢٧

فيه من البناء والحصارة سوى حصن يعرف بمضه بقصر الشمع وبالملقة وكان بجوار هذا الحصن من جهته الشمالية أشجار وكروم وصار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس للنصارى. (١)

تمددت آراء المؤرخين حول لفظ (فسطاط) الذي أطلق على العاصمة الإسلامية الجديدة • ويرى (بتلر) (٢) ان هذا اللفظ مشتق عن اللفظ الرومي (فاساتوم) وكان يطلق على حصن بيزنطى قديم كانت آثاره قائمة فى ذلك الموضع وكان الروم فى حصن بابليون اذا ذكروا موضع عسكر العرب سموه (الفساطون) فأخذ عنهم العرب ذلك اللفظ •

ويذكر الجواليقى ان لفظ فسطاط فارسي معرب وقال الخليل عنه ؟ فى لغة العرب معناه ضرب من الابنية دون السوادق وقيل مجتمع اهل الكورة حول مسجدهم • وقال ابن قتيبة : " ان العرب تقول لكل مدينة فسطاط • ولذلك قيل لمصر فسطاط " • (٣) وتشير معظم روايات المؤرخين الى ان لفظ الفسطاط نسبة الى فسطاط عمرو " يعنى خيمته " • (٤)

وهناك رأى اخر يذهب الى ان لفظ فسطاط مشتق من اللفظ اليونانى (فساطن) وهو ايضا مشتق من اللفظ اللاتينى (فاساتوم) الذى كان يطلقه الروم على محسكراتهم الحربية وتؤيد اوراق اليردى هذا الرأى فى أحد الاوراق البردية المكتوبة باللغتين العربية واليونانية بتاريخ ٩٠ هـ وفى اخرى مشابهة بتاريخ ٩١ هـ كان اسمها (باب اليون) و(الفساط) موجودين قبل تأسيس مدينة الفسطاط وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعدما احتلوا المعسكر الحصين (٥)

(١) المقرئى : الخط ج١ ص ٢٨٦

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٢٩٤

Fassatum

(٣)

(٤) الجواليقى : المعرب من الكلام الاعجمى ص ٢٤٩ باقوت : معجم البلدان

ج٢ ص ٢٨٠

(٥) ابن دقاق : الانتصار ج٢ ص ٤٤ القلقشندي : صبح الاعشى ج٣ ص ٢٢٩

ويرى الاستاذ الدكتور مصطفى العبادى ان كلمة فسطاط كانت شائعة
فى ارجاء الامبراطورية البيزنطية بالنسبة للمحركات او الحصون وليس فى مصر
فحسب . (١)

عروة مدينة الفسطاط :

ومهما كانت الآراء حول اسم مدينة الفسطاط ، وسواء أكان عربيا او اعجمى
الاصل فقد اصبحت مدينة الفسطاط بعد انشائها فى عهد عمرو بن العاص عريضة
تماما ، فقد قامت حول جامع عمرو بن العاص الذى اصبحت مركزا اسلاميا عربيا تلتصق
حوله القبائل العربية . (٢)

(٣)

وكانت خطط القبائل العربية قائمة حول جامع عمرو وعلى مقربة من قصر الشمع
وكانت هذه الخطط تمتد من النيل غربا حتى عين الصيرة شرقا ومن جبل يشكر
شمالا حتى الشرق وجبل الرصد (٤) جنوبا . (٥) وكانت هذه الخطط بمنزلة
الطواحي التى هى اليوم بالقاهرة ، فقبل لتلك فى مصر خطة وقيل لها فى القاهرة
حارة . (٦) وقد اتبع فى تقسيم هذه الخطط نفس النظام الذى اتبع فى تنظيم
الجيش العربى القادم مع عمرو بن العاص لفتح مصر فقد كان جيش الفتح يتكون من
جنود ينسبون الى قبائل مختلفة تمثل كل قبيلة وحدة مستقلة لكل منها رايته الخاصة
وقد وزع عمرو الخطط على القبائل فكان لكل قبيلة خطة معينة مثل خطة مهبسه
وخطة تجيب وخطة طافق وخطة الممافر . الخ . وخصص عمرو اربعة من كبار
الصحابة للاشراف على عملية توزيع الخطط وهم معاوية بن كعب بن الجهم وشريك
بن سفيان الفطيفى المرادى وعمرو بن قحزم الخولانى وحيويل بن ناسر الممافرى
فكانوا هم الذين انزلوا الناس وفصلوا بين القبائل . (٧)

(١) مصطفى العبادى : ابن عبد الحكم ومصر عند الفتح العربى . مقال بالمجلة

التاريخية (دراسات عن ابن عبد الحكم) ص ٩٤

(٢) القرظى : الخطط ج ١ ص ٢٨٦

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨ - ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٢ ص ٤٤

(٤) مكانها الان اسطبل عترة .

(٥) عبد الرحمن زكى : خطط الفسطاط - مقال بالمجلة التاريخية (دراسات عن
ابن عبد الحكم) ص ٥٧ - ٥٩

وكانت هناك جماعات قليلة لم يكن لها من العدد ما يسدح بأفراءه بخطاسة خاصة لها فرأى عمرو ان يفرد لهم خطة مجتممين ولم تسم باسم احد هم وصيت باسم (خطة أهل الراية) نسبة الى راية عمرو بن العاص (١) ولم تكن هذه الخسطة لجميع الجند المصري ذلك لان عمرو بن العاص كان قد استبقى نصف قواته للاقامة بالفسطاط بينما ارسل فريقا من قواته للمرابطة بالاسكندرية وسائر الثغور المصرية (٢)

وعلى الشاطئ المواجه للفسطاط اخطط العرب مدينة الجيزة وذلك لان همدان ومن والاها قد استجبت الجيزة فبنى لهم عمرو بن العاص حصنا بها مسن في المسلمين بامر الخليفة عمر بن الخطاب سنة احدى وعشرين وفتح من بنائه في سنة اثنتين وعشرين (٢) وقد ربطت صلات قوية من الجوار والتبادل والتزواج ما بين سكان الجيزة والفسطاط (٣)

ولم تقف اعداد السكان العرب بمدينة الفسطاط وغيرها عند الحد الذي كان عند انشاء هذه المدينة بل ازدادت اعداد القبائل العربية باضطراد نتيجة للهجرة او التكاثر وكان هناك ديوان خاص لتدوين هؤلاء الجند فيسرى ابن عبد الحكم (٤) : " كان معاوية بن ابي سفيان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب رجلا فكان على المهاجر رجل يصبغ كل يوم فيدور على المجلس فيقول : هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل ج فيقال : ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيقول : سموهم فيكتب ويقال : نزل بنا رجلا

== (٦) المقرئى : الخطط ج١ ص ٢٩٦-٢٩٧

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨- ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٣٨٠

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٨

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ٣٨٠- القلقشندي : صبح الاعشى ج٢ ص ٣٢٦

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١١٣

(٤) المصدر السابق ص ١٠٢

من أهل اليمن وعياله* فإذا فرغ من القبائل كلها اتى الى الديوان حيث يسجل
اسماء الطارئين الجند في ليخصص لهم نصيب من العطاء*

ومنذ بداية تخطيط القسطنطين اصبح لها طابع عربي فيقول المستشرق آدم
ميتز : ان مدينة القسطنطين ومكة كانا على طراز جفوس الجزيرة العربية مثل
مدينة صنعاء* (١) وقد كان لسياسة المدينة الجديدة عند تخطيطها ما يبرز
المسحة العربية* فقد كان مسجد عمرو بن العاص عند بنائه بسيط البناء مطأطي*
السقف ولم يكن بجدرانته شي* من البياض والزخرف وكانت ارضه مشروحة بالحصا*
ويمثل الطراز المعمارى لطامخ عمرو بن العاص الطراز المشتق من عمارة الحسن
النجوى الشريف وقد استوحى عمرو في تخطيطه وفي العلاقة بينه وبين داره مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم وداره بالمدينة* (٢)

وكان التأثير بالبيئة العربية له اثره الفعال في تخطيط العرب لمدينة
القسطنطين* فقد بنى عبد الله بن عمرو داره التي عند المسجد الجامع قصرا
على تزيين الكعبة* (٤) كما ان خارجة بن حذافة كان اول من بنى غرفة بها
فكتب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص يهدمها* حتى لا يطلع على عورات جيرانه*
ويقول ابن عبد الحكم (٥) : " وكان العرب حين اخطوا المدينة تركوا
بينهم وبين البحر (النيل) والحصن فضاء لتأديب اهلها ولم يزل الامر تلحى
ذلك حتى ولى معاوية بن ابي سفيان فأقطع هذا الفضاء فبنيت الدور بسببه*
كما جعل عمرو بن العاص امام داره الكبرى المواجهة للمسجد مرقفا لدواب
الجند* (٦)

(١) ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج٢ ص ٢٦٧
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١ ابو المصنفين : النجوم
الزاهرة ج١ ص ٦٧
(٣) جسن الباشا باخون : القاهرة - تاريخها ، فنونها ، آثارها ص ٤٠٤
- ٤٠٥
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٧
(٥) المصدر السابق ص ١٠١ - ابن دقاق : الانتصار ج٤ ص ٦
(٦) ابن دقاق : الانتصار ج٤ ص ٧

ومجمل القول ان اختيار موقع الفسطاط قد دل على نظرة صائبة مسنن
المرب فقد أثبتت الخبرات انها " قامت على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا
وهادا " (١) حتى لا يطغى عليها الماء (٢) ومن الناحية الحوية كان
وجودها على رأس الدلتا قد جعلها في مأمن من هجمات المد و فيحى الفسطاط
من جهة الشرق جبل المقطم ضد المد وضد فيضان النيل كما كان لها جانب
يمكن ان يضطرد اتساعها منه وهو الشال فلما احتيج الى الاتساع قامت المعسكر
ثم القطائع (٣)

جامع عمرو كمركز لانتشار الاسلام والتصريب :

المسجد هو الموضع الذي يسجد فيه . قال الزجاج : كل موضع يتمسك
فيه فهو مسجد . والجامع تمت للمسجد ، وانما تمت بذلك لانه علامة الاجتماع .
وما كانوا في الصدر الاول يفردون كلمة (الجامع) وانما كانوا تارة يقتصرون على كلمة
المسجد وطورا يفرغونها الى النصفة فيقولون (المسجد الجامع) او (مسجد
الجامع) ويطلق هذا الاسم عادة على المسجد الكبير لانه مكان اجتماع الناس (٤)

واصبحت المساجد الجامعة أهم مراكز انتشار الاسلام والتصريب والثقافة
في كل الامصار الاسلامية . وقد كان المسلمون يحرصون على بناء المساجد
الجامعة عند انشائهم المدن في الامصار المفتوحة وكان المسجد هو ابرز صورة
للتعبير عن سيادة الدين الاسلامي وأبلغ رمز للتعبير عن وحدة المسلمين في تلك
الامصار (٥)

-
- (١) على يهجت وأبيير جبرائيل : كتاب خبرات الفسطاط ص ٣٩
 - (٢) ناصر خسرو سفرنامه ص ١٤٦
 - (٣) عبد الرحمن زكي / الفسطاط وضا حيتها القطائع والمعسكر ص ٥
 - (٤) لبلقريزي : الخطط ج ٢ ص ٤٠٨
 - (٥) الخوهطللي : العرب والحضارة ص ١٥

وتقول الرواية التاريخية : " لما افتتح عمر الهمداني كتب الى ابي موسى وهو على البصرة يأمره ان يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعة انضوا الى مسجد الجماعة وكتب الى سعد بن ابي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك . وكتب الى امراء اجناد الشام ان لا يتعدوا الى القرى وان ينزلوا الى الدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا وألا يتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده " . (١)

وفي مدينة القسطنطينية كان المسجد الذي اتخذه المسلمون للجماعة هو مسجد عمرو بن العاص ، وهو أول مسجد " اصريد يار مصرفي الطة الاسلامية بعد الفتح " . (٢) وكان الفاتحون قد استقروا على انشائه بمدينة القسطنطينية بمسجد مشاورات ، وأصبح يسمى بمسجد عمرو بن العاص والمسجد الجامع ، او المسجد الصحيح أو تاج الجوامع وكان بناؤه سنة ٢١ هـ (٦٤٢م) (٣) وقد شيد على الشاطبي ، للشرق للنبيل من الناحية الشمالية وكان حوله حدائق وكروم . (٤) وكانت المسافة بينه وبين شاطبي النهر حوالي مائتي متر . (٥) وكان الذي طز موضعه هو قيسية بن كلثوم النجيب احد بني موم وكان قد نزله فخلال حصار حصن بابليون فلما طاه المغرب من فتح الاسكندرية سأل عمرو قيسية ان يقيم المسجد مكان منزله فتصدق به قيسية . (٦) وقد رُف على قبلته من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر ثمانون رجلا . وقد كان المسجد في بداية انشائه يشغل البهاء وكان طوله خمسين ذراعا وعرضه ثلاثون ذراعا . (٧) ولم يكن

(١) القيرزي : الخطط ج١ ص ٢٤٦ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ١٤٩

(٢) ابن دقاق : الانتصار ج١ ص ٥٩ - القيرزي : الخطط ج١ ص ٢٤٦ -

ابو المظن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٢

(٣) ابن دقاق : الانتصار ج١ ص ٥٩ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ١٣٢

ابن الفدا : المختصر في اخبار البشر ج١ ص ٧٢

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩١ - ٩٢ - ابن سعيد : المغرب ج١ ص ٤

بجد رانه شيء من الزخرف او البياض وفرشت ارضه بالحبيبات وكان الطريق يطيسف به من كل جهة " فقد جعل له عمرو ستة ابواب في الجهة الشرقية المواجهة لداره بابان ومثلهما في الجهة البحرية (الشمالية) وبابان في الجهة الغربية وكان صقفه مطاطاً جداً ولاصحن له فاذا كان الصيف جلس الناس بفناءه من كسـل ناحية " (١)

ويمثل جامع عمرو اقدم الطرز المعمارية لبناء الساجد واهمها - وهو الطراز المشتق من عمارة الحرم النبوي الشريف اى طراز الجامع الذى يتألف من صحن مربع او مستطيل يخفيه من جوانبه الاربعه اربعة اعمقها رواق القبلة وقد استوحى عمرو فى تخطيطه وفى الملاقة بينه وبين داره مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام وداره بالمدينة (٢) وحظى جامع عمرو بمناية ورعاية الحكام الذين تعاقبوا على حكم مصر فقد تولوه بالزيادة والتعمير والتجديد حتى بلغت سمته أضعاف مساحة المسجد الحقيق ستة عشرة مرة " وقد ثبت تاريخياً واثراً انه لم يتبقى غير قليل من عمارة المسجد الحقيق وزخرفته لان معالم المسجد المعمارية والزخرفية قد اندثرت معظمها (٣)

== (٥) المسافة الان بين الجامع والنيل حوالى خمسمائة متراً نتيجة تفسير مجرى النهر (فريد شافعى : العمارة المصرية فى مصر ، مصر ، الولاد ، ج١ ص ٣٦٣)

(٦) القيرزى : الخطط ج١ ص ٢٨٦ - ابوالمصطن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٦٧

(٧) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ص ٩١ - ابن سميد : المغرب ج١ ص ٤ - ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٨٩٨

- (١) القلقشندي : صبح الاعشى ج٢ ص ٣٤١ - القيرزى : الخطط ج١ ص ٢٤٧
(٢) حسن الباشا وآخرون : القاهرة ، تاريخها ، وفنونها ، وآثارها ص ٤٠٤
(٣) احمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ج١ ص ٧٣ - ٧٧

وكان لجامع عمرو اهمية كبيرة ، فقد كان ثالث مسجد اقيم في الاسلام ، اذ ان اول المساجد هو مسجد البصرة الذي اُنشئ سنة ١٤ هـ (٦٣٥ م) (١) وكان مسجد الكوفة هو ثاني المساجد في الاسلام (٢) ونظرا لاهمية جامع عمرو بين الناس فقد كانت اصلاة الجمعة تقام به حتى بعد انشاء جامعى الصمكر واحمد بن طولسون (٣) .

ولم تقتصر اهمية جامع عمرو بن العاص على ادائه الشعائر الدينية فحسب بل كان هذا الجامع كثيره من المساجد الجامعة في الامصار الاسلامية دار عبادة ومركزا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا ، وقام جامع عمرو بدور كبير في التمهيد ونشر الثقافة العربية وفي هذا الجامع كانت مجالس القضاء وتحقق في الجهمسة البحرية الشرقية وكان يخصص لقاضي القضاة بها في كل اسبوع مرتين (٤) .

وشهد جامع عمرو بن العاص حياة علمية زاخرة ، فقد كان هذا الجامع مركزا للثقافة والمعارف الاسلامية وشهد نهضة أدبية عظيمة ، شاركت في السائر العلمي والحركة الثقافية في سائر الامصار الاسلامية وشهد جامع عمرو حلقات العلماء الذين اشتهروا بالاجتهاد والاستنباط فكان لكل عالم مجلسه الخاص الى جانب عمود من أعمدة المسجد حيث يلتف حوله طلابه فيلقى عليهم دروسه فينصتون اليه أو يدنون ما يسمعون منه ، وكان مجلس العالم يتوارثه تلاميذه من بعد وفاته (٥) وقد حدث بعد وفاة الامام الشافعي ان صارت حلقاته الى تلميذه يوسف بن يحيى البويطى (٦) وكان هناك موضع مشهور في جامع

(١) المرجع السابق .

(٢) العمودي : التنبيه والاشراف ص ٣٥٧-٣٥٨

(٣) القرظي : الخطط ج١ ص ٢٤٦-السيوطي : حسن المظفرة ج١ ص ١٣٣

(٤) القرظي : الخطط ج١ ص ٢٥٣

(٥) The Encycl. of Islam. (Art Masjid) Vol.3, P.365

(٦) علي سارك : الخطط التوفيقية ج١ ص ٧

عمره باسم مجلس ابن عبد الحکم* ومن نظر فيه وأي جميع الجامع من أوله إلى آخره* (١)
وينسب المجلس إلى عبد الله بن عبد الحکم الفقيه المالكي التونسي سنة ٢١٤هـ

وقد تعددت الحلقات العلمية بجامع عمرو بن العاص مثل غيره من الجوامع
في سائر الأقطار الإسلامية وهي الطريقة السائدة في التعليم في الفترة الجائرة
من تاريخ الدولة الإسلامية. وقد صار للجلوس في هذه الحلقات العلمية والتصدي
للفتيا أو التدريس قداسة وشروط معينة. فقال الباوري: (٢) "وأما جلوس
العلماء والفقهاء في الجوامع والمساجد والتصدي للتدريس والفتيا، فعلى كل واحد
منهم زاجر من نفسه أن لا يتصدي لما ليس له بأهل، فيضل به المستهدى ويزل به
المسترشد. . . ."

(١) ابن دقاق: الانتصار ج٤ ص ٢٤
(٢) الباوري: الأحكام السلطانية ص ١٨٨

٤- انتشار الاسلام في مصر وأثره في التعريب

لم يعرف المصريون من القبط واليهود وغيرهم الدين الاسلامي ولا اللغة العربية قبل الفتح العربي لبلادهم وانما جاءت معرفتهم لهما مصاحبة لاحداث الفتح نفسها . وكانت هذه الاحداث اول فرصة للمصريين ليمتلوا شيئا عن الاسلام واللغة العربية . والواقع ان شأنهم في ذلك كان شأن بقية سكان البلاد السنتي فتحها العرب المسلمون . ولعل ذلك هو الذي حدا ببعض الكتاب المحدثين ان يقول : " ان الاسلام لم يكن له عمال ^{مخلصون} مخصوصين يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه كما في الديانة المسيحية ولو انه كان للاسلام انا من قوامون لسهل علينا معرفة السبب في تقدمه القريب فانا شاهدنا الملك شرملا ان يستصحب معه طلسمي الدوام في حروبه ركبا من القصب والرهبان ليياشروا فتح الضامير والقلوب ، بصدد ان يكون هو قد باشر فتح المدائن والاقاليم بجهوشه التي كان يصلح بها الاسم حريا تجمل الولدان شيئا . ولكننا لانعلم للاسلام مجعما دينيا ولا رسلا واجبارا وراءه الجيوش ولا رهينة بعد الفتح فلم يكره احد عليه بالسيف ولا باللسان ، بل دخل القلوب عن شوق واختيار . وكان نتيجة ما اوردع في القرآن من مواهب التأييد والاخذ والالباب . نعم قد اختلفت الاسلام قوم مشوا وراء منافسهم ولكنهم قلوبون بجانب من اسلم عن اعتقاد صادق وميل صحيح وكان ذلك من اسهل الامور لبساطة الدين وكفاية المنطق بكلمة التوحيد لهيبر قائلها من المسلمين . (١)

وقد لسنا في دراستنا لموقف سكان مصر من الفتح العربي ان العرب لم يجبروا احدا ولم يضطوه الى ترك دينه المسيحي او اليهودي ، واعتناق الاسلام ولا غرو في ذلك فقد جاء في القرآن الكريم (لا اكراه في الدين ، قسده تهن الرشده من الذي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانقسام لها والله سميع عليم) . (٢)

(١) دي كاسترو: الاسلام خواطر وسوانح ص ٤٤-٤٥ - القاهرة ١٣١٥ هـ =

١٨٩٨ م

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

آخر النخل
ادع الى
صديقك

وقال سبحانه وتعالى ايضا : (ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا اذ انك تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين) . (١) وغير ذلك من الايات القرآنية التي تفيد هذا المعنى وتحث على الدعوة الى الاسلام بالحسنى وعدم الاكراه عليه . وقد لاحظنا ان عمرو بن العاص وجدده المسلمين كانوا اثناء الفتح يخبرون المصريين بين امور ثلاثة : الاسلام او الجبهة او القتال .

والحقيقة ان الاسلام وجد طريقه بسرعة الى قلوب المصريين ، منذ ان وضع العرب اقدامهم في مصر . فقد اقبل كثير من المصريين على اعتناق الاسلام وتسرک اديان الابطاء قبل ان يتم العرب عمليات فتح مصر . وتشير بعض المصادر التاريخية المعاصرة لاجداث الفتح العربى لمصر الى اعتناق بعض المصريين الاسلام وانضمامهم الى صفوف المسلمين بل والاشتراك معهم في اتمام فتح البلاد المصرية . كما كان هؤلاء المتحولون الى الاسلام يستولون على املاك المصريين المحتفظين بدينهم والذين كانوا يتركون ديارهم وارضيتهم ويفرون من وجه العرب . ونذكر من هؤلاء الذين اسلموا يوحنا احد رهبان ديسر سيناء وكان اكنائى المذهب فترك الديسر واعتنق الاسلام وحمل السلاح الى جانب المسلمين . بل كان يشتد على المسيحيين من الطنكانيين او القبط اليمانية . (٢)

كما اعتنق الاسلام بعض كبار رجال القبط واستمروا يتولون مناصب بسايرة في ادارة البلاد بعد اتمام الفتح (٣) وكانت هذه في الغالب سياسة عمرو بن العاص التي تتضمن ترك الامور في ايدي سكان البلاد المفتوحة سواء من اعتنق منهم الاسلام او من بقى على دينه .

(١) سورة يونس آية ٩٩

(٢) Chronique de Jean. PP. 440 , 465.

(٣) Hardy: Christian Egypt; Church and People. P.189

ونلاحظ ان المصادر التاريخية لم تشير الى موقف اليهود القاطنين في مصر من الدين الاسلامى اثناء الفتح العربى وبعد اتمام الفتح ونحن نرى انه قد يكون ذلك راجعا الى قلة عدد اليهود في مصر الى جانب ان اقبالهم على ترك دينهم اليهودى والتحول الى الاسلام كان ضئيلا جدا آنذاك ما لم يستمر انتباه المؤرخين .

انتشر الاسلام في مصر انتشارا واسعا اذ كان اقبال القبط - بصفة خاصة - على اعتناق الاسلام وترك دينهم المسيحي يتزايد تدريجيا كلما تقدم اليهود بالمغرب في مصر حتى صار من بقى منهم على دينه المسيحي قليل المدد بعد ان كان لهم الاظمية المددوية بين المصريين . ونلاحظ ان الاقبال على اعتناق الدين الاسلامي كان على نطاق واسع في عصر الولاة عنه في عصر الدول المستقلة اي الدول الطولونية والاشيدية والفاطمية - التي اصبح القبط فيها اقلية ولكن لها اهميتها وكيانها في المجتمع المصري .

ونلاحظ ايضا ان المصادر التاريخية المختلفة قلما تشير الى اعتناق اليهود ^{سنة ٧٠٠} للدين الاسلامي وتركهم دينهم اليهودي اللهم الا في عصر الخلفاء الفاطميين وصفة خاصة في عهد الخليفة الحاكم بامر الله وان كان عدد من اقبل منهم على التحول عن دينه الى الاسلام كان ضئيلا بالنسبة الى عدد القبط المتحولين الى الدين الاسلامي .

ومع ذلك نجد فترات معينة ازداد فيها التحول الى الاسلام اكثر من غيرها وكان ذلك في الواقع نتيجة عدة اسباب وتحت تأثير ظروف معينة ناشئة عن سياسة الخلفاء او سياسة ولائهم الذين يظنون اتجاهات الخلفاء . ونحن نرى ان اسوأ العوامل التي كانت تشجع اهل الذمة على ترك دينهم واعتناق الاسلام وكانت الاعباء الاقتصادية او بمعنى آخر ما كان يلتزم به الذم من الاعباء العالية ونفسى ^{اقرنى} مقدتها الجزية .

ويبدو ان الجزية كانت موردا من اهم الموارد العالية للدولة الاسلامية في مصر في عصر الولاة بصفة خاصة . ومن ثم كان كثير من اهل الذمة يرغبون في الخلاص من هذا العبء العادي عن طريق ترك دينهم واعتناق الاسلام اذ كان نفس الغالب من يمتنق الاسلام يخلص من اداء الجزية . ويدل على ذلك تناقص مقدار جباية مصر تدريجيا مع تقدم الحكم الاسلامي فيها . (١) وان كنا في الوقت نفسه

(١) القرظي : الخطط ج١ ص ١٥٩ - ١٦٠

لا يمكننا ان نحين عند من كان يتحول الى الاسلام في عصر كل والي او خليفة . تخلصا من اداء الجزية لان المصادر التاريخية كثيرا ما تذكر جباية مصر شاملة للجزية والخراج معا . وذلك الى جانب ان احصاء سكان مصر من المسلمين او القبط او اليهود لم يكن يتم دائما في مصر الاسلامية ولم نسمع عن احصاء كامل لسكان مصر وكل ما هنالك احصاء الرهبان في عصر الولاة الامويين . (١) او احصاء القبط (٢) وايضا احصاء اليهود في اواخر عصر الدولة الفاطمية . (٣) وتلاحظ ان هذا الاحصاء كان يتم في عصور مختلفة ومتباعدة .

ونستدل على ذلك ايضا من ان الجزية لم تعد موردا اساسيا من الموارد المالية للبلاد في عصر الامراء الطولونيين ومن جاء بعدهم من الحكام المسلمين وذلك لتناقص عدد من كان يؤديها آنذاك مما كانوا عليه في عهد الولاة . فقد صار اهمل الذمة اقلية قليلة في ذلك العصر وصار اهتمام الامراء اكثر بخراج الارض وشئون الزراعة كمورد اساسي لمالية الدولة . (٤)

والى جانب الدافع الاقتصادي كانت هناك دوافع اخرى يضطرا ما مها اهمل الذمة احيانا الى ترك دينهم واعتناق الاسلام وهي ما كان يتم عرض الذميون له ضمن الضायقات والزامهم بعدم التشبه بالمسلمين في لباسهم بل والزامهم بانواع معينة من الملابس ومنعهم من ممارسة بعض عاداتهم وظقوسهم الدينية وغير ذلك من سبيل التضيق والمصعب بهم في بعض الفترات مما كان يؤدي الى اسلام الكثير منهم تخلصا من هذه الضायقات . وكان ذلك يحدث في الواقع في فترات محددة وهي الفترات التي اشدت فيها بعض الخلفاء في تطبيق احكام الاسلام بشأن اهل الذمة نضيف الى ذلك ان بعض الذميين كان يترك دينه المسيحي او اليهودي ويمتدق الاسلام طمعا في بعض المناصب الرئيسية في ادارة البلاد . كما سنرى . ولكن هناك كثير من اهل الذمة يقبلون على اعتناق الاسلام اعجابا بتماليه الرشيدة .

(١) قام بهذا الاحصاء لأول مرة الاصح بن عبد العزيز . ثم قام به من بعده امامة بن يزيد . انظر ابن القطيع سير الابهاء البطارقة م ٢ ج ٢ ص ١٤٢ - ١٥١

(٢) قام به الوليد بن رفاع في خلافة هشام بن عبد الملك وقضى في ذلك تسعة اشهر فوجد اكثر من عشرة الاف قرية في كل منها خمسائة قبطي . انظر ابو صالح الارضي ص ٣٥ السيوطي حسن المطهرة ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧

(٣) The Itinerary of Rabbi Benjamin of Tudela, T.1. PP. 146, 147, 149, 154, 158, 159.

وتحدث سيرتوماس ارتولد (١) عن تحول الكثير من القبط الى الاسلام . فقال ان هؤلاء القبط في الحقيقة قد تركوا دينهم المسيحي بنفس السهولة والسرعة التي اعتنقوها بها في مستهل القرن الرابع الميلادي ويرى في الوقت نفسه ان سرعة انتشار الاسلام في السنوات الاولى للمغرب في مصر كان من بين اسبابها عجز ديانة كالديانة المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء اكثر من ان تكون راجعة الى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لجذب الالهيين الى الاسلام . وان اللاهوتيين لبقا اليه قوميين طائفة منفصلة والشامس التي جاهدوا في سبيل الاحتفاظ وقتا طويلا ودفموا ثمنا غاليا في هذا السبيل قد اجتمعت في عقائد كانت صفتها اشد ما تكون غوضا وابها ما من الناحية الميتافيزيقية ولا شك ان كثيرا من هؤلاء قد تحولوا وقد اخفت الحيرة منهم كل ما أخذوا واستولى على نفوسهم الضجر والاعياء من ذلك الجدل السقيم الذي احدم من حولهم الى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة ورسالة نبيه محمد بل اننا نجد في داخل الكنيسة القبطية نفسها في عصر متأخر شواهد تنبئ عن حركة ان لم تكن اسلامية خالصة فقد كانت على الاقل وثيقة الصلة بها وربما ساعد عدم وجود اي نظام كمي مستقل . ويجد طويقه لا يضاحه والتعبير عنه على زيادة الدين دخلوا في الاسلام . (٢)

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٢٥ - ويزيد على ذلك انه قبل هذا القرن

اي القرن ٧ م كان عدد مسيحي وادي النيل قليل . ولكن ما تضرر له الشهداء من اضطهادات دقليانوس وطام على يد هؤلاء الشهداء من معجزات في ذلك العصر والشعور القوي الذي اثارته روح المقاومة لاوامر الحكومة الاجنبية الى جانب ما اعطوه من الضمانات بان جنة النعيم قد فتحت ابوابها لكل شهيد مات على ايدي محدثيه . كل هذا قد اثار في نفوسهم حماسا ادى الى سرعة انتشار الدين المسيحي بصورة لا يكاد يصدقها العقل ودلا من ان ينتصر المصريون عن طريق التبشير او كثيرهم من اهالي بلاد المشرق تراهم ينتحلون المسيحية فسيخرة من الحاسة الجامحة دون ان يتلقوا اي شيء من التبشير او التعليم عن الدين الجديد غير اسم عيسى المسيح الذي خلق حياة من السمادة الابدية على جميع الذين اعترفوا بوجوده .

(٢) سيرتوماس ارتولد : الدعوة الى الاسلام ص ١٢٥ - ٢٢٦

ونحن نرى ان كثيرا من اهل الذمة قد اعتنق الاسلام عن رغبة شديدة وسدون
دوافع مادية او اجتماعية وانما مالوا الى الانتماء الى هذا الدين لما لصوه فيسه
من دعوته الى السلام والمساواة والعدل وغير ذلك من الخصائص السامية التي يتضمنها
الدين الاسلامي .

وما لامك فيه ان قدم القبائل العربية المتوالي الى مصر واستيطنتهم
العدن والقرى المصرية واندماجهم مع المصريين واختلاطهم بهم كان له اثره ايضا
في انتشار الاسلام بين المصريين . ويجد ربنا هنا ان نشير الى الفترات التي اشتد
فهيما التحول الى الدين الاسلامي طوال تاريخ مصر الاسلامية منذ الفتح العربي
حتى سقوط الدولة الفاطمية (٢٠-٥٦٧ هـ = ٢٤١-١٧١ م) .

لا شك ان ما قام به الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان - عندما عهد اليه
ابوه عبد العزيز امير مصر آنذاك بولاية الخراج من اخصاء الرهبان في جميع انحاء
البلاد المصرية والزامهم بأداء الجزية لأول مرة في الاسلام وفتح قبول رهبان جدد
والزام الاساقفة بأداء الفى دينار الى جانب خراج كنائسهم الممتاد وما كان
يقوم به على جانب ذلك من اعمال الشدة والمنفازة القوي . (١) كل ذلك
ادى الى اعتناق كثير من القبط الدين الاسلامي حتى ينعموا بما ينعم به المسلمون
ويتخلصون من سيادة الاصبغ واعوانه نحوهم . وتقول في ذلك الرواية القبطية :
" واضطر جماعة الى ان اسلموا ومن جعلتهم بطون والى الصعيد واخوه تاودوا وولده
تاوفاتس مقدم مبروط وجماعة كهنة وطلمايين لا يحصوا من كدرتهم " . (٢)

وأسلم نفر كبير من القبط في ولاية عهد الله بن عبد الملك الذي اسلم
الى اهل الذمة وألزم بطرك القبط بمخاومة طالية كبيرة كما ضيق على الاساقفة

(١) ابن العلقم : سير الاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٤٣ - ابن العميد : تاريخ
المسلمين ص ٢٨-٢٩ . الراهب البهاوصي : حسن السلوك في تاريخ
البطارقة والملوك ج ١ ص ٢٣١ - الانبا ايسيدورس : الجزية النفيسة ج ٢
ص ١١١

(٢) ابن العلقم : سير الاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٤٧ - ايضا الراهب البهاوصي
حسن السلوك ج ١ ص ٢٣١ - الانبا ايسيدورس : الخزينة النفيسة ج ٢
ص ١١١

والرهبان وزاد الخراج وعده بصفة عامة الى ابتزاز الاموال من القبط بكل وسيلة ممكنة والحق بهم كثير من الضرر والأذى (١) ولعل الكثير منهم فضل التحسُّول الى الاسلام حتى يتخلص من هذه الضائقات .

ومن الفترات التي اشتد فيها التحول ايضا الى الاسلام ولاية اسامة بن زيد لخراج مصر في عهد الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك فقد اشتد هذا الوالى في جباية الجزية والخراج وأمر علماء ^{محاليه} في مختلف الاقاليم الا يتوانوا في جمع الضرائب على اختلافها . (٢) ولا شك ان ذلك كله ادى الى اسلام كثير من القبط تخلصا من الاعباء العالقة في ذلك العصر يضاف الى ذلك ان هذا الوالى قد تشدد في مراقبة حركة الهروب التي لجأ اليها القبط لملهم بجدون الخلاص من الضرائب المختلفة بهنوبهم من مكان الى اخر وهدد من يأوى غريبا في الكنائس والاديرة والقنادق كما الزمهم بحمل جوازات سفر تسمح بانتقالهم من مكان الى آخر داخل البلاد المصرية وعمل احصاءا جديدا للرهبان وامر بوسمهم وطمع التهرب لمن يرغب فيه في ذلك الوقت . (٣) كل ذلك كان من مظاهر التشدد في جباية الجزية والخراج وغيرها من الضرائب . وكان طبيعيا ان ينتج عن هذه السياسة العنيفة تحول كثير من القبط عن دينهم واعتناقهم الاسلام دين الدولة .

واشتد كثيرا من القبط الدين الاسلامي في عهد الخليفة الاموي عمر بن عبد

المعز فقد اصدر اوامره في جميع ارجاء الدولة الاسلامية بمنع استخدام اهل
الذمة في الحكم وشئون الادارة وتناول الرواية القبطية انه كتب الى ^{محاليه} علي مصر:

(١) ابن المقفع : سير الالبا البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٤٥ - و
Fowler: Christian Egypt. P. 58.

(٢) ابن المقفع : سير الالبا البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٥١-١٥٢

(٣) ابن المقفع : سير الالبا البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٥١-١٥٢ - ابن العميد :

تاريخ المسلمين ص ٦٩ - المقريزي : الخطط ج ٤ ص ٢٩٥

من اراد ان يقيم في حطة وبلاده ، فيكون على دين محمد شله ومن لا يريد يخرج من اعالي * وتقع عن ذلك ان تخلى القبط عن الاعمال وحل محطهم موظفون مسلمون * ودخلت اليد على النصارى من الولاة والمتصرفين والمسلمين في كل مكان كبيرهم وصغيرهم غنيمهم وفقيرهم * * * (١)

ولاشك ان ذلك دفع كثيرا من القبط الى ترك دينهم واعتناق الاسلام ليحفظوا بما يتولونه من وظائف واعمال *

كذلك شجع الخليفة عربين عبدالمزيز الذميين على التحول الى الاسلام ، حينما اعلن في جميع الاصار الاسلامية ومنها مصر ان من يمتنع الاسلام ينفى من اداء الجزية ولاشك ان الخلاص من هذا العبء الطوي أدى الى اسلام كثير من اهل الذمة مما أضر بمالية الدولة * وكتب والى مصر آنذاك حيان بن مريوح الى عربين عبدالعزيز يقول : * اما بعد ، فان الاسلام قد اضرب بالجزية حتى سلفت من الطرث بن ثابثة عشرين الف دينار وتمت عطاء اهل الديوان ، فان رأى امير المؤمنين ان يأمر بقضائها فصل * وهكذا اراد هذا الوالى الا يرفع الجزية عن يمتنع الاسلام من اهل الذمة ولكن الخليفة ضمه من ذلك * وكتب اليه : * * * ضع الجزية عن مسلم ، قبح الله وأيك ، فان الله انما بعث محمد صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جلبيا ، ولمصرى لعمرا حقرا من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه * * * (٢)

-
- (١) ابن المقفع : سيرة الالاء البطارقة م ١ ج ٤ ص ١٥٢-١٥٣
(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر واخبارها ص ١٥٢ - طبعة تورى : المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٢٥ - وتشير بعض المصادر الى ان هذا الخليفة امر رسوله الى مصر بضرب حيان على رأسه ثلاثين سوطا ادبا له على قوله انظر : ابن النقاد : الذمة في استعمال اهل الذمة ورقة ٨٣ * مخطوط *

وكان حفص بن الوليد الخضري من اكثر الولاة المسلمين رغبة في تشجيع
 اهل الذمة على اعتناق الدين الاسلامي ويقول سائرون (١) : " وقد اعلن حفص
 ان كل من يتخلى عن دينه ويصير مسلماً لا يؤخذ منه بعد جزية لانها كانت على الناس
 كلهم ولاجل هذه الخصلة اضل الشيطان خلائق فتظنوا عن دينهم ومنهم من اكتسب
 وصار من المسكرين " و نستخلص من هذه الرواية ان الزام الذي الذي يعتق الاسلام
 بأداء الجزية قد لجأ اليه ولاية مصر بعد عصر الخليفة عمر بن عبد الميرز الذي امر
 بأعطاء من اسلم من اهل الذمة من الجزية . فلما تولى حفص بن الوليد حكم مصر
 رأى تشجيع الذميين على التحول الى الاسلام عن طريق هذا الدافع العادي . فكان
 لذلك اثره الكبير واعتق الاسلام في عصره عدد كبير من القبط اذ بلغ عددهم
 حوالي اربعة وعشرين الف قبطي^(٢) ^{عصر}

ويبدو ان سياسة رفق الجزية عمن يعتق الاسلام من اهل الذمة لم تفسر
 طويلاً بعد حفص بن الوليد . والدليل على ذلك ما اطلته الخليفة العباسي ابراهيم
 السفاح من اعفاء من اسلم من أداء الجزية في جميع اهلاد الاسلامية وضها مصر .
 وتقول في ذلك الرواية القبطية " وكتب عبد الله الطلك - اى السفاح - الى جميع
 ملكته ان كل من يصير على دينه يوصلى كصلاته يكون بغير جزية . فمن عظم الخراج
 والكلف عليهم انكر كثير من الفقراء والاغنياء دين المسيح وتبعوه " (٣) وهكذا
 كان الدافع العادي في عصر الولاة الامويين والعباسيين اقوى الدوافع المشجعة
 على انتشار الاسلام بين اهل الذمة في مصر .

ولاشك ان الثورات المدببة التي قام بها القبط في عصر الولاة الامويين
 والعباسيين (فوالفترة ما بين سنتي ١٠٧ هـ و ٢١٦ هـ) والتي كان ينجح الولاة
 المسلمون في القضاء عليها بمرور كان يتبعها غالباً تحول كثير من القبط عن
 دينهم واعتناقهم الدين الاسلامي حتى ينصروا بالهدوء والامن وللخلاص من أداء
 الجزية وما قد يتعرضون له من المضايقات التي تضمنتها سياسة بعض الولاة المسلمين

(١) سير الاباء البطاركة ج ١ ص ١٧٢

(٢) نفس المصدر ص ١٧٣

(٣) نفس المصدر ص ٢٠٥ - ٢٠٦

في ذلك العصر . وقد بلغ انتشار الاسلام مداه . بعد ثورة البشوريين في سنة ٢١٦ هـ في عهد الخليفة المباسي المؤمن . وكانت هذه الثورة اخر ثورات القبط في عصر الولاة بل وفي عصر الدول المستقلة ايضا اذ اصبح المسلمون يمدوا اغلبية بعد ان اصلم عدد كبير من القبط يقول القريزي (١) " ومسيح حينئذ ذلك القبط في جميع ارض مصر ولم يقد راحد منهم يمد ذلك على الخروج على السلطان وعظيهم المسلمون على عامة القرى فرجعوا من المطارة الى الكايسدة واستعمال المكر والحيلقوما يدة المسلمين وعملوا كتاب الخراج ."

وتعلق السيدة تيشر (٢) على اخاد ثورة البشوريين ونتاج عنها مسن تحول الكثيرين من القبط الى الاسلام فتقول ان انطلاق يد المسلمين في القبط وكنا نسهم يلحقون بهم الاذي ويحتدون على كفايهم ومانفها . من الاواني والادوات كان ما اضطر كثير من القبط الى اعتناق الدين الاسلامي رغبة في الخلاص . ومن ذلك الحين تناقص عدد القبط كثيرا وصار المغرب يحكمون القرى ويصلون فسي الاواض التي كانت في يد القبط من قبل . وزاد عدد المسلمين كثيرا وقويت شوكتهم عما كانوا عليه من قبل .

وحدث في خلافة المؤمن المباسي ان قاضي مصر محمد بن عبد الله كان يستدعي اليه عمان البطرك القبطي انبا يوساب ويضطرهم الى ترك المسيحية واعتناق الاسلام (٣) كما شهدت خلافة القويك المباسي اسلام كثير

(١) الخطط ج٤ ص ٣٩٦

(٢) تاريخ الامة القبطية م ٢ ص ٢٢٤ - الشماس منسى القمص : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٤٢٩

(٣) ابن المقفع : سير الابهاء البطركة م ١ ج ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . وقال للبطرك لا يجوز لك ان تقاوم امر الملوك وتدوس اوارهم . ولا يجوز ان تستبسق هؤلاء الصبيان وتنصرهم " فاجابه انبا يوساب : انا ما اقاوم امر الملوك ولا اقاوم كلمة سالحة بل ما كان من كلام الظلم . ثم قال له " انت عارف بان كل من يقدمك ما كان يلزم مثل هؤلاء الذين هم نصارى باسلام لانهم يقدموا للبيع هدايا وهؤلاء من عند الملك الحيشة والنوبة والروم جاءوني هديعة " ولكن القاضي لم يستجب لذلك وارغم القبطان على اعتناق الاسلام واعلم البطرك بذلك وانه لم يمد له صلة بهم ."

من اهل الذمة وخاصة من القبط لان عمر هذا الخليفة وكان طفلا بالتضييق على
الذميين والزامهم ببعض الاحكام فقد اضطر هذا الخليفة اهل الذمة الى عدم
التشبه بالمسلمين في لباسهم وان يلتزموا بملابسهم الخاصة بهم كما حرم عليهم
ارتداء اللون الابيض بل امر ان تكون ثيابهم مصبوغة بالألوان المختلفة كما امر ان يطبق
كل من القبط واليهود صورا مفرقة على ابواب دورهم حتى يسهل التمييز بينهم
وبين دور المسلمين (١) كما امر ولاته على الاقاليم المختلفة بعدم استخدام
غير المسلمين في شئون الادارة والحكم الا من يترك دينه ويستحق الاسلام (٢)

وانزال ثابته في مصر عبد المسيح بن اسحق كتيبا من الاذى بالقبط واضطرهم
الى اخفاء علامة الصليب بل امر بكسر جميع الصلبان في الكنائس والاديرة
ومنع القبط من اظهار الصليب اثناء سيرهم في الطرقات كما امر القبط بالاجتهاد
بصلواتهم كما حرم عليهم الصلاة على موتاهم ووضعهم من ضرب النواقيس كما منعت
بيع النبيذ في جميع البلاد المصرية حتى صار لا يوجد خمر يرفع به القداس (٣)

وقد ادت هذه المضايقات كلها في العلبس والسكن وفي اداء الطقوس
الدينية الى تحول كبير من القبط الى الدين الاسلامي وتقول بعض المصادر
القبطية " ولاجل ذلك قلت المحبة والصبر من قلوب كثير حتى انهم انكروا السيد
المسيح فمنهم من انكر بسبب رتبة العالم لمحبتهم فيه واخرين لما لحقهم مسن
الفقر (٤) ويحزوا بن المقفع (٥) الى هذه الصيامة اسلام من اسلم مسن
القبط في ذلك العصر فراه يقول " بهذه الاسباب يخرجون من اديانهم
وقوما كثيرا ما صبروا ولا توكلوا على الهبهم وانكروا اسم المخلص في تلك الايام
الشديدة ونسوا ما قاله في الانجيل القديس والذي يصبر الى التمام فهو يخلص
ويكفر بهذا الانجيل "

(١) ابن بطريق : التاريخ المجموع ص ٢٣ - ابن القفيع : سير الالبا البطارقة

م ٢ جا ٤ ص ٤ - ابن الاثير : الكامل ج ٥ ص ٢٨٥

(٢) ابن القفيع : سير الالبا البطارقة م ٢ جا ٤ ص ٤ - ابن الاثير : الكامل ج ٥

ص ٢٨٥ وقد اشرنا الى هذه المضايقات بالتفصيل فيما سبق

(٣) ابن القفيع : سير الالبا البطارقة م ٢ جا ٤ ص ٥

(٤) نفس المصدر ص ٤

(٥) نفس المصدر ص ٤

نذكر من اسلم في ذلك المصرا صطفين بن اقدوته واولاده . وقد اخذ هؤلاء بعد اسلامهم يرسمون القبط بكل سوء ويقولون عنهم ما يحط من شأنهم . وكان اصطفين بن اندونة كثيرا ما يقول : يخرض اضعاف روح القبط المضمومة ودفعهم الى الاسلام " ان النصراني قول هذا اليوم لا يلبسوا ثيابا لها اكام بل يلبسوا ثياب بدو اكرام كما تلبس الرهبان الذين هم يدعوهم اباؤهم فاذا كان الاباء تلبس هذا اللباس بالاحرى ان تكون اولادهم مثلهم . " (١) وهكذا كان انتشار الاسلام بين القبط يتزايد تدريجيا ويقل عدد القبط من مصر الى آخر كما نلاحظ ان من كان يمتنع من الاسلام منهم قد انظر الى جانب المسلمين وعمل على اضعاف منويات القبط والخط من شأنهم .

ومن المصروفات التي كثر فيها اقبال القبط على التحول الى المدين الاسلامي عهد والي خراج مصر احمد بن محمد بن مديبر . ذلك لانه تعدد كثيرا في جباية الجزية والخراج وفرض ضرائب كثيرة على المصريين وضايف عليهم الجزية والخراج وقد تعرضنا لذلك في الفصل الخاص بالجزية والخراج وغيرها من الضرائب التي التزم بأدائها اهل الذمة في مصر الاسلامية . فبعد ان كانت جزية قبط مصر الف دينار زاد عليها حتى صارت ستة الاف دينار . حتى ان الانسان الفقير الذي يمجز قوته ياخذ منه في كل سنة خمسين درهما حتى ضجت اهل مصر واعمالها من عظيم هذا المذاب وجدد كثير من النصراني لاجل قلة ما بأيديهم من الدراهم . " (٢)

وهكذا تتابعت موجات الداخلين في الاسلام من القبط وشهد النصف الاول من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) انتشارا واسما للاسلام في مصر حتى اذا كانت امانة احمد بن طولون على مصر في سنة ٢٥٤ هـ كان اكثر من مبرحى مصر قد تحولوا الى الاسلام وصار المسلمون يكونون الاغلبية المظفي بين سكان مصر وصار اهل الذمة اقلية قليلة . ومن ثم اخذت الصيغة الاسلامية نتيجة

(١) ابن القفيع : سير الالاء البطاركة م ٢ ج ١ ص ٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٧ — ٤٤

لذلك تشكل المجتمع المصري وتطبعه بطابعها في الماديات والتقاليد وفي الحياة الاجتماعية بصفة عامة. (١) واكبر دليل على زيادة عدد المسلمين وتناقص عدد الذميين آنذاك تناوُل حصيلة الجزية فلم تعد بابا اساسيا من ابواب الدخل في مصر منذ العصر الطولوني الى جانب اختفاء ثورات القبط التي كانت من مميزات عصر الولاة الامويين والمباسيين.

ويؤكد ذلك ما أشار اليه المقرئ (٢) من انحطاط جباية مصر فبعد ان كانت في ايام عمرو بن العاص اثنا عشر مليون دينار وفي ولاية خلفه عبد الله بن سعد بن ابي مسرج اربعة عشر مليون دينار انحطت كثيرا عن هذا المقدار حتى وصلت الى ما يتراوح بين ثلاثة واربعه مليون دينار في القرن الثالث الهجري وكان ذلك دليلا على تناقص عدد اهل الذمة الذين يؤدون الجزية وصارت موارد البلاد تعتمد الى حد كبير على خراج الارض الذي كان يؤديه الذمسي المحفوظ بدينه والذي اعتنق الاسلام ايضا. وتطور نظام جباية الخراج في مصر واتبع نظام قبالات الاراضي وكان ذلك نتيجة مباشرة لتحول كثير من اهل الذمة الى الاسلام وانتشار المسلمين في القرى المصرية واشتغالها بالزراعة الى جانب القبط المحفوظين بد ينهم وما حدث نتيجة لذلك من اختلاط الصرب بالقبط وما كان يتم بينهم من تزواج. (٣)

ولا يعني ذلك توقف تحول من بقى من اهل الذمة الى الاسلام فسي المصور المتتالية. وما لاشك فيه ان المصريين الاخشيدى والفاطمي قد شاهدوا اعتناق كثير من اهل الذمة الدين الاسلامي. ففي عهد الامراء الاخشيديين تحول

(١) حسن محمود : حضارة مصر الاسلامية * العصر الطولوني * ص ٥٤ و

Zaki Hassen: Les Tulunides. P.216

(٢) الخطط ج١ ص ١٥٩

(٣) الخطط ج١ ص ٢٣١

عدد من اهل الذمة الى الاسلام وترك دينه اليهودى او المسيحى طعما فى تولى بعض الوظائف الكبرى وخاصة الوزارة . ونذكر ان اشهر هؤلاء هو ابو الفرج يعقوب ابن يوسف بن ابراهيم بن كاس وكان يهوديا . ولد ببغداد . ونشأ بها وتعلم الكتابة والحساب ، ثم سافر مع ابيه الى بلاد الشام ومنها رحل الى مصر فى سنة ٣٣٠ هـ وفى مصر تطور امر ابن كلس ولمع نجمه واتصل بخواص كافور الاخشيدى وما لبث كافور ان قربه اليه ، لتعظيمه وحسن سياسته واجلمه فى ديوانه الخاص . وبدأ مركز ابن كلس يسمو يومسما يمد يوم حتى صار له الامر والنهى . (١)

وأراد كافور ان يعهد الى ابن كلس بالوزارة الا ان دينه اليهودى حل بينه وبين تحقيق ذلك فبادر ابن كلس الى ترك دينه اليهودى واعتناق الدين الاسلامى وتولى الوزارة فى سنة ٣٥٦ هـ . وقرأ القرآن وصى فى المسجد الجامع ورتب رجلا من اهل العلم بالقرآن وعلوم اللغة العربية ليتلمذ على يديه . لكن ما لبث ان دب الخلاف بين ابن كلس وبين الوزير القائم آنذاك ابي الفضل جعفر بن انقرات فأسرع ابن كلس الى الفرار الى بلاد المغرب حيث يحكم الخلفاء الفاطميين قبل فتحهم لمصر . (٢)

ثم عاد ابن كلس الى مصر بعد الفتح الفاطمى وقد لعب ابن كلس دورا له شأنه *في مصر* فى سياسة البلاد فى هذا الحصر ونحن نرى ان كثيرا من اهل الذمة قد اعتنقوا الاسلام فى ذلك العصر . اى عصر الامراء الاخشيديين طواعية بدون ضغط او ارهاب او دافع اقتصادى او طعما فى السلطان ، وان كانت المصادر التاريخية لم تشر الى ذلك صراحة .

-
- (١) ابن زولاى : اخبار سيويه المصرى ص ٧٤ . ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ١٩ - ٢٠ . المقرئى : الخطط ج ٣ ص ٧
- (٢) ابن زولاى : اخبار سيويه المصرى ص ٧٦ ، ابن الصيرفى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٢١ . المقرئى : الخطط ج ٣ ص ٧ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٧١

كان عصر الخلفاء الفاطميين اكثر المصور التاريخية — منذ منتصف القرن الثالث الهجرى — التى شهدت تحول كثيرين من القبط واليهود الى الدين الاسلامى . وان كنا نلاحظ ان تحول بعضهم الى الاسلام كان نتيجة لما تعرضوا له من المضايقات والمعصية فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله بصفة خاصة او رغبة منهم فى الحصول على المطايا واليهيات من الخلفاء وتولى بعض المناصب الرئيسية فى البلاد بعد عصر الحاكم بأمر الله .

لقد حظى كل من اليهود والقبط بتسامح الخلفاء الفاطميين وحسن معاملتهم لهم ويتجلى ذلك فى استخدام الخلفاء الفاطميين لهم فى مختلف الوظائف على نطاق واسع ولاشتراك معهم فى الاحتفالات بأعيادهم الدينية والساح لهم بهنساء الكنائس والاديرة الجديدة وتعمير القديم منها . ذلك الى جانب مناديتهم ومصادقة الكثير منهم وخاصة الرهبان فى الاديرة واتخاذهم الاديرة متنزهات لهم .

وبالرغم من ذلك نجد احد هؤلاء الخلفاء وهو الحاكم بأمر الله يشتد فى معاملته لاهل الذمة من القبط واليهود ويكثر من مضايقتهم فنراه يلزمهم بلبس الفياض وعمد التمشيه بالمسلمين فى لباسهم وضرورة شد الزنار فى اوساطهم ومنعهم من الاحتفال بكثير من اعيادهم الدينية كما ألزم القبط منهم بحمل صلبان من الخشب ، بينما يحمل اليهود قراصى من الخشب ايضا كما افرد لكل منهم حمامات خاصة مميزة حتى لا يدخلوا حمامات المسلمين ولم يكنف الحاكم بأمر الله بهذه المضايقات بل نراه يأمر ايضا بهدم الكنائس والاديرة وتحويل الكثير منها الى مساجد والاستيلاء على ما فيها من الاواني والادوات الذهبية والفضية . (١)

ومما لاشك فيه ان هذه المضايقات قد ادت الى اعتناق كثير من القبط واليهود الدين الاسلامى .

(١) ابن المقفع : سير الالباء البطارقة م ٢ ج ١ ص ١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦ .

٠١٢٨

ابن سعيد الانطاكى ص ١٨٧-١٩٥-٢٠٠-٢٠٢ . ابن الراهب ص ٨٢
القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ٣٥٩-٣٦٠ . ابوالمطمن : النجوم
الزاهرة ج ٤ ص ١٧٧-١٧٨ . القرزى : الخطط ج ٤ ص ٣٩٨-٣٩٩

وذكر القيريزي (١) انه كان من نتائج هذه الاحداث المختلفة التي قاسسى فيها اهل الذمة في مصر في عصر الحاكم بامر الله ان اسلم كثير من القبط حتى يأمنوا جانب هذا الخليفة المتقلب ويقول ابن القفح (٢) : " فوجد كثير من النصارى واليهود من رؤسائهم وادنائهم لاجل هذا ولم يصبروا على هذا الهوان والمذاب . "

وهكذا : هذا اليهود اخذوا القبط في هذا العصر في اعتناق الاسلام وان كان كثيرا من هؤلاء اليهود كانوا يتظاهرون بتحولهم الى الاسلام ولكنهم في سرائرهم ظلوا مؤمنين بدينهم اليهودي . (٣) والدليل على ذلك عودة كثير منهم الى اليهودية بعد ان اذن لهم الخليفة الحاكم بامر الله بذلك في سنة ٤١١ هـ .

اما ابن سعيد الانطاكي (٤) فيقول بشأن اسلام اهل الذمة في هذا العصر ان الخليفة الحاكم بامر الله قد تهدد النصارى وفزعهم وكثرت الارجيف والشفاعات فيهم ، واسلم كثير من شيوخ الكتاب والمتصرفين من القبط وتبعضهم خلق كثير ممن الصامة كما اعتنق جماعة من اليهود الاسلام . وهكذا استمر اسلام القبط واليهود نتيجة مضايقات هذا الخليفة حتى انه لم يعد يرى في الطميرقات قبطى لمسدة ايام . بينما كان اليهود اكثر تمسكا بدينهم ولم يتحول الى الاسلام منهم الا نفسا قليلا .

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان الحاكم بامر الله كان يحاول جاهدا ارغام بعض القبط على اعتناق الدين الاسلامي . وما لاشك فيه ان ذلك كان يحدث ايضا بالنسبة لليهود . (٥) ونجد بعض الروايات التاريخية القبطية التي تتضمن احداثا تؤيد هذه الحقيقة ذلك ان كثيرا من القبط قد برز في الدولة الفاطمية

(١) الخطط ج٤ ص ٤٠٠ تاريخ ابن الراهب ص ٨٢ - ٨٣

(٢) سير الابهاء البطارقة م ٢ ج ٢ ص ١٢٦

(٣) Mann : The Jews, T.1. PP. 34, 37.

(٤) تاريخ ابن سعيد الانطاكي ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٥) Mann : The Jews, T.1. P. 37.

وصلح فيها اعلی المراتب حتى ضجت عامة المسلمين من تسلط هؤلاء الذميين عليهم ، وذلك الى جانب ما عرف عن الحاكم من سرعة التقلب والرغبة في تحويل جميع اهل الذمة الى الاسلام ، واعتناق المذهب الشيعي بصفة خاصة ، الى جانب جذب المسلمين المتدين الى هذا المذهب ايضا .

ويدلنا على ذلك ان الخليفة الحاكم بأمر الله قد استدعى اليه عشرة من كبار رجال القبط المستخدمين في الدواوين والحكومة نذكر منهم الشيخ ابو نجاح والرئيس فهد ابن ابراهيم . وقد عرض عليهم جميعا ترك الدين المسيحي واعتناق الاسلام ووعدهم ببلوغ اعظم المقاصد وابلغ العارب . وقد استجاب اربعة من هؤلاء المشرة الى طلبه تخلفا مما قاموه من المذاب والارهاب وقد مات احد هم في نفس الليلة التي اعتنق فيها الاسلام . اما الثلاثة الاخرون الذين تحولوا الى الاسلام فقد عادوا الى دينهم المسيحي عندما اتهموا بضر السباط والمذاب الشديد الذي امر الحاكم بانزاله عليهم لتمسكهم بدينهم المسيحي . (١)

وكان من بين من اراد الحاكم بأمر الله اجباره على اعتناق الاسلام ايضا الكاتب بنخيرة الرشيدى الذي ترك الخدمة في الديوان واعلن صراحة امام الحاكم بامر الله تمسكه الشديد بالمسيحية ورفضه الاسلام . فأمر الحاكم بأمر الله باعتقاله وانزال مختلف ألوان المذاب والارهاب به . ولكن بقهورة صبر على كل ذلك . فلما ادرك الحاكم ما يتميز به هذا القبطى من الايمان والصبر الشديد امر بالاقراج عنه فكتب له مجلا يتضمن الا يقتضيه احد في بيع ولا شراء ولا في أى أمر آخر . (٢)

وتشير بعض المصادر التاريخية الى ان وفودا من القبط واليهود سمعت الى مقابلة الحاكم واستأذنته في الكلام والتعبير عما يجيش بنفوسهم من الحزن والمذاب فأذن لهم بالكلام وأنهم على انفسهم . فقالوا له : ان سلوكه وسياسته معهم تخلف تماما عما كانت عليه سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء المسلمين من بعده .

(١) ابن المقفع : سيرالايام البطارقة م ٢ ج ٢ ص ١٢٢-١٢٣

(٢) نفس المصدر ص ١٢٨-١٢٩

كما ان ذلك مناقض لما يتضمنه الصهد الذي منحوا المسلمون الفاتحون لاهل الذممة وأرادوا منه الاستفسار عن اسباب تضيير هذه السياسة . فأجيبهم الحاكم بأن السياسة التي التزمها النبي عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه كان الضرض منها الترغيب في التحول الى الاسلام الا ان هذه السياسة لم تحث الثمرة المرجوة منها وقد مضى عليها اربعة قرون وبالرغم من ذلك ما زال يوجد كثير من غير المسلمين في البلاد المصرية او غيرها ثم قال لهم : " فليس لكم الان عندى الا اختيار واحدة من اثنتين ، اما استنصاحك الاسلام ، يحمى كل هذا التأخير ، واما العقوبة العاجلة اذا ابتمت الخسول فيه " . (١)

ولما عدل الحاكم عن سياسة المصنف والارهاب ازاء أهل الذمة في سنة ٤١١ هـ واذن لهم باعادة بناء الكنائس والاديرة كما امنهم على انفسهم ، عاد كثير من اسلم من القبط واليهود الى دينهم القديم . وتذكر بعض الروايات القبطية ان جماعة من القبط الذين كانوا قد اسلموا وقفوا في طريق الحاكم وسألوه ان يأذن لهم فسي العودة الى دينهم المسيحى ، فسمح لهم بذلك وتبع هؤلاء جماعات اخرى من الذين تحولوا الى الاسلام في ذلك العصر تحت تأثير الضغط والارهاب . (٢)

وكان ذلك هو شأن اليهود ايضا . فقد عاد الكثير منهم الى دينهم اليهودى بعد تسامح الحاكم معهم . (٣) ويقول ابن زولاقي انه قد ارتد عن الاسلام اكثر من سبعة آلاف يهودى وعادوا الى دينهم القديم في يوم واحد . (٤)

وتذكر من الامثلة لهؤلاء الذين اسلموا في ذلك العصر ثم ارتدوا عن الاسلام وعادوا الى دينهم القديم ، الراهب " بيمين " الذى سأل الحاكم ان يأذن له ببناء

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٨-٢٠٩

(٢) ابن المقفع : سيرة الابهاء البطارقة ٢٤ ج٢ ص ١٣٥- ابن حميد الانطاكى ص ٢٣١

(٣) Mann : The Jews, T.1. P. 35.

(٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٢٠٩

دير على اسم الشهيد مقوريوس ، وهو دير شهران فأذن له الحاكم بذلك .
وقد سكن بعين هذا الدير هو جماعة من الرهبان ، وكان الحاكم بامر الله يتسرد
عليه كثيرا فيه . وقد استغل هذا الراهب حسن علاقته بالحاكم في تحسين أحوال
القبط وتوفير الامن لهم جميعا . (١)

وكان ذلك في الواقع مخالفا لحكم الاسلام بشأن المرتد ، اذ كان الاسلام
يقضى بقتل المرتد ولكن ذلك لم يحدث مطلقا في عهد الخليفة الحاكم . وتسوق
لنا بعض المصادر القبطية قصة القديس ديسقورس الذي كان من سكان مدينسة
الامكندرية واعتنق الاسلام وكتب الى اخيه في مدينة الفيوم يعلمها بترك المسيحية ،
واعتراف دين الاسلام فأرسلت اليه تقول : " لقد كنت اشتبهى ان يأتينى خبر موتك
وانت مسيحي فكنت افرح بذلكولا يأتينى خبرك بانك تركت المسيح الهك . . وأعلم
ان هذا الكتاب آخر صلة بينى وبينك فمن الان لا نحمد ترمنى وجهك ولا نكاتبسنى " .
فكان لهذا الكلام أثره الشديد فى نفسه ، فأسرع بارتداء ملابس القبط وشد الزنار
فى وسطه ووشم نفسه بعلامة الصليب فلما بلغ خبره والى مصر - لم تحدد الروايسة
تاريخ هذا الحدث - أمر بالقهض عليه وسأله عن سبب ارتداده عن الاسلام فأجابه
ديسقورس " انا ولدت مسيحيا ، وأموت مسيحيا ، ولا اعرف ديننا غير هذا " . فهدده
الوالى وألحق به كثيرا من ألوان التمذيب وسجنه ولكنه أصر على تمسكه بالمسيحية
فأمر الوالى بقتله حرقا . (٢)

وقد حدث ما يشبه ذلك فى أوائل عهد الفاطميين فى مصر اذ علم القاضى
محمد ابن النعمان - فى القرن الرابع الهجرى - ان احد القبط كان قد اعتنق
الاسلام ثم ارتد عنه وكان قد جاوز الثمانين من عمره . وقد أمر الخليفة الفاطمى

(١) ابن المقفع : سير الابهاء البطركة م ٢ ج ٢ ص ١٢٥ - ابو صالح الارونى

ص ٢٠

(٢) السنكماره : ج ٢ ص ١٣-١٤

العزیز بالله تسلیمہ الی والی الشرطة وطلب من القاضي ان یرسل الیہ اربعمئة
شہود لیتوب امامہم ؕ فان تاب ضحہ مائة دينار وان أصر علی ارتدادہ عن الاسلام
یقتل ؕ ولكن هذا المرتد أصر علی موقفہ فقتل وألقى بہ فی النیل . (١)

ولما توفي الخليفة الحاكم بأمر الله ولي الخلافة الفاطمية بعد ما بينه الظاهر
لاعزاز دين الله في سنة ٤١١ هـ . وأصدر الظاهر سجلا قرئ على جميع
سكان مصر وقد جاء فيه " انه انتهى اليه استعمار جماعة اهل الذمة من النصارى
واليهود انهم يستكروهن على الانتقال الى شريعة الاسلام وامتصاصهم من ذلك
لذ كان لا اكراه في الدين ؕ وان يزيلوا من انفسهم ما تخيلوه ويتحققوا انفسهم
يحملون على حكم الصيانة والرعاية وينزلون منزلة اهل الحماطة والحماية ؕ ومن آثر
منهم الدخول في دين الاسلام اختيارا من قلبه ؕ وهداية من ربه ؕ ولم يكن فرضه
التميز والاستطالة فليدخل فيه مقبولا بمرورا ؕ ومن آثر بقاءه على دينه من غير
ارتداد كان عليه ذمته وحماطته وعلى جميع اهل الملثة حفظه وصيانته . (٢)

ونلمس من دراستنا لتاريخ اهل الذمة في خلافة المستنصر بالله انه قد
اسلم في عهده نفر من القبط واليهود ؕ رغبة في الاستمرار في مناصبهم
وارضاء لشعور المسلمين الذين كثيرا ما كانوا يمتنكون تسلط اهل الذمة
على شؤون الحكم ؕ تذكر من هؤلاء ابا منصور صدقة بن يوسف الفلاحسى
وكان يهودى الاصل ؕ ثم اعتنق الاسلام ؕ وقد ولي الوزارة للمستنصر
في سنة ٤٣٦ هـ . (٣)

(١) الكندي : الولاية والقضاء ص ٥٩٣

آدم متر : الحضارة الاسلامية جا حاشية ص ٥٨

(٢) ابن سحيد الانطاكي ص ٢٣٥-٢٣٦

(٣) ابن الصيرفي : الاشارة الى من نار الوزارة ص ٣٧-٣٨

ونذكر منهم ايضا: ابا علي الحسن بن ابي محمد ابراهيم بن سهل
التستري * الذي تخلى عن اليهودية وتولى الوزارة للخليفة المستنصر. (١) وأبنا
محمد منصور المعروف بابن زنجور * وكان قبليا ثم اعتنق الاسلام * لما عهد
اليه بالوزارة * في عهد الخليفة المستنصر ايضا. (٢)

(١) ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥٢
(٢) نفس المصدر ص ٥٤

٥ - موقف اللغة العربية من اللغتين
اليونانية والقيبطية

كان انتشار اللغة العربية في مصر صاحبا ايضا للفتح العربي ومقترنا الى حد كبير بانتشار الاسلام لانه كان يجب على من يمتنع الاسلام ان يتعلم اللغة العربية حتى يمكنه قراءة القرآن واداء الصلاة . ويجدر بنا ان نشير الى ما كان سائدا في مصر قبل الفتح العربي من اللغات .

كانت اللغة اليونانية قبل الفتح العربي هي اللغة الرسمية في الحكومة والمعاملات التجارية والكنيسة والعلاقات السياسية ، اما لغة المصريين الدارجة التي يتحدث بها عامة القبط فهي اللغة القبطية ويبدو ان استخدامها كان ييسر ابناء المجتمع القبطي وفي شرح المعلوم والدروس الدينية التي كانت تلقى باليونانية ثم تشرح للقبط بلغتهم القبطية . (١)

وهكذا كانت اللغة اليونانية هي لغة الثقافة والحكومة بينما احتفظت اللغة المصرية بمنزلتها بين الشعب فلم تتغلب اليونانية عليها حتى ان احد القمص قال : " اذا اراد يوناني ان يعلم المصريين شيئا من القانون فخير له ان يتعلم لغة المصريين حتى يستطيع ان يفهمهم اما اذا خاطبهم باليونانية فلا فائدة من حديثه " . وذلك يؤكد عدم انتشار اللغة اليونانية بين جميع المصريين . وان اللغة اليونانية كانت تسير جنبا الى جنب مع اللغة القبطية حتى الفتح العربي للبلاد المصرية . (٢)

وكانت اللغة القبطية تكتب بالحروف اليونانية ثم اضاف لها القبط سبعة حروف من الخط الديموطيقي Demotiv وهي حروف تعبير عن اصوات ليس لها مقابل في اللغة اليونانية وهي : شاي (ش) وفاي (ف) وخاش (خ) وهوري

Meinardus : Christian Egypt. P. 107. (١)

ومحمد كامل حنين : ادب مصر الاسلامية ص ٢٨
(٢) محمد كامل حنين : ادب مصر الاسلامية ص ٢٧

(هـ) و جنبا (ج) وتشيطا (تش) وتى (ت) . (١)

وكانت اللغة القبطية قسمة الى عدة لهجات او لغات رئيسية . يقول احد اصاقفة مصر الاسلمية (فى القرن الخامس الهجرى - الطدى عشر الميلادى ويدهسى انتناس Athanase - وكان اسقفا لمدينة قوص) " تعلم ان اللغة القبطية مقسومة على ثلاث اقالم منها القبطى المصرى الذى هو الصعيدى ومنها القبطى البحرى ، المعروف بالبحيرة ومنها القبطى البشمورى المستعمل ببلاد البشمور . والمستعمل الان - اى فى مصر هذا الاسقف - القبطى البحرى والقبطى الصعيدى والاصل فيها لغة واحدة " . (٢)

وكانت هذه الاقسام الرئيسية للغة القبطية تقسم بدورها الى لهجات فرعية نذكر منها الفيومية وكان استخدامها قاصرا على اقليم الفيوم والاخميمية وكانت لهجة سكان اخميم . والاخميمية الفرعية او الاميوطية وتكلم بها الاهالى فى المنطقة ما بين البهنسا واسيوط . (٣)

كانت اللهجة البحرية Bohairic هى المستعملة فى الطقوس الدينية فى الكنيسة القبطية بينما كانت اللهجة الصعيدية Sa'idic هى لهجة الادب ، وكانت اكثر اللهجات انتشارا فى مصر اما اللهجات الاخرى فكان كل منها خاصا بالاقليم الذى يحمل اسمه وبالرغم من ان اللهجة الصعيدية كانت هى اللهجة العامة القبطية حتى القرن التاسع الميلادى فان اللهجة البحرية قد حلت محلها لاسباب اکتسبت من الاهمية الدينية والكنسية وايضا لان كثيرا من الادب الصعيدى قد ترجم الى اللهجة البحرية . (٤)

(١) مواد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ص ٢٤ - ٢٧ - يس عبد المسيح :

اللهجات القبطية واثارها الادبية ص ٣٩ (رسالة مارينا سنة ١٩٥٤ م)

و Meinardus: Christian Egypt. P. 107.

(٢) Quatramère: Recherches Critique et Histoire sur la langue et le literature de l'Egypte, PP.20-21

(٣) مواد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ص ٢٧ - ٢٨ يس عبد المسيح :

اللهجات القبطية واثارها الادبية ص ٤١ - ٤٢

و Meinardus : Christian Egypt. P. 107.

(٤) Meinardus : Op. Cit. PP. 107 - 108.

ساعد الفتح العربي لمصر على اتعاش اللغة القبطية (١) وكان ذلك في الغالب على حساب اللغة اليونانية لغة البلاد الرسمية منذ عهد البطالمة فيبعد ان كانت الدروس الدينية في كثير من الاحيان تقراً باليونانية . ثم تشيخ للقيط باللغة القبطية الدارجة اصبحت بعد الفتح العربي لا تقراً الا باللغة القبطية وتشرح بها ايضا . والى جانب ذلك نجد البلاد والاقاليم التي كانت تغلب عليها الاسماء باليونانية اصبحت تعرف باسمائها القبطية التي ترجع الى الاسماء المصرية القديمة ونذكر من الامثلة على ذلك اخميم بدلا من بانوبوليس Panopolis واهناسيا بدلا من هيراكليوبوليس Héracleo- والاشمونيين بدلا من هرموبوليس Hermo-
polis وكان ذلك في الواقع يمنا لقديم لم يندثر تماما . فان اللغة القبطية او الاسماء المصرية القديمة كانت قد غلبت على امرها لفترة من الزمن ثم اخذت تستعيد مكانتها عند الفتح العربي لمصر . (٢) بعد ان تخلصت البلاد من الحكم الروماني وما كان يربى اليه الحكام الرومان من القضاة على اللغة القبطية وان يحل محلها اللغسة اليونانية في جميع الامور والاحوال . فتظل لهم بذلك السيطرة والحكم على البلاد سياسيا ولغويا .

ونحن نرى انه كان امرا طبيعيا ان تنتشر لغة العرب الفاتحين بين المصريين وان يتطور الامر فتصبح اللغة العربية لغة البلاد الرسمية بدلا من اللغة اليونانية وكان ذلك في الواقع نتيجة حتمية لسيادة العرب على البلاد المصرية بدلا من الرومان .

وكان انتشار اللغة العربية في مصر مصاحبا لانتشار الاسلام حتى صارت اللغة العربية لغة التخاطب ولغة الكتابة والعلم . ونلاحظ ان انتشار اللغسة العربية بين المصريين كان يمير بيضا بمكس ما كان عليه الحال في انتشار الاسلام .

(١) Quatrémer: Recherches Critique et historique sur la langue et le literature d'Egypte, P.32.
(٢) G. Wiet : L'Egypte Musulmane..., PP. 137 - 138.

كما اننا نلاحظ ان المصادر التاريخية المختلفة لم تشير الى متى بدأ القبط يستخدمون اللغة العربية لغة للتخاطب فيما بينهم . وصحما كان الامر ، فاننا يمكن ان نقول ان القبط او المصريين بصفة عامة قد عرفوا اللغة العربية منذ السنوات الاولى للفتح العربي لمصر . ذلك لان من احدثق منهم الدين الاسلعي كان لزاما عليه ان يتعلم اللغة العربية حتى يتمكن من تفهم دينه الجديد ومعرفة شرائحه الى جانب قراءة القرآن .

كلمة الش في

كذلك يبدو انه قد حدث ان تعلم اللغة العربية في القرن الاول للمسيح في مصر . بعض القبط المحافظين بد ينهم المسيحي حتى يتقربوا الى الحكام واولى الامر في البلاد نذكر من هؤلاء الشامس بن يامين الذي تقرب الى الاصبغ بن عبد العزيز فقد عهد اليه ابوه عبد العزيز بن مروان بكثير من امور مصر . وكان هذا الشامس يطلع الاصبغ على كثير من اسرار القبط . كما قام بترجمة الانجيل من اللغة القبطية الى اللغة العربية بناء على طلب الاصبغ كما ترجم له كتباً دينية اخرى وكان الاصبغ يروي مسن وراء ذلك ان يعلم هو والمسلمون ما في هذه الكتب مما يعنى الدين الاسلعي . (١) ولاشك ان هذا الشامس كان يتقن اللغة العربية ويفهمها جيدا حتى انه امكنه القيام بهذه الترجمة . ونرى ايضا ان ما قام به الاصبغ من ترجمة هذه الكتب الى اللغة العربية كان مقدمة لتعريب الدواوين واتخاذ اللغة العربية لغة رسمية للبلاد .

وحدث ايضا في ايام عبد العزيز بن مروان على مصر ان امر الخليفة عبد الملك بن مروان بترجمة لنصوص التي اعتاد ان يكتبها صناع اوراق البردي في مصر على ما يقومون بصناعتها من هذه الاوراق . فلما تبين معناها قال : " ما اظنظ هذا في امر الدين والاسلام " . وكتب الى اخيه عبد العزيز بن مروان في مصر بأبطال هذه الكتابات وان يستبدلها باحدى الشهاداتتين ، فقام عبد العزيز بن

(١) ابن العقيق : سير الالبا ، البطاركة ، ج ٢ ، ص ١٤٣

مروان بذلك • (١) وسهد ذلك كله فيما بعد لتكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية بدلا من اللغة اليونانية وان تكون ايضا لغة التخاطب بين القبط وفي المعاملات الاجتماعية •

استمرت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية في الدواوين حتى عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦ هـ) ويؤيد ذلك اوراق البردي ذات الصبغة الرسمية والتي يرجع تاريخها الى عهد الوليد والتي دونت باللغتين اليونانية والعربية معا • وذلك لان اللغة اليونانية كانت اللغة الرسمية التي تدون بها الاعمال فسي تلك الدواوين اما اللغة العربية فكانت لغة الحكام العرب •

ونذكر من الامثلة على ذلك بردية يرجع تاريخها الى سنة ٨٦ هـ • وتتضمن مرسوما صادرا من والي مصر عبد الله بن عبد الملك (٢) • وهذه البردية

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام العياشي ج١ ص ٤٤٩ • ويقول انه لما حملت هذه القراطين الى بلاد الرومان وهم امبراطورهم بها امتشاط غضبا واستنكر ما فيها وكتب الى عبد الملك يقول : " ان عمل القراطين من بمصر وسائر ما يطرز هناك للرومان ولم يزل يطرز بطرازهم فان كان ممن تقدمك من الخلفاء قد اصاب فقد اخطات وان كنت قد اصبحت فقد اخطاوا فاختر احدى الخاطين وارسل اليه هديه يفرجه بها حتى يعيد القراطين الى ما كانت عليه فردها اليه عبد الملك ولم يعطيها اى اهتمام ولم يجيب الامبراطور الرومانى الى رغبته • عند ذلك هدد الامبراطور بنقش سب النبي عليه الصلاة والسلام على النقود • مما ادى الى ضرب النقود الاسلامية آنذاك • نفس المصدر السابق •

تدل فسي الواقع على ان اللغتين اليونانية والعربية كانتا مستعملتين فسي
دواوين الحكومة حتى ذلك العصر . فلما كانت سنة ٨٧ هـ نقل عبدالله بن عبدالملك
دواوين مصر الى اللغة العربية . وبذلك صارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية
التي تدون بها الاعمال بدلا من اللغة اليونانية . (١)

(٢) جوهان : اوراق البردي الصفر ١ ص ٢٥-٢٦ طراز رقم ٥٩ ويقبول
جاستون فيت انخذ بداسة اوراق البردي التي ترجع الى الحصر العربي في مصر
يمكن ان نستخلص ان الاوراق البردية التي دونت باللغتين العربية واليونانية
اقدمها يرجع الى سنة ٢٢ هـ (٢٤٣ م) وحدثها يرجع الى سنة ١٠١ هـ .
٢١٩ م وهناك برديات باللغة اليونانية فقط اخرها مؤرخ في سنة ١٦٤ هـ (٢٨٠ م)
اما اوراق البردي المدونة بالعربية فقط فاقدمها يرجع الى سنة ٩٠ هـ (٢٠٩ م)
انظر : G. Wiet: L'Egypte Musulmane, P.138, et
Zaki Hassan : Les Tulunides, P.217.

ولفظ طراز فارسي الاصل معناه التطريز ثم صار يطلق على الثوب الموشى .
ثم اطلق هذا اللفظ اخيرا على الدار التي كان يصنع فيها الثياب او على العادة
التي تستعمل في التطريز ثم تطورا احتمال هذا اللفظ وصار يطلق على
كل قطعة من النسيج عليها كلمات منقوشة او مكتوبة واطلق لفظ طراز اخيرا
على الكتابة التي كانت تكتب على دج البردي . في الدار التي كان يصنع
بها اوراق البردي ويطلق عليها اسم " الطراز " .

وكان دج البردي يتكون من عشرين ورقة ملصق بعضها ببعض وتسمى الورقة
الاولى من هذه الاوراق باليونانية Protocol اي اللصق الاول وكانت تشتمل
على الكتابة الرسمية التي تسمى الان الطراز . انظر جوهان : اوراق البردي
السفر الاول ص ٣٤

(١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٥٨ وكانت دواوين الخواج والجبليات وغيرها
من الدواوين في البلاد الاسلامية شأنها شأن مصر على ما كانت عليه قبل الفتح
العربي لها فديوان العراق كان باللغة الفارسية وديوان الشام بالرومية . وكتاب
الديوان من اهل العهد من الفريقين فلما كانت خلافة عبدالملك بن مروان يقول
ابن خلدون في المقدمة ص ٢٤٢ احتل الامر ملكا وانتقل القوم من غناضرة
الهداوة الى روتق الحضارة ومن سداجة الامة الى حذق الكتابة وظهور
في العرب وبوالهمهم مهرة في الكتابة والحبان . ومن ثم فكر عبدالملك في جعل
اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الدواوين واعمال الحكومة وامر سليمان
ابن سعد ان ينقل ديوان الشام الى اللغة العربية فكان ذلك وجعل عليه
سرجون بن منصور كاتب عبدالملك فقال للكتاب الرومان اطلبوا العيش في غير
هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم اما ديوان العراق فقد امر الحاجج ابن يوسف
الثقفى كاتبه صالح بن عبدالرحمن الذي كان يحلم الكتابة بالعربية والفارسية
بتصويب ديوان العراق فكان ذلك انظر المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٥٨-١٥٩
مقدمة ابن خلدون ص ٢٤٣-٢٤٤

وقد أدت عملية تحريب الدواوين في مصر الى نقل كثير من المصطلحات اليونانية والقبليزية الى اللغة العربية . ومن ثم صار للعرب السيادة اللغوية الى جانب السيادة السياسية والحربية . وبدأت تنتشر اللغة العربية في جميع المدن والقرى المصرية وأصبحت لغة الادارة والحكم والتدريج . صارت بعد ذلك لغة الثقافة ولغة التخاطب . فضلا عن انها لغة السياسة والدين . (١)

ونلاحظ ان تحريب الدواوين في سنة ٨٧ هـ لم يقض نهائيا على استخدام اللغة اليونانية في كتابة الوثائق الرسمية . فكان من الضروري ان يكون هناك مرطفا انتقال يتم بعدها توقف استخدام اللغة اليونانية في الاعمال الرسمية . فقد استمرت اللغة اليونانية تدون بها الوثائق الى جانب اللغة العربية طوال عهد الامير عبدالله ابن عبدالملك وفي عهد خلفه قرة بن شريك . ويؤكد ذلك كثير من الاوراق البرديية (التي ترجع الى الفترة ما بين سنتي ٨٦ و ٩٦ هـ) . (٢)

كما تشير احدى اوراق البردي العربية الى احتمال اللغة اليونانية فسسى بعض الوثائق في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ولا شك ان ذلك يدلنا على ان بعض المصريين كان لا يزال يلجأ باللغة اليونانية حتى ذلك الوقت . ويتحدث عنها . وتتضمن هذه البردية تظلم بعض القرى المصرية من عمال الضرائب وهي مؤرخة في سنة ١٣٧ - ١٤٠ هـ (٧٥٤ - ٧٥٧ م) وتتكون هذه الوثيقة من واحد ومائة سطر كتبت الثمانون اسطر الاولى منها باللغة الطهية والاثني عشر سطر التاليسه باللغة اليونانية اما باقى الاسطر فقد كتبت باللغة العربية . والاسطر القبطية تحوى على نص الاخطار الاصلية . (٣) وذلك يدلنا - مهدون شك - على ان رؤساء

(١) سيدة كاشف : عبدالعزيز بن مروان ص ١٤٥

(٢) جروهان : اوراق البردي جا طراز ٦ ص ١١ - طراز ٦١ ص ١٣ طراز ٢٢ ص ١٤ - طراز ٣١ ص ١٦ - طراز ١٨ ص ١٧ - طراز ٥٠ ص ١٨ - طراز ٥١ ص ١٩ - طراز ٢١ ص ٢٠ - الى غير ذلك من البرديات المتعددة حتى ص ٤٩

(٣) جروهان : اوراق البردي جا ص ٦٧ - ٧٠

القرى كان جلهم تقريبا من القبط في ذلك العصر، الى جانب ان اللغة القبطية كانت هي اللغة المستعملة في القرى المصرية في حياة القبط وفي تعاملهم في المجتمع المصري. ولم تكن اللغة العربية حتى ذلك العصر قد صارت لغة التخاطب والمعاملات الكلية في جميع المدن والقرى المصرية. اما النصوص اليونانية في هذه البردية فكان عبارة عن وصف دقيق لبعض محتويات النص مثل اسماء الجحاطات التي كتبت الاخطار بينما كان النص المرصى اكثر اختصارا. (١)

ويرى بعض الكتاب المحدثين (٢) ان استخدام اللغتين اليونانية والعربية في مصر في التخاطب والمعاملات بين الرومان والقبط وغيرهم كان سائدا بين سكان مصر وولدنا على ذلك ما جاء في بعض اوراق البردي حيث يوجد ثبوتا عبارة عن احد عشر سطرا ووضم اسماء لبعض القبط ويرجع خطه اليوناني المنقوش الى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي). (٣)

ونستخلص من دراسة اوراق البردي المصرية ان اللغة القبطية كانت تستخدم في كتابة بعض الوثائق في مصر الاسلامية - كما رأينا في البردية المتضمنة ظلامسة بعض القرى - وان كان من المستبعد ان نقول ان اللغة القبطية قد اصبحت لنفسه رسمية في المعاملات الحكومية وانما كانت في المرتبة الثالثة بعد اللغتين العربية واليونانية (٤) ونستدل على ذلك ببعض اوراق البردي التي كان يكتب فيها النصوص القبطية في نهاية الوثيقة. (٥) او في ظهورها (٦) وضاف الى ذلك

-
- (١) جوهان : اوراق البردي ج ٢ ص ٧٠
 - (٢) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٤٥١-٤٥٢
 - (٣) جوهان : اوراق البردي ج ١ ص ٥٤
 - (٤) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٤٥١
 - (٥) ويقول جوهان في وصف الطراز رقم ٦ المورخ في صفحتي ٨٦ - ٩٦ (ج ١ ص ١١) وفي اسفل الطراز فراغ عرضه ١٥ سم وفي اسفله نص قبطي عشرة اسطر وايضا الطراز رقم ٦١ ص ١٢ وفيه نجد بين نص الوثيقة اليونانية وبين نص الصك القبطي ٥ سم. وكذلك البردية رقم ٤ ص ٤٤ يوجد بين النص القبطي و متن الطراز ٦٥ سم.

ان النص القبطى كان - فى الغالب - يكتب بحجر يختلف لونه عن لون الحجر السذى يكتب به نص الوثيقة الصينى او اليونانى . (١)

وبالرغم من ان اللغة العربية قد اصبحت اللغة الرسمية فى البلاد المصرية او بمعنى اخر لغة السياسة والحكم فانه من الواضح ان القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى - انها لم تصبح لغة التخاطب بين سكان مصر جميعا . وانه كان لا يزال يجهلها كثير من القبط ونرى ذلك واضحا حينما قيصر مروان - اخر الخلفاء الامويين - على البطرك انبا كزيمان ومعضل اساقفة وكان هؤلاء القبط لا يفهمون العربية ولا يمكنهم الحديث بها . وكان مروان بن محمد يصحب معه بعض المترجمة الذين تولوا ترجمة الحديث الذى دار بين مروان وبين البطرك القبطى لعدم فهم كل منهما للغة الاخرى . (٢)

وتشير بعض المصادر القبطية الحديثة الى ان اللغة العربية بدأت تنافس اللغة القبطية فى التعليم والدراسة وفى مختلف العبادات منذ القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى . ولا غرو فان حلول اللغة العربية محل اللغة القبطية فى الكتابة سبقه انتشار اللغة العربية كلفة للتخاطب بين افراد الشعب فقد اصبحت اللغة العربية لغة الدواوين ثم صارت لغة التعليم والدراسة . وقد اصبحت القبط انفسهم فى القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) يولف علماء هم

(٦) جوهان اوراق اليردى جا الطراز رقم ٦٦ ص ٢٣ وه سطر ١١ على متن قبطى كتب فى ظهر الطراز والطراز رقم ٧ ص ٤٢ وظهره اربعة عشر سطر من صك قبطى - وكذلك الطراز رقم ٤ ص ٤٦ اربعة اسطر قبطية فى ظهر الاصل .

(١) انظر وصفى جوهان (جا ص ١١) للطراز رقم ٦ فان الصك مكتوب بحجر بنى مائل للسواد على حين كتبت السطور القبطية بحيز اسود . وكذلك الطل فى الطراز ٦١ ص ١٣ والطراز ٦٦ ص ٢٣ والطراز ٧ ص ٤٢ وطل الحكس من ذلك الطراز رقم ٣ ص ٤٤ فان لون الحجر فى نصه الاصلى اسود ولونه فى النص القبطى بنى .

(٢) ابن العنق : سير الالبا البطرك رقم ١ جا ص ١٩٧-١٩٨

في العلوم اللاهوتية باللغة العربية مما يدل على انها صارت لغة العلم وكان يفهمها
اغلب سكان مصر. (١)

ونرى ان تحول كثير من الذميين الى اعتناق الدين الاسلامي كان من
اهم العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية فصارت لغة التخاطب ثم لفظة
العلم والدراسة. اذ كان لزاما على هؤلاء المتحولين الى الاسلام ان يدرسوا
اللغة العربية ويفهموا فيها حتى يتوكلوا من قراءة القرآن وفهم شرائع الاسلام.
ومن ثم صارت اللغة العربية بالتدريج على مر العصور التاريخية - ضرورة في عمليات
البيع والشراء في المدن. كما اقبل القبط في القرى على تعلم اللغة العربية
واستعمالها في حياتهم اليومية. (٢)

وبالرغم من انتشار اللغة العربية في بداية القرن الثالث الهجري وفهم
كثير من القبط لها فان ذلك لم يقض نهائيا على اللغة القبطية، اذ يبدو ان بعض
القبط استمر محافظا على لغته القبطية دون مطولة لمعرفة غيرها. ويؤكد
ذلك ان الخليفة المأمون لما زار مصر في بداية القرن الثالث الهجري كان يصحب
معه المترجمين عند زيارته لبعض المدن والقرى التي مربها في طريقه.

فيقول القزويني (٣) ان الخليفة المأمون مر في طريقه بقية طاء النمسيل
فلم يدخلها وكانت ملكا لحجوز قبطية تسمى مارية. فخرجت هذه المرأة تنادي

(١) مراد كامل : حجارة مصر في العصر القبطي ص ٧١-٧٢.
يحيى همدان الصبح اللهجات القبطية وآثارها الادبية ص ٤٩ (رسالة
مارينا سنة ١٩٥٤م).

(٢) G. Wiet : L'Egypte Musulmane. P. 138.

(٣) الخط ج ١ ص ١٣٠-١٣١

على الخليفة فظنهما المأمون مستخيفة مظلمة ، فوقف لها وكان لا يدعى ابدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت : يا أمير المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت شيعتى والقبط تميزنى بذلك وأنا أسأل امير المؤمنين ان يشرفنى بحلولة فى ضيعتى ليكون لى الشرف والعقبى ولا تشمت به الاعداء * .

وحدث فى عصر هذا الخليفة ايضا ان البطررك كثيرا ما كان يخاطب اساقفته باللغة القبطية مع علمهم جميعا باللغة العربية . فقد حدث ان قاض مصر آنذاك محمد ابن عبد الله استدعى البطررك انبا يوساب وبعض الاساقفة الذين سمعوا به لدى هذا القاضى وتمعد القاضى المذكور اهانة البطررك انبا يوساب امام هؤلاء الاساقفة . فوجه البطررك بعض الكلام الى هؤلاء الاساقفة الخارجين عليه باللغة القبطية وكان فى هذا المجلس جماعة من الفقهاء المسلمين الذين يعلمون القبطية فترجموا للقاضى ما قاله البطررك باللغة القبطية الى اللغة العربية . (١)

ويؤكد ذلك بعض اوراق البردى التى ترجع الى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فهناك بردية مؤرخة فى ذى القعدة سنة ٢٣٩ هـ . تتضمن عقد بيع وتشير الى ان احد القبط قد ادلى بشهادته على هذا المقعد وكتب شهادته واسمه باللغة القبطية . (٢) ومع ذلك فان ما قام به الخليفة العباسى المعتصم من اسقاط الموب من الديوان قد أدى الى اختلاط العرب بالصيريين فى القرى والمدن المصرية ، مما كان له اثره الواضح فى انتشار اللغة العربية بدمر قضائها على اللغة القبطية . (٣)

اخذت اللغة العربية تجد طريقها بين اهل الذمة حتى صارت الاغلبية منهم تجيدها قراءة وفهما وتحدث بها فى العصر الطولونى وبدلنا على ذلك ما جاء

(١) ابن القفج : سير الالباة البطاركة م ١ ج ٢ ص ٢٩١

(٢) جروهمان : اوراق البردى ج ١ ص ١٤٦ - ١٥٢

(٣) سيده كاشف : مصر فى فصول السلام ص ٢٥٧ - ٢٥٨

في بعض الاوراق البردية فهناك بردية مؤرخة في سنة ٢٧٤ هـ وفيها ان احد القبط
قد ادلى بشهادته وجاء في هذه البردية " اقترار دانيال بجميع ما في هذا الكتاب
بعد ان قرئ عليه حرفا حرفا فأقر بفهمها ومعرفته بها فيه " (١)

ولمخ الامريان صارت جميع وثائق اهل الذمة سواء كانت تتضمن عقد بيع
او شراء او عقود الزواج تكتب باللغة العربية ومن الامثلة على ذلك بردية تتضمن
عقد زواج ثم في الاشمونين بين يحنس بن شنودة وبين زوجته القبطية . (٢)

ونحن نرجح ان اللغة القبطية كانت مازالت متداولة بين بعض القبط حتى عهد
الامراء الاخشيديين واستمر ذلك حتى اواخر القرن الرابع الهجري (العاشر
الميلادي) فيقول القديس (٣) عن سكان مصر " لغتهم عربية . . . وذمتهم يتحدثون
القبطية " اي ان اللغة التي كانت سائدة في البلاد وفي المعاملات المختلفة وشئون
السياسة والحكم بل والعلم والدراسة كانت هي اللغة العربية . بينما كان اهمل
الذمة حتى ذلك العصر لا يزال كثير منهم يتكلم القبطية وقد يكون ذلك الى جانب
فهمهم والاطمئنان باللغة العربية .

ونستدل على ذلك بان سعيد بن بطريق المطرك الملكي قد ألف كتابا
في التاريخ باللغة العربية وذلك في النصف الاول من القرن الرابع الهجري . ثم
جاء بعده الاسقف ساويرس بن العفج . اسقف مدينة الاشمونين . فكتب كتابه
الشهور " سير الابهاء البطارقة " في اواخر القرن الرابع الهجري (العاشر
الميلادي) في عهد الخليفة الفاطمي المزمع له من الله باللغة العربية . وكان
ساويرس (٤) يقوم بجمع الوثائق اليونانية والقبليية وترجمتها الى اللغة العربية
ما يؤكد لنا ان اللغة العربية قد اصبحت آنذاك لغة التخاطب بين المصريين عامة .

(١) جروهان : اوراق البردي ج٢ ص ١٧٠

(٢) المصدر السابق ج٢ ص ٨٥-٨٦

(٣) احسن التلخيص : ص ٢٠٣ و The Oxford Dictionary of the Christian Church, Art. Coptic. P.342.

(٤) سير الابهاء البطارقة م ١ ج١ ص ٦

ويقول ساويرس في مقدمة كتابه المذكور " . . . فاستمعت بمن اطم امتحانهم من الاخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتي على نقل ما وجدته منها بالقلم القبطي واليوناني الى القلم العربي الذي هو الان معروف عند اهل الزمان باقليم ديسار مصر لعدم اللسان القبطي واليوناني من اكثرهم " .

ويتهم بعض كتاب القبط المحدثين بعض حكام مصر الاسلامية بمطوالتهم اقتلاع اللغة القبطية ومنع المصريين من التحدث بها ومن ثم القضاء عليها تماما ويوجه هذا الاتهام بصفة خاصة الى الخليفة الفاطمي الحاكم بامر الله . فنسراه يقول ان الحاكم بامر الله لم يقتصر على مصادرة الاقباط في كتائبهم ومنازلهم واملاكهم ودياراتهم ومقنناتهم ولا باستبدال لغتهم القبطية في دواوين الحكومة ومسالحها واعمالها الكتابية والحسابية باللغة العربية من ايام الامير عبداللـه (سنة ٧٠٤م) بل زاد الطين بلة . فأمر بحرق هذه اللغة محو تاما وازالة كل اثر لها وذلك بلحلال التحدث بها في البيوت والطرق ومعاينة كل من يستعملها بسقطح لسانه واقتد يها الحاكم في مطاوعة اللغة القبطية كثيرون من خلفائه . (١)

ونحن نرى انه لم يوجد في المصادر التاريخية المختلفة ما يشير الى ذلك صراحة في عصر الحاكم بامر الله او عصر غيره من حكام مصر المسلمين . ولعل هذا الكاتب القبطي اعتمد في اتهامه هذا على موقف الحاكم بامر الله الشديد من القبط والزمامهم ببعض الاحكام القاسية في عصره . وايضا لعله بنى رأيه هذا على ما نسه بهضرا المؤرخين القبط الى هذا الخليفة من انه عرض على بعض القبط الاسلام وانه الحق بهم كثيرا من صنوف المذاب والارهاب في سبيل ذلك فقرأى انه لا بد انه قام بمثل ذلك في سبيل ترك القبط لغتهم وسيادة اللغة العربية بينهم فسي الحديث والدراسة وغيرها .

(١) بانوب جشمى : اللغة القبطية بين الكنائس والاديرة ص ١٧ (رسالته

طارينا سنة ١٩٤٧م) .

ويشير بعض الكتاب المحدثين أيضا إلى أنه في القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلادى) ظهر نشاط فهد بين القبط ذلك أنهم أرادوا أن يعتزوا بقوتهم ويحفظوا على لغتهم فجمعوا الكتب القبطية فسمى دير منت مقار إلا أن حركتهم هذه باء بالفشل في القرن التالي - أى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) لأن اللغة القبطية كانت تتقهقر أمام اللغة العربية وكراقبال الناس على ترجمة الكتب الدينية من اللغة القبطية إلى اللغة العربية . كما أنه بعد القرن الرابع الهجرى (الماشر الميلادى) كسان رجال الكنيسة يقرأون صلواتهم باللغة القبطية بينما كانت الكتب الدينية باللغة العربية . (١)

وعليه يبدو أن مقدرة القبط على فهم اللغة العربية وتعلمها وهى لغة حكامهم المسلمين وإعمالهم اللغة القبطية قد أدى تدريجيا وبمرور الوقت إلى فقدان اللغة القبطية لأهميتها كما أن المستخدمين القبط لم يعودوا يستخدمون اللغة القبطية فى حد يسهم ولا فى كتاباتهم وإنما كانوا يستخدمون اللغة العربية مما أدى إلى نقص أهمية اللغة القبطية ثم اختفائها تماما فى مصر . (٢)

وتطور الأمر بعد ذلك إلى أن صار القبط يستخدمون اللغة العربية إلى جانب اللغة القبطية فى الكنيسة فقد قرئ تقليد القسرا نيا مقارة بطركا فى كنيسة المحلقة فى عهد الخليفة الفاطمى الأمر بأحكام الله . باللغات اليونانية والقبطية والعربية . (٣) وفى القرن الخامس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أمر البطريرك أنبا نجوما ل القصر بقراءة الصلوات والعزائم الدينية باللغة العربية - المائدة انذاك . كما عني أيضا بترجمة جميع الكتب والطقوس الدينية إلى اللغة العربية حتى يفهمها طائفة الشعب جميعا . (٤)

-
- (١) محمد كامل حسنين : أدنى عصر الاسلامية ص ٣٦ - ٣٣
(٢) Quatremere: Recherches Critique et Historique sur la langue.
(٣) ابن المقفع : سير الأباء البطاركة م ٣ ج ١ ص ٤٧٠ P. 37
(٤) Synaxaire Arabe Jacobite, T.1. P.16.
Chronique de Michel le Syrien, T.3, fasc.2.P.235,
et Meinardua: Christian Egypt. P.108, and
Butler: Ancient Churches, T.2. P.252.

ومع ذلك استمرت اللغة القبطية معروفة لدى بعض القبط حتى عصر الملوخ
ابو صالح الارمني (في القرن السادس الهجري) فكان من عادة سكان اسكندرية
ان يصعدوا الى القبط بالفتاء في افواههم باللغة القبطية الصعيدية. (١) ويؤكد
ذلك ايضا ان ابا الفخرين ازهر الذي ترك دينه اليهودي واعتنق المسيحية (في
القرن السادس الهجري) قد تعلم اللغة القبطية بطلاقة. فكان يجادل اليهود
باللغة العبرية ويفسره للقبط باللغة القبطية. (٢) وذلك يدلنا على بقاء اللغة
القبطية بين القبط يتحدثون بها ويتدارسون بها ايضا حتى ذلك العصر.
وما بعد.

وتم في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر
الميلاديين) ترجمة كتب الطقوس الدينية الى اللغة العربية لتكون بجانب
النسخ القبطية لها. (٣) وحتى عصر الملوخ القريزي (القرن التاسع الهجري
- الخامس عشر الميلادي) كان القبط مازالوا يتكلمون القبطية في الاديرة حول
اسيوط. (٤)

والواضح ان المصادر التاريخية العصرية قلما تشير الى انتشار اللغة
العربية بين اليهود - وذلك بعكس ما اعتناه بالنسبة للقبط - ولعل ذلك

(١) ابو صالح الارمني ص ١٢٩ و Butler: Op. Cit., P. 252.

(٢) ابن القفج: سير الالبا البطارقة م ٣ ج ١ ص ٥٢.

(٣) Meinardus: Christian Egypt. P. 108, and Butler: Op. Cit., P. 252.

(٤) القريزي: الخطط ج ١ ص ٤١٦.
ويقول ان نصارى قرية اد رنكة كانوا في عصره يتقنون القبطية
ويفسرون بها امور دينهم.

كان واجما كما ذكرنا مرارا الى قلة عدد اليهود في مصر بالنسبة لعدد القبط .
ويقول المقدسي (١) عن سكان مصر واهل الذمة بها خاصة " وعامة ذمته نصارى ،
يقال لهم القبط ، ويهود قليل "

والرغم من ذلك نجد اشارات في بعض المصادر الحديثة المعتمدة على
الوثائق العبرية (وخاصة الـ Cairo Geniza) تؤكد ان اللغة العربية
قد انتشرت بين اليهود ايضا شأنهم في ذلك شأن القبط كما انها اصبحت لغة
الدراسة والعلم بينهم . ويؤكد ذلك ان سعيد بن يوسف الفيومي - Saadia B. You-
ssif. ويقال له ايضا Saadia Bagounisif الذي عاش في الفترة ما بين سنتي ٨٩٢ - ٩٤٢م
(اى في القرنين الثالث والرابع الهجريين) كان اول من نبغ في الدراسات العلمية
والادبية من بين اليهود ووضع هذا العالم اليهودي كثيرا من المؤلفات باللغة
العربية بل انه ترجم التوراة الى اللغة العربية مع التعليقات والشرح حتى
يسهل فهم عامة اليهود لها . (٢)

ولاشك ان ذلك يدل على ان عامة اليهود كانوا في ذلك العصر يتحدثون
بالعربية بحيث اصبح يصعب عليهم فهم العبرية . فقام هذا العالم اليهودي بترجمة
التوراة وشرحه بالعربية لغة عصره . ولم يقتصر الامر على ذلك بل نراه يعمل مجسما
لقواعد اللغة العبرية وجعل فيه ما يقابل العبري باللغة العربية . (٣) حتى
يكون في متناول الجميع .

وقد عاصر هذا العالم اليهودي عالم يهودي آخر يسمى اسحق بن سليمان
الاسرائيلي وقد نبغ في الطب والفلسفة ، وألف كتبه في هذه الصيادين باللغة
العربية ايضا ثم رحل من مصر الى المغرب ليحمل في خدمة الخلفاء الفاطميين
هناك . (٤)

(١) احسن التقاسيم ص ٢٠٢

(٢) Maurice Fargon : Les Juifs. P. 115.

(٣) Ibid. P. 115, et The Itinerary of Benjamin, T.2. P. 244.

(٤) Maurice Fargon : Op. Cit., P. 115.

وهكذا انتشر الاسلام بسرعة عظيمة في مصر وصار دين الاغلبية المظلمسى بين سكانها ، كما انتشرت اللغة العربية وصار لها السيادة اللغوية ثم أصبحت لغة جميع سكان البلاد المصرية ، في المعاملات المياسية والتجارية وفي الحياة الاجتماعية . كما استخدمها القبط في كتاباتهم بدلا من اللغة القبطية ومن ثم اندثرت اللغة القبطية حتى صار يعجز عن فهمها عامة القبط ولا شك في ان ذلك كما تذهب بعض المصادر الحديثة كان ميزة من مميزات العربية على غيرهم من الفاتحين فان الشعوب المختلفة التي توالى على مصر قبل الفتح العربي لها لم تستطع القضاء على لغة المصريين كما حدث بالنسبة للعرب (١)

الساخنة للفردوسى

(١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٦٠

واذا قارنا ما حدث في مصر بما حدث في غيرها من البلاد المفتوحة نجد ان فتح العرب لايران مثلا والهند لم يقض على لغتها القومية ولم يقض على العقائد الدينية فيها عند الفتح قضا تاما ولم يمنع اعتناق الاتراك الدين الاسلامي من احتفاظهم بلغتهم القومية والاندلس التي كانت تزدهر فيها الحضارة الاسلامية بعد فتح العرب لها تغلب على امرها في اواخر المصور الوسطى وتمود ثانية دولة مسيحية الدين بعيدة عن اللغة العربية انظر نفس المصدر ص ٢٦١-٢٦٢

٦- أثر سياسة الضرائب في انتشار الاسلام والتعريب

ياتى في مقدمة الضرائب الجزية والخراج • وقبل ان نخوض في البحث في هاتين الضريبتين وغيرها ، يجدر بنا ان نمعرف كلا من اللفظين فالجزية هي ضريبة الروس اما الخراج فهو الضريبة العقارية المفروضة على الارض • (١) وقد كان لهاتين الضريبتين اثرهما في ابعاد انتشار الاسلام والتعريب في مصر

ويرى فان بوشم Van Berchem ان كلمة خراج يقصد بها الضريبة المقابلة وايضا جزية الروس وانها احيانا تطلق على ضرائب اخرى تختلف في طبيعتها عن هاتين الضريبتين • (٢) بينما يرى فلهاوزن ان لفظي خراج وجزية كانا لفظيين مترادفين ولم يتعد مدلولهما معنى اتاوة Tribute وان العرب لم يميزوا بين ضريبة الارض وضريبة الرأس الا منذ سنة ١٢١ هـ وكان من اشد المتحمسين لرأى فلهاوزن ، بكر G.H.Becker ويذهب بكر الى ان العرب في مصر طلبوا اتاوة نقدية ، بحسب مقدارها بمعدل دينارين عن كل فرد من الرجال الى جانب اتاوة عينية تضاهى ضريبة القمح Embolé في عهد الرومان وكانت هذه الاتاوات تجمع بواسطة المصريين طبقا للنظم البيزنطية - التي ابقى عليها عرب بن المصاح دون تفسير يذكر - ويضيف بكر الى ذلك ، ان جزءا من هذه الاتاوة كان يأتى عن تطبيق ضريبة الواى البيزنطية القديمة • (٣)

ع
الرأس

ثم يقول بكر انه لما كان العرب هم الذين يتصلعون الضرائب دون القيام بجمعها او ثقدها فهم لهذا لم يميزوا باى شكل من الاشكال بين ضريبة الارض وضريبة الرأس وانه قد حدث اول تحول عن هذا النظام في ولاية عبدالمعز بن سوان عندما فرض ضريبة واى على الرهبان بمعدل دينار على كل منهم وذلك السى

أسس

- (١) واسم الجزية مشتق من الجزاء اما جزاء على كفرهم لاخذها منهم صغارا لهم واما جزاء على امان المسلمين لهم لاخذها منهم وقتا • اما الخراج فهو كراه الارض وليس فيه صغارا ولا ذلقة لاهل الذمة كالجزية وكانت كل من الجزية والخراج حسب طاقة اهل الذمة • انظر في ذلك الماورى الاحكام السلطانية ص ٢٧-١٣٩ ابن الفراء : الاحكام السلطانية ص ٢٧-١ ابو عبيد : الاموال ص ٤٤-٥٢٣ الشافعى : الام ج ٧ ص ٢٢٠ - وغيرها من كتب الفقه والخراج •
- (٢) سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام ص ٣٧
- (٣) داتيل ديبنت : الجزية والاسلام ص ٣-٢٢

جانب ما كان يجمعه الموظفون المصريون ، ويعد احماء السكان الذي قام به عبيد الله بن الجعفي ادخل عند ذلك النظام الحقيقي لضريبة الارض وضريبة الرأس ، أي الخراج والجزية . ويستند في ذلك الى ان كلمة خراج لم تذكر في اية بردية يرجع تاريخها الى القرن الاول الهجري في مصر (١)

والحقيقة اننا كثيراً ما نجد خلطاً في المصادر التاريخية في استعمال لفظي الخراج والجزية . فنرى احياناً لفظ الجزية يعني ضريبة الارض وضريبة الرأس معا . كما اننا نجد احياناً لفظ الخراج بمعنى الضريبتين معا ، او جميع ما يجبي من اهل الذمة من الضرائب نذكر من الامثلة على ذلك ابن عبد الحكم الطرخ المصري المسلم فهو يستعمل لفظ الجزية احياناً بمعناه الدقيق فيقصد به ضريبة الرأس واحياناً يستعمله للدلالة على كل الضرائب المفروضة على الذميين . كما انه يستعمله ايضاً احياناً للدلالة على الخراج دون غيره من الضرائب كما يستخدم لفظ خراج بمعنى ضريبة الرأس . (٢)

بينما نجد الطرخ القبطي ساويرس يقصد احياناً بلفظ الخراج الضرائب عامة وكثيراً ما استعمله بمعناه الدقيق - أي ضريبة الارض - اما لفظ الجزية فلم يستخدمه على الاطلاق الا بمعناه الخاص وهو ضريبة الرأس . (٣)

الجزية :

اما عن الجزية ، وهي ضريبة الرأس ، فنجد المصادر التاريخية العربية المختلفة تجمع على وجودها في مصر الاسلامية حيث يلتزم بدفعها اهل الذمة . ويناقش دانييل دانيت بمضراً في الكتاب المحدثين في ذلك فيشير الى ان الطرخ كايثاني يرفض وجود مثل هذه الضريبة بينما يصفها بكريانها حقيقة تاريخية وان كان يرى ان ضريبة الدينارين على كل فرد معدل نظري استعمله عمرو بن العاص ليحسب به ما اراد ان

-
- (١) دانييل دانيت : الجزية والاسلام ص ٣٦
(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٩ - ٢١٠
(٣) ابن القفج : سير الابطاء البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٣ - ١٤٥ م ٢ ج ١ ص ٣

تم نسخ صفحات
حتى ص ١٠٤
ما عدا قسماً
بالبعث ؟

يحصل عليه من ايراد * وان الدخل الذي يؤدي منه الافراد ضريبتهم كان يأتي من
اوجه نشاط مختلفة حسب عمل كل فرد منهم ولكن الغالبية المظن من المصريين
كانت تعمل في الزراعة وذلك كان ما يدفعه القبط من ضرائب من ايراداتهم من
فلاحة الارض وعليه فان ضريبة الدينارين كانت اناوة شملت الضرائب من جميع الانواع
التي كانت تجبي من المصريين وان ضريبة الرأس كانت جزءا من اناوة وانهم
ضريبة ضئيلة لا اشهر لها تقريبا في عصيلة الايراد * (١)

ونحن نرى انه من الصير قبول ما ذهب اليه بكر بشأن الجزية في مصر ونقول
ان الجزية كانت ضريبة مستقلة عن غيرها من الضرائب وانها تتضمن نسبة كبيرة لها
شأنها في مالية البلاد المصرية - كما سنرى - ونستدل على رأينا هذا بما جاء
في النصوص المختلفة بشأن الجزية وضريبة الرأس والتي جاء فيها ان الجزية او بمعنى
اخر معدل الدينارين لم يكن شاملا لجميع الضرائب التي التزم الذميون في مصر
بأدائها للمرب ويوجد ذلك ايضا كثير من اوراق البردي ويوجد ربنا الاشارة
الى النصوص والعهود المختلفة التي تضمنت فرض الجزية وغيرها من الضرائب على
المصريين *

* فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع من بمصر
اعلاها واسفلها من القبط دينا رين دينا رين * عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ومن
بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ القانسي ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم * ولا على
النساء * وعلى ان للمسلمين عليهم النزل لجناحهم حيث نزلوا ومن نزل عليه
ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم *

(١) دانييل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٢٦ - ١٢٧ *
ويشير الى ان كل من فلها وزن وكرا ان ضريبة الرأس او معدل الدينارين عبارة
عن اناوة وليست جزية رأس والواقع انها ضريبة تجبي على الفرد تبدو وكأنها
ضريبة رأس ولكنها غيبية بها ويفسر بكر ذلك بان العرب لم يكن لهم شأن
بالارض وان علاقاتهم كانت بالناس الذين يؤديون الضريبة إلا ان هذا يؤدي
الى الارتباك والحيرة ولذا أخذ على سبيل القياس مثلا من حياتنا الحضرة
فنقول ان رسم الانتاج على الطباق او التصريفات الجمركية على السكر شبهها
بضريبة الرأس بمعنى ان الفرد يدفع نقودا بالفعل في الاجراءات العمليّة
لفرض الضرائب * نفس المصدر ص ١٢٧

وان لهم ارضهم وأموالهم * لا يتعرض لهم في شيء منها * فشرط هذا كله على -
القبط خاصة واحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية * وفرض عليهم
الدينارين * رفع ذلك عرفاؤهم (١) بالايان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ
بمصر اعلاها واسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة الاف الف
نفس * وكانت فرضتهم يومئذ اثني عشر الف دينار في كل سنة. (٢)

ويذكر البلاذري (٣) ان عمرو بن العاص لما عقد صلح نابليون ففرض على كل
بالغ من القبط دينارين الا ان يكون فقيرا وان يدفع ملاك الاراضى منهم الى جانب
الدينارين ثلاث ارباب خنطة وقسطى زيت وقسطى عسل وقسطى خل * رزقا
للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم بينهم * وان يقدموا لكل مسلم جبة صوف
وبرنسا او عمامة وسراويل وخفين في كل عام * ويجوز لهم ان يستبدلوا الجبة الصوف
بثوب قبطى * وفي مقابل ذلك يكون لهم الامان على اموالهم واملاكهم ولا تسبى نساؤهم
واولادهم *

كما جاء في الامان الذي منحه عمرو بن العاص لقبط مصر * * * وعلى اهل مصر
ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف
وعليهم ما جنى لصوتهم فان ابى احدا منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزية بقدرهم *
وذمتنا من ابى بويقة وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك * (٤)

-
- (١) المصنف هو المالم بالشيء * ومن يعرف اصطبه ويذكر دى ساس De Sacy
ان المصنف معناه الكاتب وهي مقابلة للكلمة اليونانية جرافسراى كاتب * انظر
سيده كاشف : مصرفى فجر الاسلام حاشية ص ٣٧
- (٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وخبارها ص ٢٤٤ - ٢٤٥ اما تكرار كلمة دينارين فلعل
ذلك يعنى ان كل رجل من القبط سيدفع اربعة دنانير لان عمرو بن العاص قد
اغى القبط من دفع الجزية سنة الفتح على ان يؤدونها في السنة التالية *
ويؤيد ذلك رواية الواقدي (فتوح الشام ج ٢ ص ٨٤) وتتضمن ان عمرا قال
للقبط عندما تسلم الحصن * * * امانكم على انفسكم اولادكم وحرىمكم منه منا عليكم
وقد وضعت عنكم الجزية هذه السنة وفي السنة الاتية نأخذ منكم من كل محتلم
اربعة دنانير * * *
- (٣) فتوح البلدان ص ٢١٦

ويقول ابو صالح الارضى (١) " ملك عمرو الحصن وفتحه عنوة واستباح ما فيه
وأمن اهله على انهم ذمة ووضع عليهم الجزية والخراج في ارضهم . وان صاحب النونية
اى الفسطاط قرر على كل عالم دينارين وهى سبعة وعشرون درهما الا ثلثه الا ان يكون
المظلم فقيرا . والتزم كل غنى موسر في كل سنة بدينارين وثلاث ارباب حنطة . . . وكان
عدد القبط بمصر دون الشيخ الكبير المأجور والفتى الذى لم يبلغ الحلم . ستة الاف الف
نفس وكان المحمول من جهتهم اثنا عشر الف دينار خارجا عن جزيرة اليهود بمصر
واعمالها وحمل الى عربين الخطاب وهو اول مال حمل اليه من مصر .

كذلك جاء في عهد الصلح التى عقدها عمرو بن العاص مع بعض المدن المصرية
مثل اخنا ورشيد والبرلس ان يفرض على كل قبطى جزية دينارين الى جانب
ارزاق المسلمين . (٢)

نتخلص من هذه الروايات المختلفة التى نصت على اداء المصريين الجزية
ان الجزية كانت ضريبة مستقلة عن غيرها من الضرائب التى فرضها العرب على المصريين
وان معدلها الذى اشارت اليه هذه الروايات لم يكن شاملا لجميع الضرائب . وان
هذه الضريبة ضريبة رأس كالتى كانت في مصر البيزنطى من قبل وتسمى :
Andrismos or diagra-
phon . (٣)

والى جانب ذلك كان لا يدفع الجزية الا الرجال البالغين القادرين بينما
يخفى منها الفقراء والشيخ المجزة والنساء والاطفال ويهد ذلك ما كتبه الخليفة
عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص " . . . ولا يضربوا الجزية الا على من جرت

(٤) = الطبرى : تاريخ الام والملوك ج ٢ ص ١٦٩ - ٢٠٠ . ابو المطسن : النجوم
الزاهرة ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ . القلقشندي : صبح الاعشى ج ١ ص ٣٢٤ .
تحصيل الاستيفاء في مخازى المصطفى ورقة ١١٠٩ ب .

(١) تاريخ ابو صالح ص ٢٨ - ٢٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٧ . ابو عبيد : الاموال ص ١٤١
ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٦٤

(٣) دانييل ديفيت : الجزية والاسلام ص ١٢٩

عليها المواصي (١) ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان . . . (٢) .

نستخلص من الروايات التاريخية السابقة أيضا ان مقدار الجزية الذي النزم به المصريون كان متساويا بين الجميع وهو دينارين . والواقع كما يقول بعض الكتاب المحدثين انه لو كان العرب ظالموا اهل الذمة في مصر على هذا الاساس ساءت حال المصريين عليهم منذ السنوات الاولى للفتح . وكان العرب قد عادوا بذلك الى ظلم الرومان وعسفهم وكانت حكومتهم - اى الحكومة الرومانية تمضى ذوى النفوذ والثراء من الاعباء العالية او على الاقل من أغلبها بينما يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة من السكان كما ان هذا لا يتفق وسياسة العرب الحكمة التى كانت ترمى الى التقرب الى اهل البلاد المفتوحة والى توطيد سلطانهم فيها ليس بقوة السيف ، وانما بحسن السياسة . (٣)

والواقع ان مقدار الجزية الذى النزم به اهل الذمة في مصر كان يتناسب وثروة الذمى وما له من دخل وانه لم يكن واحدا بالنسبة لجميع الذميين وذلك اسوة باهل الذمة في البلاد الاسلامية الاخرى . ونرى الفقهاء يجمعون على ان الجزية كانت تتناسب وثروة الذمى وسواء كان من القبط او اليهود وكانت الجزية على ثلاث مستويات الموسري يودى ثمانية واربعين درهما والمتوسط الحال اربعة وعشرين درهما اما من دون هؤلاء فمئذون اثنا عشر درهما كجزية رأس . (٤)

(١) المواصي : جمع موسى والمواد هنا من بلغ الظم من الرجال

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٥
وكان ذلك هو حكم الجزية في الاسلام في البلاد المفتوحة كلها .
انظر ايضا : ادم القرشى : كتاب الخراج ص ٧٢

(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٣٨

(٤) ابو يوسف : الخراج ص ١٢٢ - ١٢٤ - ابن قيم الجوزية : احكام اهل الذمة
ق ١ ص ٢٦٧ - ٢٧٧ ابن القراء : الاحكام السلطانية ص ١٣٩ - الشمرانى : الميزان
ج ٢ ص ١٤٥ - الابشيهى : المستطرف في كل فن مستطرف ج ١ ص ١١٢

وكان الخليفة عمر بن الخطاب يأخذ من صالحه من المأهدين ما يسمى على نفسه لا يضح من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية • ولم يسم شيئا نظر عمر في امره فاذا احتاجوا تخفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم • (١)

ويبدو من بعض الاحداث التاريخية ان العرب عند فتحهم لمصر لم يحددوا الجزية تحديدا نهائيا وانما اهتموا بفرضها وتركوا تحديدها للوالي او الخليفة • كما يتضح ذلك ايضا من نص معاهدة بابليون • فقد حدث ان جاء الى عمرو بن العاص عقب الفتح طلعا صاحب اخنا وسأله عما عليهم من جزية حتى ينظموا شئونهم • فأجابه عمرو وهو يشير الى ركن كريمة : " لو اعطيتني من الارض الى السقف • ما اخبرتك ما عليك انما انتم خزنة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم • وان خفف عنا خففنا عنكم " • (٢) • اى ان عمرو بن العاص لم يحدد مقدار الجزية المقررة على المصريين عند الفتح ويمكن القول ان مقدار الدينارين التى اشارت اليه بعض النصوص التاريخية انما كان عقب الفتح وليس عند عقد الصلح كما ان معدل الدينارين لم يستمر طوال تاريخ مصر الاسلامية كما سنرى •

وتؤكد اوراق البردى المختلفة ان الجزية فى مصر كانت تتناسب فى الواقع مع ثروة الذى وان مقدار الجزية المفروض على اهل الذمة لم يكن متساويا بين الجميع ففى كتاب من قرة بن عريك الى صاحب كورة اشقوه نجد • بأمره فيه بان يرسل كشفا بالاماكن المختلفة يحدد الرجال فى كل مكان وما عليهم من جزية واملاك كل منهم من الارض وما يباشرونه من الاعمال ويطلب ايضا من صاحب الكورة الا يوجد اى مجال للشكوى او للاستيلاء منه • ويذكره بانه مصمم على مكافأة من يسير مسيرا حسنا ومماقبة من يتكبر عن طريق المدل • (٣)

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٧

(٢) نفس المصدر ص ٢٠٧

(٣) H.I. Bell: Translation of the Greek Aphrodito Papyri in the British Museum. PP. 272-273

ونما على ما جاء في هذا الكتاب فانه لو كان كل ذي بدفع جزية مساوية لصا
يدفعه الاخر لما استدعى الامران يطلب والى مصر من صاحب هذه الكورة كشفنا
بما يملكه كل شخص وما يقوم به من عمل وما عليه من جزية * ولما طلب من صاحب الكورة
ان يكون عادلا في عمله ولما هدده اذا هو لم يتبع طريق الحق ، او اوجد اى مجال
للشكوى او الاستياء من جانب اهل كورته * وانه لو كانت الجزية متساوية بالنسبة
لجميع الذميين لاكتفى الوالى بمعرفة عدد الرجال ، وبذلك يتمكن من معرفة مقدار
الجزية الواجبة عليهم . (١)

يدلنا على ذلك ايضا كتاب آخر لقرة بن شريك يطلب فيه من صاحب الكورة ،
ان يمدل في تقرير الضرائب الواجبة على كل فرد وان يسهل عليهم الاتصال به كى
يسمع ما يقولون . (٢) كما حفظت لنا اوراق البردى ايضا كشوقا دونت فيها اسماء
اشخاص مختلفين ترجع هذه الكشوف الى القرن الثالث الهجرى . وقد ذكرت فيها
مقدار الجزية الواجبة على كل منهم * ونلاحظ فيها اختلاف ما يؤديه كل شخص
وقلما نجد شخصين يدفعان جزية متساوية فشخص يدفع دينارا وآخر دينارا وثلاث
وثالث يؤدي ربع وثمان دينارا وهكذا . (٣)

وتؤكد اوراق البردى اليونانية ان ضريبة الرأس كانت تتفق ومدى يساير
دافع الضريبة وانه لتسهيل عملية التقدير كان العرب المسلمون يحسبون دافسح
اقل او اكثر من رجل كامل * وان المعدل الذى تقرر لضريبة الرأس كان ديناران
لمتوسط دفع الضريبة وهو الرقم الذى ذكره المؤرخون المسلمون .

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام .

(٢) Bell : Op. Cit. PP. 280 - 282.

(٣) جروهان : اوراق البردى : السفر ٣ ص ١٩٢-١٩٩

وهكذا اجبر المرب المسلمون بعض الرجال انهم اقل من رجل كامل او اكثره
وذلك حتى يمكنهم ان يعدوا بين الغنى والفقير في اداء ضريبة الرأس على اساس
معدل الدينارين للرجل الموسر منهم . وعليه اجبر دافع الضريبة في السطر الثالث
ثلاثي رجل فادى ضريبة رأس مقدارها دينار وثلاثة . ذلك لان متوسط الضريبة دينارين
للرجل الكامل . وفي السطر الماهر اجبر دافع الضريبة نصف رجل ولذلك ادى نصف
المعدل اي دينار واحد . وفي السطر الاخير اجبر دافع الضريبة خمسة امداس رجل
وعليه ادى دينار وثلاثي دينار . وهكذا . . .

كما تشير اوراق البردى الى ان كثيرا من الولاة في مصر كانوا يميلون الى توخي
المعدل في جباية الجزية وعدم مطبأة شخص دون اخر او التساهل مع احد هم وعدم
التساهل مع الاخرين ويبد لنا على ذلك ما جاء في احدى البرديات اليونانية المحفوظة
في المتحف البريطاني :

"خوفا من الله ، وحفظا للمدالة والحق في توزيع القدر المفروض عليهم ترتب
ناظرا بما وانه اربعة من البارزين في كورتك لمساعدتهم في جمع الضرائب فاذا فرغوا
من ذلك فابحث الينا بمكلفه شاملة للتفاصيل المتعلقة بالمبلغ المطلوب من كل واحد
منهم مبينا في هذا المكلفه اسما الاشخاص الذين جمعت منهم هذه الجزية المقررة
ومكان اقامتهم ولا تجعلنا نعرف انك قد خدمت اهل كورتك باى صورة من الصور
في مسألة الضريبة التي كلفت بها . او انك طببت او ظلمت احدا ما في جمعها . لاننا
نعرف ان الاشخاص المكلفين بدفعها لا بد وان لا يطيعوا بعضنا وامرك . فاذا وجدت
انهم قد ظلموا احدا ما بلين زائد نتيجة مطالباتهم اياه او اثقلوا عليه ظية الاثقال
لكراهيتهم اياه فاننا ينقص منهم في اشخاصهم واملاكهم تنفيذا للشرع . ومن انذرهم
وحذرهم واخبرهم ان لا يرهقوا عاملا والا يخطو له لا يطيق حتى ولو كان بمبدأ عنهم
او ليس من زميرتهم في جمع الضرائب ولكن يجب معاملة الجميع بالمعدل واخسسه
الشيء من كل منهم بقدر طاقته ومر جباية هذه الضريبة بان يبدأوا باتفاق مسدون
يبينون فيه انه اذا ثبت بعد التحصيل انهم كلفوا احدا فوق قدرته وحققوا عن احد
تماما فانهم يتحملون جميعا سد النقص فيما بينهم بالتساوى وسيكونون عرضة الى
جانب ذلك للعقاب الشديد جزاء عدم انصافهم لامرنا ويجب ان يرسل الاتفاق

المذكور الينا برفقة المكلفة المشتعلة على ماقرر على كل شخص . (١)

والواضح من اوراق البردى ومن الروايات التاريخية المختلفة ان الجزية في مصر كانت تدفع نقدا بالذنانير وكسور الذنانير وكان المصريون يعرفون تلك الضريبة حسب ماورد في قطع الاوستراكا (٢) وفي اوراق البردى المكتوبة باللغة اليونانية باسم دمزيا اما في اوراق البردى المصرية فتعرف باسم الجزية . (٣)

الخزاج :

اما ضريبة الخزاج فاننا نتساءل من قبل الحديث عن هذه الضريبة وماكان من شروطها ومقدارها وكيف كانت تجبى - هل صرفتحت صلحا أم غنوة ؟؟ (٤)

-
- (١) تروتون : اهل الذمة في الاسلام ص ١٥٤ - ١٥٥
 - (٢) قطع من الفخار والاحجار كتبت عليها بمغزى الشعوب القديمة ولا سيما الاغريق والفراعنة والقبط واستنبط منها علماء الانا ر كثيرا من الحقائق التاريخية . انظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ط ٢٧ .
 - (٣) نفس المصدر ص ٤١
 - (٤) ولهذا التساؤل اهمية عظيمة لان حكم البلاد المفتوحة صلحا يختلف عن حكم البلاد المفتوحة غنوة اى بالقوة والقهر . ذلك ان الاراضى التى يتسم فتحها صلحا يعتقد المهد والامان تكون فيئا للمسلمين . والفى هو ما صلوح عليه المسلمون من الجزية والخزاج . فاذا كانت مصر فتحت صلحا وتهد بين المسلمين والمصريين عقد بدون قتال يتفق المصريون مع الصرب على مقدار الجزية والخزاج التى تدفع للمسلمين دون التصريح لاراضى المصريين او اخذها منهم قهرا او غنوة . اما الاراضى التى تفتح غنوة فتصير غنيمية تقسم بين الفاتحين وذلك عملا بالاية الكريمة - سورة الانفال اية ٤١ . (واعلموا ان ما غنم من شىء فان لله خصه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم اتمتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير) وعلى هذا فان خسر ما غنم الفاتحون يكون لمن ساءهم الله سبحانه وتعالى لا يكون لسواهم ويكون للاسام تقسيمه قيمن خسر منهم بعد ان يجهدوا به ويتجرى المدل . اما الاربعة اخسار الاخرى فتكون للمسلمين الغالبين وتقسم بينهم بالتساوى وعلى هذا الاساس اذا كانت مصر فتحت غنوة فانها تصبح غنيمية للصرب وتضمير اراضى مصر ملكا للمسلمين . انظر يحيى بن آدم القرظى : الخزاج ص ١٧ - ١٨ سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٤٦

نلاحظ اختلاف الروايات التاريخية بشأن الاجابة عن هذا التساؤل . واختلف الامر على المؤرخين انفسهم مثل ابن عبد الحكم (١) والمقريزي (٢) وابو المطمن (٣) والسيوطي (٤) فنجد كل مؤرخ من هؤلاء يذكر بعض الروايات التي يذهب اصحابها الى مصر قد فتحت جميعها صلحا الا مدينة الاسكندرية وبعض المدن والقرى المجاورة لها بينما يشيرون الى روايات اخرى تتضمن ان مصر قد فتحت عنوة .

اجراها

اما المجموعة الاولى من الروايات فقد جاء في احدها : " ان عمرا لما فتحت الاسكندرية بقي من الاسارى بها من مبلغ الخراج . وأخسى يومئذ ست مائة الف من سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فقس قسمهم . فكان اكثر المسلمين يريدون قسمها فقال عمرو : لا اقدر على قسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين . فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وان المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر : لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيط لل مسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم . فأقرها عمرو وأحصى اهلها وفرض عليهم الخراج . فتحت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين على كل رجل لا يزداد على احد منهم في جزية رأسه اكثر من دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا اهل الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلحا ولا ذمة . " (٥)

ونحن نرى ان فتح الاسكندرية عنوة كان في المرة الثانية عندما حاول الرومان استردادها من ايدي المسلمين في سنة ٢٥ هـ بينما كان قد تم فتحها صلحا فسي يادى الامر كما جاء في كتاب حنا النقيوسي . (٦) وعقد عمرو بن الماص صلح سكان المدينة الصلح .

(١) فتح مصر واخبارها ص ٢٤-٨٢

(٢) الخطط ج ٢ ص ٧٢-٧٤

(٣) النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٩-٢٠

(٤) حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٥-١٢٩

(٥) ابن عبد الحكم : فتح مصر واخبارها ص ٢٦

Chronique de Jean. P. 455.

(٦)

كما تشير بعض الروايات من هذه المجموعة ه الى عقود صلح مع كثير من المدن المصرية - وهي المدن التي صالح عمرو اهلها على صلح شبيه بصلح بابليون ومن هذه المدن اخنا ورشيد والبرلس (١) والقيوم واخميم والبشردات وقسرى الصعيد وسائر مدن الوجه البحرى فاستجمع عمرو بن العاص فتح مصر فصارت ارضها ارض خراج (٢) وكان لهم فى عهدهم ستة شروط * ان يؤخذ من ارضهم شسى * ولا يزداد عليهم ولا يكلفون غير طاقتهم ولا يؤخذ د رايهم وان يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم (٣)

اما المجموعة الثانية من الروايات التي يرى فيها روايتها ان مصر فتحت عنوة فتصتند فى ذلك الى عدم وجود اى عقد او عهد بين المسلمين الفاتحين وبين المصريين سكان البلاد وقد جاء فى بعض هذه الروايات ان عمرو بن العاص كان يقول : " لقد تعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبيل مصر على عهد ولا عقد ان شئت قتلت وان شئت بمت وان شئت خصمت " (٤)

ومهما اختلفت هذه الروايات التي ضمنها المؤرخون كتبهم فقد اجمع هؤلاء المؤرخين على ان مصر قد عولت معاملة البلاد المفتوحة صلح ففرض العرب الفاتحون الجزية على الرؤس والخراج على الارض وقد حدد صلح بابليون مصير مصر السياسى - كما ذكرنا من قبل - وهكذا كما تذهب بعض المصادر - الحديثة - بالرغم من ان مصر قد فتحت عنوة فان العرب فى نفس الوقت قبلوا عقد الصلح مع المصريين لانهم اعتبروا انفسهم مطربين للرومان لا المصريين * كما انه عند فتح العرب الاسكندرية فى سنة ٦٤٥ هـ عنوة كان انتصارا على الرومان وعلى امراء طورهم قسطنطين الثانى ولم يؤثر ذلك فى عهد الصلح الذي اعطاه العرب للمصريين (٥)

- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٧٧
- (٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٨
- (٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٧٨ - وناه على ذلك رفض ورد ان عامل الخراج فى مصر فى عهد الخليفة لاموى معاوية بن ابي سفيان - ان يزيد على كل رجل من القبط قيراطا كما امره الخليفة وقال : كيف تزيد عليهم وشسى عهدهم ان لا يزداد عليهم شسى
- (٤) ابو عبيد : الاموال ص ١٤٠ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٨
- (٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٤

ويؤيدنا في ذلك ما ذكره البلاذري (١) في رواية لعبد الله بن عمرو بن العاص
 فقال : " اهتمت على الناس امر مصر ، فقال قوم : فتحت غزوة • وقال اخرون : فتحت
 صلطا • والثلج (٢) وفي امرها ان ابي قدهما فقاتله اهل البيوت (٣) فتحتها قهرا
 وادخلها المسلمين • وكان الزبير اول من علا حصنها • فقال صاحبها لعمرو : انه قد
 بلغنا فملككم بالثام ووضعتكم الجزية على النصارى واليهود واتراكم الارض في ايدي
 اهلها يعمرونها ويؤدون خراجها • فان فسلمت بنا مثل ذلك كان ارد عليكم من قتلنا
 وسبينا واجلاتنا • قال : فاستشار ابي المسلمين فاعا روا عليه بان يفعل ذلك الا نفر
 منهم • سألوا ان يقسم الارض بينهم • فوضع على كل طلم دينارين جزية الا ان يكون
 فقيرا • والنز كل ذي ارضين ثلاثة ادادب خبطة وقسطى زيت وقسطى عمل
 وقسطى خل رتقا للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيهم • وأحصى المسلمين
 فالزم جميع اهل مصر لكل رجل منهم • جبة صوف مرزما (٤) او عامسة
 وسراويل (٥) وخفين في كل عام او عدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا • (٦) وكتب
 عليهم بذلك كتابا وشرط لهم اذا وفوا بذلك ان لا يتابع نصراهم وابنائهم ولا يعيبوا •
 وان تهدر اموالهم وتوزرهم في ايديهم فكتب بذلك الى امير المؤمنين عمر فاجازه وصارت
 الارض ارض خراج الا انه لما وقع هذا الشرط والكتاب ظن بعض الناس انها فتحت
 صلطا • قال : ولما فرغ ملك البيوت من امر نفسه ومن معه في مد يده صالح من جميع
 اهل مصر على مثل صلح البيوت فرفضوا به • وقالوا : هؤلاء الممتعون (٧) قد

(١) فتوح البلدان ص ٢١٦-٢١٧

(٢) الثلج ما تطفئ به النفس وترتاح له وتشربه - سيدة كاشف : مصر في فجر
 الاسلام - حاشية ص ٤٤

(٣) المقصود بها بابليون

(٤) البرنس : هو كل ثوب غطاء الرأس جزء منه كما يعنى القطنسة الطويلة
 او رداء ذو كمين يلبس بعد الحمام والمقصود هنا القطنسة التي كان يرتديها
 المسلمون في صدر الاسلام • انظر الوسيط ج ١ ص ٥٢

(٥) السروال : لباس يغطي الجزء الاسفل من الجسم الوسيط ج ١ ص ٤٣٠

(٦) كانت الثياب القبطية دائمة الصيت مشهورة بدقة صناعتها وارتفاع ثمنها •

(٧) امتنع عن الشيء يعنى كفه وامتنع بالامر اي تقوى واخص به • والمنيح اي
 القوى الشديد • انظر الوسيط ج ٢ ص ٨٦٥ والممتعون هنا بمعنى الاقوياء •

فه رضى وقتلوا بهذا ، فنحن به أضح لانتا فرش (١) لامتعة لنا . ووضـح
الخراج على ارض مصر فحصل كل جريب (٢) ديناراً وثلاث ارباب طعاما ، وعلسى
وأس كل حالم دينارين . وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وهكذا ترك العرب الاراضى فى ايدى اصحابها المصريين دون التمسـر
لها وتقسيمها بين الفاتحين . ويؤكد ذلك ايضا ما جاء فى نعر المهد او الامان الذى
منحه عمرو بن العاص للمصريين عقب الفتح مباشرة . هذا ما أعطى عمرو بن العاص
اهل مصر من الامان على انفسهم وملازمهم وأموالهم وكنائسهم وصلبيهم وبرهم وحرهم ،
لا يدخل عليهم شىء من ذلك ولا يتقص وفى رواية اخرى ، ان مسـن
الشروط التى اشترطها عمرو بن العاص للمصريين اذا ان تكون لهم ارضهم واموالهم
لا يتعرض لهم فى شىء منها . (٤)

ويتضح لنا من رواية البلاذرى ان ضريبة الخراج فى مصر كانت قسمين : قسم
يؤخذ نقدا بالديناتير . والقسم الثانى يؤخذ عينا من الحنطة والزيت والصل والخل
وغير ذلك من الوان الطعام ، يؤكد ذلك لنا ما تضمنته كثير من اوراق البردى مما
يشير الى ان ضريبة الخراج كان المصريون يدفعونها نقدا وعينا .

(١) الفرش : تمنى فرش البهت او القضاء الواسع من الارض او صفار الانعام .
قال تعالى : " ومن الانعام حمولة وفرشا " . الوسيط ج٢ ص ٦٨٩ .
والقصد هنا المبنى الثانى .

(٢) الجريب : وحدة تقاس بها الارض . وهو عبارة عن عشر قصبات فى عشر قصبات .
الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٤٧ . ويقول الاب انستاس الكوملى فى كتابه
النقود المصرية وطم النميات ان اهل البصرقيصر فون الجريب الى يومنا هذا .
وهو عدد هم نحو مائة نخلة ومن غير النخيل ارض سمعتها هكتار والهكتار يساوى
عشرة آلاف متر مربع .

سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام طاشية ص ٤٥

(٣) تاريخ الطبرى ج٢ ص ٩٩ او ما يليها . ابوالمطسن : النجوم الزاهرة ج١
ص ٢٠٢ وما يليها . القلقشندي : صبح الاعشى ج٢ ص ٢٢٤

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٦٤

فهناك بردية تتضمن كتابا من قرة بن شريك في سنة ٩١ هـ الى اهل شيبيرا بعيرو من كورة اشقوه يطلب فيه منهم دفع متأخرات الجزية عليهم بالدانيرود فسمع ضريبة الطعام قسط • وقد جاء في هذا الكتاب : " بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من قرة بن شريك لاهل شيبيرا بعيرو من كوره اشقوه انه اصابكم من جزية سنة ٨٨ مائة دينار واربعه دينار وثلاثي دينار عددا • ومن جزية الطعام احد عشر ارب وثلث ارب قمح • وكتب راعده في صفر من سنة ٩١ هـ • (١) وفي بردية اخرى نجده كتاب قرة بن شريك الى اهل باكونيس من كورة افوديتي (اشقوه) يملصهم ما اصابهم من الجزية سنة ٨٨ هـ من ضريبة الرأى وما اصابهم ايضا من ضريبة الطعام اى الخراج في هذه السنة • (٢)

وهكذا نجد ان ضريبة الطعام في هذه البرديات وغيرها لا بد وانها تسمى ضريبة الارض او بمعنى اخر الخراج • او جزوا منه وهو ما يدفع عينا ويسمى ترون (٣) هذا الجزء من ضريبة الخراج بـضريبة الفلة • اما في اوراق البردى اليونانية فتسمى امبولا - Embola (٤) بينما في اوراق البردى العربية تسمى كما رأينا • ضريبة الطعام • ويؤكد ذلك بردية اخرى تتضمن كتابا خاصا بـضريبة الطعام مرسل الى والى قرة بن شريك من عاملين هما : بقطر بن شيود وسيوس وابا قيرس بسن اندرياس • (٥)

ونجد في اوراق البردى ايضا ما يؤكد ان جزوا من ضريبة الخراج كسان يدفع نقدا • فهناك بردية تتضمن كتاب من قرة بن شريك لصاحب كورة اشقوه •

-
- (١) جوهان : اوراق البردى - السفر ٣ ص ٤٧ - ٤٩
 - (٢) دانييل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٥
 - (٣) اهل الذمة في الاسلام ص ٢١٣
 - (٤) Bell: Translation of the Greek Aphrodite Papyri, P.271.
 - (٥) جوهان : اوراق البردى : السفر ٣ ص ٦٠

يطلب فيه منه ان يرسل اليه القمح النفوس على اهل كورته ويخبره انه اذا وجد
الاهالي صموة في دفع الجزية غلة فلا بأس من دفعها نقداً . ويحدد له ما يعادل (١)
هدا معيناً من الارادب نقداً ولكنه يطلب منه ان يحمل على ارسال القمح لا النقود .
وكذلك حفظت لنا اوراق البردي ايضالات عن خراج سنة ٢٧٨ هـ وسنة ٢٨٧ هـ سنة
٢٩٣ هـ سنة ٢١٢ هـ ، سنة ٣١٣ هـ . لبعض الاعراض وتبين منها ان الخراج
دفع نقداً . (٢)

ويجد ربنا الاشارة الى ان اهم ما كان يجبي في ضريبة الطعام هو القمح
الى جانب انواع اخرى من الطعام . وكانت الفلال ترسل منذ السنوات الاولى
للحكم العربي في مصر الى العاصمة الاسلامية ه المدينة ، ثم انقطع ارسالها
في فتنة عثمان بن عفان ثم اعيد حملها الى المدينة في عهدي معاوية وابنه يزيد ، ثم
انقطع في خلافة عبد الملك بن مروان . واستمر بعد ذلك حمل الفلال الى المدينة
حتى عهد الخليفة المباركي جعفر المنصور . (٣) ولعل هذا الامر هو الذي
جعل الابل لمانس (٤) Lammans يقول : ان مصر لم تكن ايضاً سوى اهمية
اقتصادية اذ كانت تتج الحبوب وتدفع الضرائب

(١) Bell: Translation of the Greek Aphrodito Papyri, P. 24
(٢) جوهان : اوراق البردي - السفر ٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠

(٣) البلاذري : فتح البلدان ص ٢١٧-٢١٨

ويذكر ان اهل مصر صولحوا بعد صلحهم الاول على ان يؤدوا مكان الخطة
والزيت والصل والخل دينارين . فالزم كل رجل ذمي باداً اربعة دنانير
بينما يقول اليمقوي ان عمراً جيب مصر ١٤ مليون دينار من خراج رؤسهم
اي الجزية لكل وأى دينار وخراج ثلاثهم من كل مائة اردب اربعة دين .

انظر : سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٤٠٠-٥٥٠ . وتقول ان الفلال
كانت ترسل بطريق البحر حتى خلافة المنصور الذي امر بضم خليج امير
المؤمنين الذي كان يصل مصر ببلاد العرب بحراً . وكانت الفلال ترسل الى
الوديثة في بادئ الامر باجبارها مقر الخلافة الاسلامية . ولم يبطل ارسالها
اليها بالرغم من انه قد حل محلها عواصم اسلامية اخرى . وبالرغم من التغييرات
السياسية التي حدثت بمصر وفي الخلافة نفسها . انظر ص ٥٢

Un Gouverneur Omayyade d'Egypte, P. 102.

(٤)

ويتضح لنا من الروايات التاريخية المختلفة ان ضريبة الخراج كانت تجبى من المصريين على اساس مساحة الارض التى يملكها الشخص . كما انه كان يراعى نسي ذلك حالة فيضان النيل فى كل سنة لا يرتباطه بالزراعة . وقد اصفنا ذلك من نسي العهد الذى اعده عمرو بن العاص للمصريين . (١) ويتضح لنا ذلك ايضا من روايات ساويرس عن مدى اهتمام المصريين بل والولاة ايضا بفيضان النيل حتى يتكسوا من جباية الخراج وما كان يحدث . كما رأينا . من اشتراك الجميع فى الدعاء والصلاة من اجل زيادته .

ويقول ابن مثنى (٢) " وفى كتب المصريين ، اذا أوفى النيل ستة عشر ذراعا فقد وجب الخراج واذا زاد عن ذلك فذراعا زاد الخراج مائة الف دينار ، فان نقص ذراعا نقص الخراج مائة الف دينار . ولا يبعد ان يكون ذلك فيما تقدم من السنين عند بلوغ العمارة الى حد اجبر به هذا القدر . فأما الان فقد تضررت الاحوال واختلفت احكام الاعمال " كذلك كان يراعى فى تقدير الخراج كمية المحصول التى تنتجها الارض وخطاة الاراضى اذا كانت عامرة او غامرة .

وقد كتب الماوردى (٣) فى هذا المعنى فقال : ان الارض تختلف من ثلاثة اوجه يؤثر كل واحد منها فى زيادة الخراج ونقصانه " احدها ما يختص بالارض من جودة يتركبها زرعها ، او رداءة يقل بها ربحها . والثانى ما يختص بالزرع من اختلاف انواعه من الحبوب والثمار فمنها ما يكثر ثمنه ومنها ما يقل ثمنه فيكون الخراج بحسبه . والثالث ما يختص بالسقى والشرب لان ما التزم المؤنة فى سقيه بالنواضح (٤) والدوالى (٥) ، لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقى الصبح (٦) والامطار .

(١) تاريخ الطبرى ج٣ ص ١٩٩ - ٢٠٠ - ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٤ - ٢٥ وقد ذكرنا نسي هذا العهد .

(٢) قوانين الداوين ص ٧٦

(٣) الاحكام السلطانية ص ١٤٣ - ١٤٤

(٤) الناضح اى الدابة التى تعمل الماء من البئر او النهر لسقى الزرع والجمع نواضح . الوسيط ج٢ ص ٩٣٦

(٥) المفرد دالية وهى الساقية او الناعورة او الدلو وثبت برأسه خشبه على شكل صليب ثم يشد بها طرف جبل وطرفه الاخر بجذع قائم على رأس البئر ويستقى بها . الوسيط ج١ ص ٢٩٥ .

(٦) الماء الجارى الظاهر على سطح الارض . الوسيط ج١ ص ٤٦٩

ومن الناس من اجبر شرطاً رايماً وهو قريها من البلدان والاسواق ز وعدها
لزيادة ايمانها وقصانها ، وهذا انما يعتبر فيما يكون خواجه ورقاً (١) ولا يعتبر فيما
يكون خواجه جاً (٢) ، وتلك الشروط تعتبر في الحب والورق .

وهناك نوعان من الخراج ، خراج الجزية ، وهو الخراج الذي يفرض على الارض
التي صلح اهلها على ان تكون لهم . اما النوع الثاني فيسمى خراج اجرة ويفرض ^{للملوك}
على الارض التي صلح اهلها عليها على ان تصير وقفاً ولا يعقط عنها باسالمهم او بانتقالها
الى غيرهم من المسلمين (٣) . وكان الخراج في مصر من نوع خراج الجزية لان الراضى
المصرية تركت في ايدي اصحابها يزرعونها ويؤدون الخراج عنها .

ضرائب اخرى :

كان على المصريين الى جانب الجزية والخراج ، ضرائب اخرى متعددة الانواع ،
وان كنا لانجد اشارة لكثير منها في كتب الفقه والتشريع الاسلامي . ويقول ترتون (٤) معتمد
على ما وصل اليه من اوراق البردى اليونانية والقبطية والمصرية انه كان هناك ضرائب متعددة
فكانت ضريبة الارض تدفع نقداً او عينا ، اما الضريبة الثلاثية - Tetartia فكانت
تدفع نقداً ، واما المحاتيد (٥) فالظاهر ان المادة جرت على دفعها نقداً . وهناك
محاتيد معينة من اللبن والملح والجزية . ولم يكن يدفع المسلمون شيئاً من هذه
الضرائب بمعنى ان عب الضرائب كله كان يقع على طائفي اهل الذمة في مصر . ويقبول
في موضع اخر ان الضريبة الثلاثية كانت تبلغ على وجه التقريب جزءاً من مائة من الخسراج .
وانه من الجدير بالملاحظة ان هناك قائمة واردة في مجموعة ريفيه . تحتوي على ثلاث
ضرائب نقدية كما يشير احد المؤرخين المصريين الى الضرائب والجزية والخراج .

(١) الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة وجمعها اوراق ووراق . الوسيط ج٢ ص ١٠٣٨
وهنا بمعنى النقود .

(٢) اي الفلال .

(٣) الطوردي : الاحكام السلطانية ص ١٤٢

(٤) اهل الذمة في الاسلام ص ٢١١-٢١٢-٢١٧

(٥) المحاتيد ترجمة لكلمة Requisitions والمحاتيد اصطلاح عراقى للطلبات
المالية التي تقتضيها المصلحة العامة من الافراد لاسيما بين العشائر . المصدر
السابق حاشية ص ٢١١

بينما نرى دانييل دينيت (١) يقسم الضرائب التي كان يؤديها اهل الذمة في مصر بناء على ما جاء في الاوراق البردية - الى سبع فئات هي :

١- الضريبة النقدية Demosia

٢- ضريبة ال Tetartia وقدرها واحد في المائة من الضريبة النقدية ويرجع انها كانت لتغطية نفقات جميع الضرائب.

٣- ما يسمى Aparurismos dianamon aneu-timesos وهو مقدار من المال مخصص لامدادات خاصة ، يطلبها المرب وتشتري حسب سعر السوق وقد ذكرت تحت هذا البند الاغنام والدواجن والزيب والنبيد والالات الخشبية وجدوع النخل وغير ذلك .

٤- Apargurismos dianamon tetimései

وهو حساب شراء ادوات وامدادات تطلبها الحكومة حسب تعريفة محددة او جدول اسعار وقد ذكر من بينها الحصر والحبال والخيش اللزم لعمل الاجولة .

٥- ضريبة لبن لصنع الزبد وتسمى Apargurismos galaktus

٦- ضريبة على عمل النحل Apargurismos melitos

وهذه الضريبة لا يؤديها سوى افراد يقي نفسها ويوكانيس .

٧- Logismia وتتضمن مقدارا من المال يستقطع خصيما من جميع الحصص

الضريبية ما عدا الضريبة الثلاثية وضريبة العمل وكانت هذه الضريبة محددة بمعاية ويأخذ منها المبالغ اللازمة لجميع الاغراض الاحتياطية لتغطية نفقات العمال وناء السفن وشراء المسامير والحبال والقوارب وغير ذلك .

وتحفظ بعض اوراق البردي اليونانية كشونا بالضرائب المفروضة على بعض الاديرة ،

تذكر منها القائمة التالية : (٢)

(١) الجزية والاصالم ص ١٥٢ - ١٥٤

(٢) تترتون : اهل الذمة في الاصالم ص ٢١٧-٢١٨

وجه الصرف	ابا ارمانوس	بريوسية	مريم المقدسة
لامير المؤمنين	-	-	-
بضائع للسفن	$\frac{2}{3}$	-	$\frac{2}{2}$
قماش لخيمة من الشعر	$\frac{5}{12}$	$\frac{1}{12}$	$\frac{5}{12}$
غرامة	$28\frac{1}{3}$	-	$23\frac{1}{2}$
لبطارة الاصطول ومصاريف وقسطن خل لامها جرين	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{2}$	$\frac{1}{2}$
قسطن من خل لمها جري الاصطول	-	$\frac{1}{2}$	$\frac{2}{4}$
عربة بضائع عند القلزم	$\frac{1}{3}$	$\frac{1}{6}$	$\frac{1}{6}$
اكوام للموصف	-	-	$\frac{1}{6}$
مصاريف للوالى	$\frac{5}{6}$	-	$\frac{5}{6}$
العناية بالاكوام	-	-	$\frac{1}{4}$
بضائع الى القلزم	$\frac{1}{6}$	$\frac{1}{4}$	-
بطارة للاصطول الاناضولى ومصاريف اخرى	$\frac{1}{4}$	-	-
اربعون عاملا لجامع دمشق	$\frac{1}{2}$	-	-
للعناية بالاكوام والسلال	-	20	50
المجموع	$31\frac{2}{3}$	$22\frac{1}{4}$	$36\frac{11}{12}$

ويمتدح توتون (١) على هذه القائمة التي جاءت في احدى البرديات مستشهدا
ببردية اخرى جاء فيها ان الوالى كان يحتاج الى مواد مختلفة " لاطلاقنا وللمعمال
الذين معنا من العرب والنصارى على السواء" ولغيرهم " كما ان الاساطيل كانت فى
حاجة الى كثير من البطارة الذين يلتزم لهم دافعوا الضرائب باجورهم وكذلك الحال
ارزاء العمال الذين كان لابد من انقاذهم للدخول فى بيت المقدس ودمشق وبغداد
الى ذلك فرار كثير من الفلاحين المصريين من قراهم وتخليهم عن اراضيهم . وقد لا نكون
بمعيدين عن الصواب اذا قلنا ان فداحة الضرائب كانت احدى الدوافع لهم على ذلك
وان هذا الموقف من جانب الحكومة العربية ادى الى حمل كثير من الفلاحين المصريين
احيانا على ترك اراضيهم . ومن الجلى ان هناك تناقض واضح بين ما يراه الفقهاء والمشرعون
وبين الوقائع الواردة فى اوراق البردى اذ تبرهن البرديات على وجود ضرائب لم تتضمنها
احكام الاسلام نحو اهل الذمة .

ويقول دانييل دينيت (٢) : انه من المؤكد انه كان " هناك حصة من المال
لم تكن تصد للرب وانه كان فى استطاعتهم ان يرسلوا اوامر خاصة فى طلب اشياء
بعضها او خدمات تدرى قيمتها من هذه الحصة حتى تستنفد . وبهذا نمعرف تماما ان
جميع المطالبات الخاصة والاوامر التي تظهر دائما فى خطابات الوالى الى الباجمارك
لا تمثل اعياء اضافية وانما هى امدادات قد دخل حسابها ضمن ميزانية قائمة بذاتها
نشأت من استقناع مقدار معين من كل الضرائب العادية

ونستخلص من الروايات التاريخية التي تضمنتها المصادر العربية ان عمرو بن
الماض ضد فتحه البلاد المصرية ألزم المصريين ببعض الالتزامات العادية او بمعنى آخر
بضرائب عينية يأتى فى مقدمتها ارزاق المسلمين التي تجمع وتوزع على الجند المسلمين
وتتكون من الحنطة والزيت والملح والخل . وتحفظ لنا المصادر العربية نصين بشأن
هذه الارزاق .

(١) اهل الذمة فى الاسلام ص ٣١٩-٣٢٠

(٢) الجزية والاسلام ص ١٥٤

فيشير ابن عبد الحكم (١) الى ان عمر بن الخطاب كان قد كتب الى امراء الاجناد لتحديد الجزية على الذين بلغوا من سكان البلاد المفتوحة الى جانب اوراق المسلمين ومن بين هذه البلاد مصر . وقد جعل على المصريين لكل مسلم اردبا نسي كل شهر ومقدارا معيناً من الودك والعسل وايضا بمحض الثياب .

(٢) بينما يقول الهالذرى " والمزك كل ذي ارض مع الدينارين ثلاث اداد ب خطة وقسطى زيت وقسطى عسل وقسطى خل رزقا للمسلمين تجمع في دار الرزق ، وتقسف فيهم والنم جميع اهل مصر ان يقدم لكل رجل منهم — اى من المسلمين — جبة صوف وبنسا او عمامة وصراويل وخفين فى كل عام او بدل الجبة الصوف ثوبا قبطيا ."

والى جانب اوراق المسلمين وكسوتهم ، اشترط على المصريين ضيافة من منزل عند هم من المسلمين ثلاث ليال . تقول الرواية العربية " وعلى ان للمسلمين المنزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترض عليهم " (٣)

كانت الامساب التى دفعت العرب الى اشتراط واجب الضيافة على المصريين — هو ان العرب فى بداية الامر كانت اتاقتهم قاصرة على الماصة والثلثفور المصرية لحمايتها والدفاع عنها وواجب الضيافة اخذه العرب عن الرومان والبيزنطيين فى مصر . (٤)

وتؤكد اوراق البردى ما تشير اليه المصادر العربية من التزامات مادية — غير الجزية والخراج — التزم المصريون بها عند الفتح العربى لمصر . فهناك برودية يرجع تاريخها الى سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م) جاء فيها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، اننا الامير عبد الله اكتب اليكما خوستونفور وشيود وراكيسور بارباركى هيراكليبولس — اهناسيا قد حصلت منكما فى هيراكليبولس لصالح من مصر من العرب خصا وستين من الثمن ولا اكثر من ذلك وللهم قد حررنا لكم هذا البيان " (٥)

- (١) فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٥
- (٢) فتوح البلدان ص ٢١٦
- (٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٤
- (٤) سيدة كاف : مصر فى فجر الاسلام ص ٥٧
- (٥) دانييل ديبنت : الجزية والاسلام ص ١٢٦

(١) كما ان ضيافة المسلمين ثلاثة ايام ، تؤيده البودية (رقم 555 PERF)
وتقديم مد من القمح لكل مسلم تشير اليه البودية رقم 555 و 556 من نفس
المجموعة اما البودية رقم 557 فتتضمن تقديم الزيت للمسلمين . وهكذا تؤكد اوراق
البودى الصادر الاسلامية في وصفها للضرائب الاغافية . وتدل في الوقت نفسه على ان
الباچارك كان في مصر الاسلامية الموظف الرئيسي في الادارة المحلية . (٢)

وجاء في بعض اوراق البودى اليونانية ما يشير الى وجود ضرائب غير عادية كان
على اهل الذمة اداؤها في مصر الاسلامية . فعلى مثلاً قرية بن شريك يطلب من صاحب
كورة اشقوة جمع تلك الضرائب القير عادية والمادية مع مراعاة المعدل بين الدافعين
لها . (٣)

وهكذا ادخلت ضرائب جديدة في مصر الاسلامية في بعض المصور . ويبدو ان
الولاة المسلمين كانوا يلجأون الى فرض الضرائب الجديدة عندما تزداد مصروفات الدولة
عن ايراداتها او رغبة منهم في جمع اكبر مقدار ممكن من الاموال من مصر . ففي ولايعة
موس بن مصعب الخشعي (١٦٧-١٦٨ هـ) فرضت ضرائب على الحوانيت وعلى
الاسواق والدواب . (٤) ولما ولي احمد بن محمد بن مديبر خراج مصر . ابتدع
ضرائب جديدة . تقول الرواية القبطية انه فرض ضرائب على الحشيش والنخسل
والشجر المثمرة . المخروسة في بيوت الرهبان في جميع انحاء البلاد
المصرية . (٥)

(١) هذه الحروف اختصاراً لمجموعة J. Karabacek; "Papyrus Erzherzog
Fuhrer Dutch die Ausstellung".

(٢) دانييل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٢٦

(٣) Bell: Translation of the Greek Aphrodito Papyri. (٣)
PP. 272-281-283.

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٢٥ - وكان ذلك تقليداً لابن جعفر النصور الذي
وضع الضرائب على حوانيت بغداد - انظر : المقرئى : الخطط ج ١ ص ١١٧

(٥) ابن المقفع : سير الابهاء البطارقة م ٢ ج ١ ص ٢٤

بينما تذهب الرواية العربية الى انه اول من أدخل في مصر ضرائب سوى مال الخراج فكان من " دهاة الناس وشياطين الكتاب " . وابتدع في مصر بدعا استمرت سائدة من بعده . فحجر على النطرون . بمعد ان كان يباط لجميع الناس . وفرض ضرائب على الكلاب التي تربطها الماشية وسماها المراعى . كما فرض ضرائب على الاسماك وسماها المصايد . وغير ذلك من الضرائب التي عرفت انذاك باسم المرافق والمعاون . فانقسم مال مصر حينذاك الى خراجي وهلالى . والهلالى هو ما عرف باسم المرافق والمعاون وقد ألفها احمد بن طولون عندما ولى امانة مصر . وقد بلغت هذه الضرائب في مصر مائة الف دينار في كل سنة . وقد اعيدت الاموال الهلالية في عهد الفاطميين وصارت تعرف باسم المكوس . فلما استبد صلاح الدين بأمور البلاد ، أمر بإسقاط مكوس مصر والقاهرة . (١)

الضرائب على التجارة :

والى جانب ما تقدم ، نجد انه كانت هناك ضرائب على التجارة وتسمى المكوس (٢) منذ مطلع الفتح العربى لمصر . واول من ولى امر هذه الضرائب في عهد عمرو بن العاص وبسطة بن شرحبيل بن حسنة . وكان ممن ساهم في فتح مصر من الصحابة (٣) ، ويبدو ان هذه الضرائب كانت تؤخذ عن التجارة الداخلية في البلاد المصرية وكان مقسرا صاحب المكس الذى يباشر منه مهام منصبه هو ام دينين التي عرفت باسم المكس او المقس نسبة الى صاحب المكس الذى يقيم فيها . (٤)

(١) القزوينى : الخطط ج ١ ص ١٦٧

تترتون : اهل الذمة في الاسلام ص ٢٤٤ و Zaki Hassan: Les Tulunides
والطال الخواجى هو ما يؤخذ مسانمة من الاراضى التي تزرع حبوا ونخلا وغيا PP244

وفاكهة وما يؤخذ من الفلاحين هدية . والمال الهلالى عدة ابواب استحدثها

ولاية السوء شيئا بعد شئ . انظر : القزوينى : الخطط ج ١ ص ١٦٦

(٢) المكوس نوع من الضرائب فرض على التجارى الجاهلية وكلمة مكس مشتقة من اللفظ

السريانى ماكوس . انظر جروهان : اوراق البردى السفر ٣ ص ٩ والمكس هو

المشار ويقول له صاحب المكس . والمكس ايضا انتقاص الثمن في البيعة . انظر

الخطط ج ٣ ص ١٩٧ . سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام - حاشية ص ٥٥

ويقول جروهان (١) ليس من الشربان نجد نظام المكس منذ بداية الادارة المصرية في مصر اذا لاحظنا ان ثمة نظام مماثل تماما كان قائما في الصهدين اليوناني والروماني وانه مما لا شك فيه كان يوجد مركز تجارى للفلال في القسطاط عرف باسم ميدان القمح او ميدان الخلة . وكان يحده غربا المكان الذى يلى باب القنطرة حتى المقس ويصل الى خليج القاهرة من ناحية الشرق .

ونجد في اوراق البردى المصرية ما يؤكد وجود المكس على التجارة الداخلية في البلاد فهناك وثيقة خاصة بارسال القمح الى القسطاط واطلاق المكس لتجارة القمح . ويرجع تاريخ هذه الوثيقة الى ربيع الاول سنة ٩١ هـ (٧١٠ م) وقد جاء فيها " ٠٠ الى القسطاط فاني وضعت عنهم كمه فليبيمونه بالقسطاط . وعجل ذلك فاني قد خفست غلاء الطعام بالقسطاط واني اذا وضعت للتجار كمهم اصابوا ربطا حسنا . وانما الحصاد ان شاء الله في اربعين ليلة او قريب من ذلك فعجل ما كنت تساعد به من لذلك واكتب الى كيف فعلت في ذلك ، وما بأرضك من التجار الذين يبيمون الطعام ، والعام على من اتبع الهدى . . " (٢) .

وقد ولى مكس مصر في عهد الخلفاء الامويين الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وزيق بن حيان . وكان عربين عبد العزيز قد كتب اليه ان : " انظر من مريك من المسلمين فخذ ما ظهر من اوالهم ، ما يدبرون للتجارات ، من كل اربعين دينار ديناراً ، فما نقص في حساب ذلك حتى يبلغ عشرين ديناراً ، فان نقص عن عشرين ديناراً بثلاث ديناراً فدعها ولا تأخذ منها شيئا . ومن مريك من اهل

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٣١ طبعة ليدن .

بينما رفض ولاية المكس انذاك ظلك بن ثابت القهسي وقال ان كتب بن ضنة

قال : " لا تقرب المكس فان صاحبه في النار " واثر عن النبي عليه الصلاة والسلام

انه قال : " لا يدخل صاحب المكس الجنة " وقال ايضا " اذا لقيتم عشارا فاقتلوه "

(٤) جروهان : اوراق البردى : السفر ٣ ص ١٠٠ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٥٦

(١) اوراق البردى : السفر ٣ ص ١٠

(٢) نفس المصدر ص ٨ - ٩

المسألة؟

الذمة ، فخذ ما يدبرون من التجارات من اموالهم من كل عشرين دينار ديناراً ، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرة دنانير ، فان نقصت ثلاثة دنانير فدعها ولا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم بما تأخذ منهم كتاباً الى مله من الحول . (١)

ونستخلص من هذا النص ان العكس كان يؤخذ من التجار المسلمين بنسبة اثنين ونصف في المائة من تجارتهم بينما كان يؤخذ من الذميين ضعف ذلك ، اي بنسبة خمسة في المائة من تجارتهم وان العكس كان يؤخذ من التجارة مرة واحدة في السنة ، ويحطون ايضاً بذلك حتى لا يدفعون على نفس التجارة مكملاً ثانياً . بينما يرى بعض الفقهاء وجوب اخذ العكس على التجارة في كل مرة يربها صاحبها . (٢)

وكما اهتمت الحكومة العربية في مصر بفرض الضرائب على التجارة الداخلية ، ففكرت ايضاً بفرض الضرائب على التجارة الخارجية التي تمر بشورها بين الشرق والغرب وكذلك على التجارة الصادرة والواردة . فكانت هناك ضرائب مقررة على التجار في الثغور المصرية . دمياط وتتمس ورشيد وعيذاب واسوان والاسكندرية . فالعكس قبل الاسلام كان عبارة عن حق فرض الضرائب على الاسواق او حق فرض الضرائب التي تجبى في الموانئ والبلاد التي على الحدود المصرية . وقد حافظ المسلمون على هذا الحق وقبروه من نظام الذكاة والمشور . (٣)

هذه هي الضرائب التي التزم اهل الذمة في مصر بدفعها . ويمكن القول بصفة عامة ان النظام المالي العربي كان مأخوفاً - الى حد كبير - من النظام البيزنطي

(١) الصافى : الام ج ٧ ص ٢٢٨

ابو عبيد : الاموال ص ٥٣٤

(٢) تترتو : اهل الذمة في الاسلام ص ٢٤٢ - ويقول ان انشرين مالك رفض ولاية العكس " لانعدام ما كان من التقوى عند السلف " . وربما كان الرفض من جانبها قائماً على اساس تفسير مدلول كلمة العكس ان كانت في البداية بسيطة يقصد بها الخراج ثم تبدل مفهومها بضمي الزمن ، فأصبحت تطلق على ضرائب معينة لم يرد ذكرها في القرآن ولا في الحديث . واصبح جميع المسلمون - الخبيرين ينظرون اليها نظرة ملوها بالشك والريبة .

(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٧٥

ولم يكن أخف منه وطأة الا انه كان يعتاز بتبسيطه بعض الشيء عن سالفه. فقد ابطسل العرب خاصة في اول عهدهم بعض الضرائب التافهة التي استحدثها البيزنطيون . وقد زادت وطأة النظام الضرائبي خاصة في عهد اصحاب الاقطاع في مصر الاسلامية من الترك ، كما يتبين من اوراق اليردى . (١)

طرق جباية الضرائب :

وننتقل الى دراسة طرق جباية الضرائب في مصر الاسلامية . والواقع ان العرب بعد فتحهم لمصر ، ابقوا على نظام الجباية الذي كان سائدا في مصر البيزنطية ، اذ كانت كل كورة او قرية مسؤولة بالتضا من عن دفع ما على سكانها من الضرائب ويؤيد ذلك الرواية العربية واوراق اليردى العربية واليونانية .

يقول ابن عبد الحكم (٢) انه لما استوثق الامر لعمر بن العاص في مصر ، اقر قبطها على جباية العوم وكانت جبايتهم بالتعديل اذا عرت القرية وكثرا هلبا زيد عليهم وان قل اهلها وخرت نقصوا . فيجتمع عرفاء كل قرية وما روتها (٣) ورؤساء اهلها فيتناظروا في العمارة والخراب حتى اذا اقرروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم ترجع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العمارة فينظرون فيخرجون من الارض فدادين لكتائسهم وحماتهم ومحدياتهم ، من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضياقة للمسلمين ونزول السلطان ، فاذا فرغوا نظروا الى مانسى كل قرية من الصناعات والاجراء فقسوا عليهم بقدر احتمالهم ، فان كانت فيها جليلة تسموا عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تكون الا الرجل المتأب او المتزوج . ثم ينظرون ما بقى من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع على قدر طاقتهم فان عجز احد وشكى ضمنا من زرع ارضه . وزعوا ما عجز عنه على الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطى ما عجز عنه اهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكأوت قسمتهم على قراريط والدينار اربعة وعشرين قيسراطا يقسمون الارض على ذلك .

(١) نفس المصدر ص ٥٩ Zaky Hassan: Les Tulunides, P.244

(٢) فتوح مصر والعرب ص ٢٠٦-٢٠٧

(٣) الماروت لفظ صرياني الاصل معناه كبير الوجها . انظر المصدر السابق خاشية

نرى من هذا النص ان رؤساء القرى وذوى النفوذ بها هم الذين كانوا يقدمون الضرائب تحت اشراف صاحب الكورة ، الذى كان عليه الاتصال بالوالي او عامل الخراج لتأدية الضرائب المقررة على كورته وعلى الذى تدخل فى دائرة نفوذه .

ويؤيد ذلك كثير من اوراق البردى ، ففى كتاب من قرية بن شريك الى صاحب

قرية شبرا بسميرو فى سنة ٩١ هـ نجده يطلب منه ما على قريته من جزية سنة ٨٨ هـ .
(١) وقد رها مائة واربعه وثلاثين دينار هـ ومن ضريبة الطام احدى عشر وثلاث ارب من القمح وهناك بردية اخرى تتضمن ايضا كتابا من قرية بن شريك فى نفس السنة الى اهل قرية شبرا اجية نيوتية من كورة اشقوة يذكر لهم فيه انه اصابهم من جزية سنة ٨٨ سبعمائة وثلاثين دينار . (٢) ونجد بردية ثالثة فيها كتاب لنفس الوالى وفى نفس السنة الى اهالى قرية اروس من قرى الشرقية - يخلصهم فيه ما اصابهم من جزية سنة ٨٨ ايضا ويخلصها ثلاثين وسدس دينار هـ . (٣) وفى بردية رابعة كتاب من قرية بن شريك ايضا فى نفس السنة الى اهالى هروس ابيرميوطسى من كورة اشقوة - يذكر لهم فيه ما عليهم من جزية وقد رها ثمان وعشرين وسدس دينار هـ . (٤)

وكما كان الحاكم العام فى مصر البيزنطية يقدر الضرائب التى تفرض على نواحي البلاد المختلفة على اساس المملوطة والقوائم التى يقدمها اليه حكام الاقاليم نجسد الوضع كذلك فى مصر الاسلامية اذ يتبع المربى نفس النظام . وتشير بعض اوراق البردى الى ذلك فهناك بردية فيها ان قرية بن شريك قد ارسل الى صاحب كورة اشقوة تعليمات خاصة بجباية الضرائب ويامره فيها بجمع رؤساء كل قرية وذوى النفوذ فيها كى يختاروا رجلا امنا ليكلفهم بتقدير ما على كل قرية من الضرائب بقدر استطاعتهم وبعده ان يقوموا بمقتضى هذه تعليمات اشراف صاحب الكورة ويطلب منهم ان يرسل اليه نتيجة عملهم بعد ان يحتفظ بنسخة لنفسه ويطلب منه ايضا ان يكتب اسما والقاب هـ

(١) جروهان : اوراق البردى السفر ٣ ص ٤٧ - ٤٩

(٢) نفس المصدر ص ٥١ - ٥٢

(٣) نفس المصدر ص ٣ - ٤

(٤) نفس المصدر ص ٥٥

ومحل إقامة هؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب وينذره بأنه إذا وجد ان قوتة حملت اكثر
ما تحتمل من الضرائب او اقل فانه سيعاقب هؤلاء الذين قاموا بتقدير الضرائب وصاحب
الكورة ايضا أشد عقاب . (١)

وشرح بعض الكتاب المحدثين الاجراءات الضريبية او بعضى آخر الخطوات المتبعة
في جمع الضرائب في مصر الاسلامية معتمدا في ذلك على ما جاء في اوراق بردى افروديتي
كما انه يذكر ارقام بعض هذه البرديات مستشهدا بها . ونذكر فيما يلي بعض هذه
الخطوات .

تتضمن الخطوة الاولى عند جمع الضرائب اعداد قائمة لا يعدها الحاكم نفسه
وانما افراد احسن اختيارهم ويكونون من رؤساء القرى ومن كبار ملاك الاراضى وكانت هذه
القوائم تشمل جميع السكان من الرجال وفيها ضريبة الرأس التى قدرت على كل منهم
والارض التى يملكها والضريبة المقدرة عليها وكذلك الخدمات الخاصة التى قام بها
كل واحد منهم . ثم ترسل هذه القوائم بعد الانتهاء من اعدادها الى موظفى ديوان
الخارج بالقسطنطينية وكثيرا ما كان يطلب من مقدرى الضرائب ان يصحبوا قوائمهم
الى العاصمة الاسلامية . (٣) ويتضح ذلك من احدى البرديات وقد جاء فيها :
” واحضروا معكم رجال اقليمكم الذين ذكرنا اسماءهم في خطاباتنا السابقة وكذلك
قائمة بالاماكن فى كل منها اسماء الذكور من السكان وضريبة الرأس التى قدرت على كل
منهم ومساحة الارض التى يمتلكها كل رجل من ارض الكروم والارض الزراعية والخدمات التى
قام بها سواء بناء على تعليمات بذلك او بغير تعليمات . وقائمة باسماه الابقين والقباهم

(١) Bell: Translation of the Greek Aphrodito Papyri, P.282

(٢) بردى افروديتي The Aphrodito Papyri نسبة الى مدينة افروديتي او كوم
اشقاو الطلية في مصر العليا جنوب طما . والبردى في ثلاث لغات اليونانية والقبطية
والعربية ويشمل مكاتبات رسمية وقوائم ضرائب وغير ذلك من النصوص الادارية
والقانونية ومعظمها ينتمى الى عصر قريش بن شريك (٩٠-٩٢ هـ = ٧٠٩-٧١٤ م)
انظر : دانيل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٣١

(٣) دانيل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٤٩ - ١٥٠

في كل مكان وباختصار اوضحوا لنا في قائمتكم كل ما تصفون . . على ان تخبروا اولئك الذين سيصبحونكم في كل مكان في اقليمكم ان يحضروا معهم قوائم اماكنهم حتى اذا احتاج الامر ان نستقى منهم المعلومات عن موضوع ما كانوا على استعداد لكي يزودونا بكل ما يعلمون وان يقدموا لنا كل ما يستطيعون . (١)

ثم تأتي الخطوة الثانية في جمع الضرائب ذلك انه بعد ان تصل القوائم المختلفة من الكور المصرية يقوم موظفي بيت المال في العاصمة . بتقدير حصص الضرائب على كل ^{منظر} اقليم وكل قرية تدخل في سلطة حاكم الاقليم (البا جارك) وبعد ذلك يأتي دور الوالي في اعلان النتائج المختلفة لكل قسم من اقسام الاقليم في "امر طلب" مقررا فيه مقدار الضرائب النقدية - وخاصة الجزية والخراج - التي كان على هذا القسم من الاقليم ان يؤديها ويؤكد وجود هذه الخطوة وحوالي احدى عشر بردية نشرها بكره . وهذا نص ماجاء في واحدة منها : "بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من قرة بن شريك لاهل باكونيس من كورة افروديتي انه اصابكم من جزية سنة ٨٨ اربحائة دينار وثمانية وتسعون ومن ضريبة الطعام مائة وثمانية وعشرون اردب قمح ونصف اردب ونصف وبة . (٢) " وعند ما يصل هذا الامر الى اقسام الاقليم كان يختار اشخاص ليقوموا بجمع الضرائب بعد تقديرها على افراد السكان وكان جامعو الضرائب يقومون بعمل قوائم للتقدير توضح ما يجمعون ويطلق عليها اسم Merismois . (٣)

وهكذا نجد انه كانت هناك عليتان منفصلتان لتقدير الحصة الضريبية الاولى عند اعداد القائمة التي ترسل الى القسطنطينية والتي تقدر الحصة على اساسها . اما العملية الثانية فهي اعداد قوائم التقدير التي توضح ما يجمع من الضرائب وتسمى Merismois - وكانت تعد لجمع الضرائب عند ما يصل امر الطلب من الوالي . وهذه الخطوات في الواقع كانت بشأن الضرائب الاهيادية . اما الضرائب الاخرى الغير اهيادية فكانت تحسبها تعد بالقسطنطينية بنفس الطريقة . (٤)

(١) Bell : Op. Cit. P. 273.

(٢) الوبية مكيال معين وكانت وبة عمر بن الخطاب ستة امداد والمد ربع ساع . انظر

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمضرب ص ٦٠٦ - ٦٠٧ حاشية نفس الصفحة

(٣) دانيل دينيت : الجزية والاسام ص ١٥٠ - ١٥١

(٤) نفس المصدر ص ١٥١

ونحن نرى انه من المسير قبول ما ذهب اليه بل Bell من انه لما كانت الضرائب في السنوات الاولى للحكم العربي في مصر كما كانت في العهد البيزنطى تفرضها الحكومة في شكل اجالى على القرى لا على الفرد • فان اساس النظام العالى كان دائما مبدأ الضرائب الجماعية التى تفرض على الجماعة لا الفرد • وان علاقة هذا الاخير كوحدة لفرض الضريبة كانت بالجماعة التى ينتمى اليها لا بالحكومة. (١) ذلك لان نظام الضرائب كان اساسه الفرد في المحل الاول • الفرد وما يؤديه من عمل وما يفلحه من ارض فكانت الخطوة الاولى لجمع الضرائب المقررة اعداد ثابتة التقدير لكل فرد يلى ذلك جمع المبالغ الفردية كما تظهر في القائمة بعضها الى بعض • اما الخطوة الثالثة فكانت تتضمن ان يؤخذ من كل فرد ما فرض عليه • يلى ذلك الخطوة الرابعة والاخيرة - وكان يمثل فيها المظهر الجماعى - اذ كان التسديد بواسطة القرية لكل الحصنة المجموعة. (٢)

(٣) ثم ظهر في مصر في العصر المباسى نظام اخر لجباية الضرائب وهو نظام قبالات الاراضى • وقد بدأ العمل به خاصة بعد ان انتشر الاسلام بين القبط ونسزل العرب الى القرى المصرية بعد ان كانت اقامتهم قاصوة على العاصمة والثغور المصرية • يقول القرينى : (٤) وكان من خير اراضى مصر بعد نزول العرب با رانها • واستيطانهم

(١) نفس المصدر ص ١٥١-١٥٢

(٢) نفس المصدر ص ١٥٢

(٣) يقول دى سامران لفظ قبالة معناه ضمان الاشخاص دفع ضريبة معينة او التزامه بتنفيذ عهد او ارتباط • انظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام - حاشية ص ٦١

وشير بمضى الصادق الى رغبة الخليفة ابو جعفر المنصور في ان يجعل والسى مصر ضابطا لخراجها فقد حدث ان ارسل هذا الخليفة الى واليه على مصر محمد بن الاشعث (١٤١-١٤٢ هـ) يعرض عليه ضمان خراج مصر - بمعنى انه اراد ان يلزمه بدفع مبلغ معين عن مصر كلها - الا ان ابن الاشعث رفض ذلك - والواقع انه لا يمكن ان يرفض احد ولاية خراج مصر بينما من الجائز بل من المعقول ان يرفض الشخص ضمان خراجها كما فعل محمد ابن الاشعث.

(٤) الخطط ج١ ص ١٣١-١٣٢

وأهلهم فيها • واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا • واتقياد جمهور القبط إلى اظهـسار
الاسلم واختلاط انسابهم بانساب المسلمين لنكاحهم المصلحات • ان متولى خراج مصر
كان يجلس في جامع عمرو بن العاص في القسطنطينية في الوقت الذي تنهيا فيه قبالة
الاراضى وقد اجتمع الناس من القرى والمدن • فيقوم رجل ينادى على البلاد : صفقات •
صفقات • وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ما ينتمى اليه مبالغ الكور • والصفقات
على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين • لاجل الظلم
والاستبصار وغير ذلك • فاذا نقص هذا الامر خرج كل من كان قبل ارضا وضعتها الى ناحية
فتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعماله بنفسه واهله ومن يتعديبه لذلك
ويحتمل ما عليه من الخراج في ابانه على اقساط ويحسب له من مبلغ قبائله وضمانه لتلك
الاراضى • وما ينفقه على عمارة جسورها ومدنوعها • وخر خراجها بضريبة مقدرة
في ديوان الخراج (١) ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين •

(١) يقوم ديوان الخراج مقام خزانة الدولة او وزارة المالية بها وتحمل اليه جباية
الاقاليه وينفق منها على رواتب الموظفين واعماليات الجند وغيرها من النفقات
المحلية ثم يحل ما تبقى الى بيت المال العام في عاصمة الخلافة المدينة تسمى
دمشق ثم بغداد • واخيرا استقلت مصر عن الخلافة العباسية في العصر الفاطمي
كما حدث من قبل في عصر الطولونيين والاشعبيديين ويقول ابن خلدون : المقدمة
ص ٢٤٣ • المكتبة التجارية بمصر • عن ديوان الخراج والجبايات • اظن ان
هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على اعمال الجبايات وحفظ
حقوق الدولة في الدخل والضخ واحصاء المعاصر باسماهم وتقدير اراقتهم
وصرف اعلياتهم في ابحاثها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يريتها قومه
تلك الاعمال وقها رمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل
ذلك في الدخل والخرج مبنى على جزؤ كبير من الحساب لا يقوم به الا المهبرة
من اهل تلك الاعمال •

ولقد ابقى عمرو بن العاص من جاء بمدته من ولاية مصر على ديوان الخراج
الذي كان في مصر البيزنطية وكانت اللغة المستعملة فيه اليونانية والقبطية
واستمر على ذلك حتى كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فجعل عبد الله بن
عبد الملك اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد بدلا من اللغتين اليونانية
والقبطية وصرف عن ديوان الخراج انتساب القبطى وجعل عليه احد المسلمين
وهو ابن يهوع الفزارى سنة ٨٧ لـنظر : المشيخي : الخطط ج١ ص ١٥٨

وتذهب بعض المصادر الحديثة الى ان عبد الله بن محمد بن ابي سرح - والى
مصر بمد عمرو بن العاص طول هو ومن جاء بمده اذ ظل بعض التمديدات على
النظام العالى في مصر جاهد بين وذلك بتدارك بعض عيوبه ونقا تصويها ديوان
الخراج في مصر الى ادارتين • انظر دانييل ديفيت : الجزية والاسلام ١٢٥ : ٣٦

ويقال لما تأخر من مال الخراج البواقي • وكانت الولاية تتعدد في طلب ذلك مسرة،
وتصاح به مرة، فإذا مضى من الزمان ثلاثون سنة، حول السنة (١) وراكوا (٢) البلاد
كلها وعدلوا تمدد بلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة غير الضمان للبلاد ونقص
فيما يحتاج الى التنقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاصر الا ان عمر
احد بن طولون جامع وصار المحمكر (٣) منزل لامراء مصر، فنقل الديوان الى
جامع احد بن طولون • ثم نقل ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن
كلتوس، فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستمر به مدة الدولة
الفاطمية •

وهكذا كان يتقام في جامع عمرو بن العاصر ثم في جامع احد بن طولون ثم قسى
قصر يعقوب بن كلتوس في مصر الفاطمية ومن بعد وفاته في قصر الخلافة مزاد علي بن
لتقبل الارض او بمعنى اخر ضمان خراجها • وكان تقبل الارض لمدة اربع سنوات حتى
تتمادت سنوات المحصول الطيب مع سنوات المحصول الضعيف • كما كان الشخص
التقبل للارض يخصم من الاموال المقرر عليه دفعها ما يصرفه في رى الترع واصلاح الجسور
وما الى ذلك كما نفهم من هذا النص ايضا ان الخراج كان يتم دفعه على اقساط
ولا يدفع مرة واحدة كل سنة وان ما تبقى منه كان يسمى البواقي •

(١) تحويل السنة : يعنى تحويل السنين القمرية او الهلالية الى السنين الشمسية
او الخراجية التي يرتبط بها الزراعة وجباية الخراج ذلك لانه اذا جمع الخراج
حسب السنين الهلالية فكأننا نجعل الخراج في اثنين وثلاثين سنة شمسية ثلاث
وثلاثين مرة وهذا ضد طبيعة الاشياء • ولذلك تحذف كل ثلاث وثلاثين سنة
قمرية خراج سنة وهذا ما يسمى بالتحويل • ويسمى ايضا الازدلاق لان لكل ثلاثة
وثلاثين سنة قمرية اثنين وثلاثين سنة شمسية • انظر : القرزى : الخسط
ج ٢ ص ٣٩ ... آدم متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٠-١٩١ • سيده
كاشف : مصرف فجر الاسلام - حاشية ص ٦٤

(٢) راك : يعنى تقويم الاراضى وصحبها • مصرف فجر الاسلام حاشية ص ٦٤

(٣) لا شك ان المقصود القطار ويمت المسكر التي بناها العباسيون بعد غلبتهم
على الامويين •

ويؤكد ابن حوقل (١) الذي زار مصر في القرن الرابع الهجري في عهد
الفاطميين - ان الخراج كان يتم دفعه في مصر على أقساط وأنه كان لا يجري جمعه
دفعة واحدة بل يبقى منه ما يسمى بالبواقي وان ذلك قد أصبح عادة متبعة بين المصريين
فيقول "٠٠٠" وماوة يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن مسن
السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمفقود ، وما يشير يؤخذ الناس فيه باتمام
وجع الخراج من السجلات وبرصمها يطالب الناس فيه بالربح الثاني والثمن من الخراج
ويبرمونة تقع المساحة على اهل الاعمال ويطلب الناس بأغلاق نصف الخراج - من
سجلاتهم "٠" ويشتمن تقدر المساحة ويطلب الناس بما يضاف الى المساحة من ابرواب
وجوه الاموال كالصرف والجهنزة وحق المراعي والقرط والكتاب على رسم كل ناحية
ويستخرج منذ اتمام الربح ما تقررت عليه المقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس
ويؤونة يستخرج فيه بتام نصف الخراج ما بقي ولم يوزن بعد المساحة ، وبأباسب
يستتم فيه ثلاثة ارباع الخراج وهو اصل زيادة ماء النول ويكون ضعيفا ، ومصرى ويفلق
فيه الخراج وفيه جمهور زيادة ماء النيل ، وفي ذي المشهرين تأخر البقايا على دق
الكتان لانه يصل في تبت ويدهق بأباسب "٠"

ويؤكد وجود نظام الالتزام او القبالة في جباية الضرائب المختلفة في مصر
الاسلامية ما جاء في الاوراق البردية وخاصة في العصر المباسي فهناك برديات تشير
الى ذلك ويرجع تاريخها الى القرن الثالث الهجري (٢) ، وبرديات اخرى يرجع
تاريخها الى القرن الرابع الهجري (٣)

(١) كتاب صورة الارض ص ١٢٩-١٣٠

(٢) جوهان : اوراق البردي السفر ٣ ص ١٣٦-١٤٠-١٤٥-١٤٦-١٤٧

(٣) نفس المصدر ص ١٥٩-١٦٠

والواضح ايضا من الروايات التاريخية ان نظام الالتزام في جباية مصر ظل سائدا حتى عصر الفاطميين . فقد عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله في سنة ٣٦٢ هـ الى يعقوب بن كلسر وعملوج بن الحسن ، بولاية الخراج ووجوه الاموال والحسبة والمواحصل والاعشار . (١) والجوالي (٢) ، والاجاش والموارث والشرطيين ، وتجميع ما يرتبط بذلك في مصر وسائر الاعمال . وكتب المعز لهما سجلا بذلك ، قرئ على منبر جامع احمد بن طولون . وقد باشر هذان الرجلان مهامهم بحزم وسياسة حسنة . فكانا يقومان بالمزاد على الناس لتقبل الاراض وغيرها من وجوه الاموال . كما كانا يتشددان في المداخلة بالبواقي .

تقول الرواية التاريخية : * وجلسا غد هذا اليوم - اي اليوم الذي اعلن فيه توليها الخراج - في دار الامارة في جامع احمد بن طولون للنداء على الضياع وما اثر وجوه الاموال . وحضر الناس للقبالات وطالبوا بالبقايا من الاموال ما على المالكيين والمتقبلين والعمال . واستقصيا في الطلب ونظروا في المظالم * . (٣)

(١) اول من وضع الاضار في الاسلام عرب بن الخطاب ففرغ على التجار المسلمين ان يدفعوا مهر ما معهم اما اهل الذمة فيدفعون نصف المهر على تجارتهم . انظر : حسن ابراهيم حسن : المعز لدين الله - حاشية ص ١٧٧

(٢) الجوالي هي ما يؤخذ من اهل الذمة من جزية مقررة على رؤسهم في كل سنة . وهي قسمين طاقى حضرة الديار المصرية - القسطنطينية او القاهرة - وما هو خارج عن ذلك . اما في حضرة الديار المصرية فيوجد ناظر يتيمه مباشرين من شاد وطاقم وشهود ، وتحت يده طائر لليهود واخير للقبط ويعرف ارباب الاسماء الواردة في الدواوين ومن ينضم اليهم من يبلغ كل سنة من الصفار . ومن يقدم الى الحضرة من البلاد الخارجة عنها ويمير عنه بالطاري ومن يمتنع الاسلام او يعوت ويطلب على كتاب الديوان ما يتجدد من ذلك . اما ما هو خارج الحضرة من سائر الاقاليم فان جزية الاقليم تكون لزاما او متقبل . انظر ابن صاتي : قوانين الدواوين ص ٣١٧-٣١٩ - القلقشندي : صح الاعشى ج ٢ ص ٤١٢-٤١٧

(٣) ابن مسير : اخبار مصر ج ٢ ص ٤٥ - القهزوي : اتمام الحفظ ص ١٤٤-١٤٥ الخطيب ج ١ ص ١٢٢

وكما كان بعض الولاة يتشددون في حمل المتقبلين على أداء ما عليهم من البواقي كان هناك من يتماهل في ذلك بل كان بعضهم أحيانا يتسامحون في ترك هذه البواقي دون الصالحة بها . وقد حدث مثل ذلك في عهد الخليفة الفاطمي الأمر ووزيره الأفضل ابن أمير الجيوش وذلك في سنة ٥١٥ هـ حين كتبت مجلات تخفضت ترك البواقي التي على المتقبلين والضامين في هذا العام وأرسلت إلى جميع أنحاء البلاد لقراءتها على الناس . (١)

وكان يحدث بعد انخفاض النيل وبذر البذور المختلفة أن يرسل من العاصمة المصرية القضاة ثم القاهرة بعض الأشراف المشهورين بالثقة والعدل والنباهة ممن يكون لهم معرفة بالخراج . وكان يصحب هؤلاء في المادة كاتب من القبط ويخرجون إلى كل ناحية من نواحي البلاد فيحررون مساحة ما شمله الري من الأراضي ما لعله بار أو شقي . ويكتب بذلك في سجلات واضحة تسمى بكفاسات بالاندفة والقطائع وما تتضمنه من الأصناف المزروعة . وفي الشهر الرابع من المنسنة القبطية يعين من العاصمة أيضا بعض الرجال المعروفين بالحكمة وقوة البسط ويصاحبهم بعض الكتاب المشهورين بالعدل والأمانة وأيضا كاتب من القبط . وهؤلاء غير الذين خرجوا لمسح الأراضي . ويذهب هؤلاء لكل ناحية فيستخرجون ما شروا كل بلد ثلث ما وجب عليهم من الخراج وفقا لما جاء في المكلفات ومن هذا الثلث كان يدفع ما تتطلبه العساكر من النفقات . وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جلة البواقي . والظاهر أن المتقبلين للأراضي كانوا يدفعون ما عليهم من الخراج نقدا أو عينا ما تنتجه الأرض من الغلال والأصناف المختلفة . (٢) ويمكن أن نقول بناء على ذلك أن الخراج

(١) المقرئى : الخطط ج١ ص ١٣٤

(٢) نفس المصدر ص ١٣٨ . وفي عهد الخليفة الفاطمي الحافظ انتدب بعد انتهاء الفيضان جماعة من العدول والكتاب القبط إلى الولايات والأعمال المختلفة لتحرير ما شمله الري وما زرع من الأراضي وتقدير الخراج وكتابة المكلفات فخرج إلى الجهات من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب القبطي ثم لحقهم فأراد عبور النهر إلى الناحية التي مقررا له الذهاب إليها وأصر صاحب المعديفة أخذ أجره منه فأظظ ذلك الكاتب القبطي .

كان يختلف من سنة الى اخرى وحسب حلة الري والمصلحة المزروعة .

وتشهر بعض المصادر الاخرى الى ان الذى كان يقوم بصح الاراضى الزراعية ،
وكتابة المكلفات هم حولة البلاد ويميئهم مباشر الخراج الخاص بالناحية او الاقليم .
وان مباشر الخراج فى كل ناحية هو الذى يمين ايضا من يقومون باستخراج الخراج ،
ومن شاد وعدول توى خيرة بعلم المساحة وكاتب امين ، وقصابين لقياس الاراضى ،
ولم يكن هؤلاء جميعا يتقدمون من المصلحة . (١)

فلما انتهت عملية صح الاراضى فى هذه الناحية وكتابة المكلفات التى تحل
الى ديوان الخراج الرئيسى كما جرت العادة اضاف هذا الكاتب عشرين فدانا
سميت باسم " ارض اللجام " ونسبها الى صاحب المعدية وجعل عليها لكل فدان
اربعة دنانير ومدة خراج المكلفون باستخراج ثلث الخراج من هذه الناحية
وفقا لما جاء فى المكلفات المذكورة فاستدعوا اصحاب الزرع وكان من بينهم صاحب
المعدية وارغوه على دفع ستة وعشرين وثلثى دينار . فانكر ملكيته للارض وايدى
فى ذلك اهل قريته . فلما اعيد النظر فى قوائم الخراج لم توجد اية اشارة
الى ارض اللجام وانتهى الامر بمقتاب الكاتب القبطى على ذلك اشد العقاب
انظر : توتون : اهل الذمة فى الاسلام ص ٣١-٣٢

(١) النويرى : نهاية الارب جلد ١ ص ٢٤٢-٢٥٢ . ويقول بشان ذلك ان الذى
يحتاج اليه مباشر الخراج بمصر ويمتد عليه فى مباشرته انه اذا شمل الري ارض
الجهة التى مباشرها ان يبدأ بالزام حولة البلاد وفرد ما خولى وهو الذى يقبس
الارض - برفع قوانين الري ولتضمن هذه القوانين ما شمله الري وفلاسه النيل من
اراضى الناحية لسنة كذا الخراجية وتكون المساحة بالفدان ويفصلون ذلك بالرى
اى ما شمله النيل والشراقى وهو ما لم يشمله ماء النيل بعد ذلك يقارن ما جاء بما
سبق ذلك فى سنة بلغ فيها القبول ما بلغه فى تلك السنة . ومعدان يسجل ذلك
على المزارعين ينظم اوراقا مشتتة بالاسماء والقبائل جمع قبالة - ويشهد على
ذلك ومن ثم تسجيل كل هذا فى حضرته ثم يمسط جريدة على اوراق السجلات
يشرح فيها اسم كل فلاح وما يسجله من الفدان ويفصل ذلك بقبالته وجهته
وقطاعه فاذا ثبت الزرع وان وقت حصاده ذهب عند ذلك ما مباشر مساحة الارض
من شاد وعدول وكاتب وقصابين يصحون الاراضى المزروعة بالاسماء والقبائل
ويمينون اصناف المزرعات ويكون مباشرها المساحة قد مسطوا ايضا سجلات التخدير
فاذا تكاملت المساحة نظم مباشرها اوراقا مسوونها المكلفة ثم يعقد المباشر
على جميع ذلك كله ويتفقد ما استخرج منه وجطة طرئمين للديوان فاذا تم كسل
اسم بما عليه كتب طرئمين ذلك وان بقى عليه شئ . اجمله من بين الهواقى .

ونحن نرى انه لما كان لكل اقليم ديوان خراج خاص به - وهو فرج لديوان الخراج الرئيسى فى العاصمة - فمن ثم كان لكل اقليم مباشر للخراج وعليه كان يعتمد مباشر الخراج على موظفين وعمال من نفس الاقليم ، الى جانب انه كان يحضر من ديوان الخراج الرئيسى موظفون يشرفون على الموظفين والعمال المحليين عند القيام بعملهم ، ويحصلون على صورة مسجلة لما تم بشأن الاراضى وتقدر الخراج فى كل ناحية ، حتى يطلع عليها صاحب الديوان الرئيسى وموظفيه .

وكان الذين يقومون بدفع ما عليهم من الضرائب يتسلمون ايضاً عرف فى اوراق الهمدى المصرية باسم براءة وكانت هذه الايصالات او البراءات تختم بخاتم بيضاوى الشكل يتضمن عبارة دينية ، يليها اسم الجبذ والصراف . (١) وقد جاء ذكر البراءة فى بعض الروايات القبطية التى تشير الى ان الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك كتب الى والى مصر امره باعطاء براءة لكل من يدفع الخراج ، حتى لا يظلم احد ، ولا تكون فى دولته ظلم . (٢) وكان جبى الضريبة العينية ينتخبه المكان ويسمى القبائل . (٣)

(١) جروهان : اوراق الهمدى السفر ٣ ص ١٣٩-١٤٢-١٤٣-١٥١-١٥٢ .
١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦ . وقد عرفت هذه الايصالات ايضاً بهذا الاسم فى
Crum: Coptic Ostraca. PP. 36-37 انظر

(٢) ابن العلقم : سير الالباة الهمارىة م ١ ج ٢ ص ١٥٣

(٣) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٦٣ - ونصح عن قبائل قرية فى كورثا لشمونين فى احدى الهمديات المصرية ترجع الى القرن الثانى الهجرى فى رجب سنة ١٣٤ هـ (يناير او فبراير سنة ٧٠٢ م) وتتضمن امر صادر من طم اشمون الى احد مراسيه ويقول جروهان فى تعليقه على هذه الهمدية ان كلمة قبائل او قبائل ليس بمعنى الجبى Erheber der grundsteuer بل ينهى ان ينطبق هذا الاسم انطباقاً تاماً على الوران الذى يكيل القمح الذى يدخل الى القرى المختلفة برسوم ضريبة الطعام . كما ان هذا اللقب يستعمل كثيراً فى المسائل الخاصة بالنصارى فى ورتى الهمدى المحفوظ بكنيسة جامعة هايد ليج . خلا بولة بن ندى واق القبائل وفى اوراق الهمدى بدار الكتب رقم ١٥٩ مينا القبائل ورقم ٥٢٤٣ ذرى بن مينا القبائل . انظر جروهان : اوراق الهمدى السفر ٣ ص ٩٩-١٠١

ونستخلص من أوراق البردى ومن المصادر التاريخية المختلفة ان ديوان الخراج
والأموال في العاصمة كانت له فروع في الاقاليم المختلفة وانه كان يتولاها موظف
يسمى القسطل وكان هؤلاء الموظفين غالبا من القبط . (١) اما من يقوم بجمع
الضرائب ويضطلع بتسليمها وتحرير دفع الخراج والاعفاء منه والاشراف على الضرائب
فيسمى الجهيذ وكان هؤلاء الجهايذة في مصر الاسلمية ، في الغالب من القبط
أيضا . (٢)

ويقول النويري (٣) انه كان يجب على مباشرى الجوالي - أى الجزية - ان يلزم
رئيس اليهود ورئيس القبط وغيرهما من طوائف اهل الذمة بكتابة اوراق يسونها الرقاع ،
يوضحون فيها من استجد في منطقتهم من الطواري (٤) والنوابت (٥) كما يشير
منهم في نهاية الرقاع الى من تحول الى الاسلام ومن توفى وأيضا من خرج من بلده
الى بلد اخر والى أى جهة ذهب ان امكن ذلك وكان هؤلاء ينتقدون دائما احوال
النوابت حتى اذا وصل احد هم الى سن البلوغ ألزم باداء الجزية .

(١) جوهان : اوراق البردى - السفر ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧
١٤٨ .

وتسميه بعض المصادر الحديشة بالجسطل أى الجيم بدلا من القاف .
سنة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٦٤

(٢) جوهان : اوراق البردى - السفر الثالث ص ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ -
١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٧ .

(٣) نهاية الاربع ج ٨ ص ٢٤٢ - ٢٤٥

(٤) الطواري ، هم الذين يطردون على البلاد ولم يكونوا منها .
انظر المصدر السابق حاشية ص ٢٤٢

(٥) النوابت : جمع نابتة ، أى النشى ، الصفار والمراد بها هنا من دون البلوغ .
نفس المصدر - حاشية ص ٢٤٢

كان اهالى بعض الكور يقدمون الشكاوى فى بعض الاحيان ضد عمال الضرائب فى مناطقهم ويرفعونها الى صاحب الخراج وطكم الكورة نفسه اللذين كانا مسـ جانبيهما بصرطان الى التحقق من مدى صحة الشكاوى او التظلمات . ويتضح لنا ذلك من بردية يرجع تاريخها الى الفترة بين سنتى ١٣٧-١٤٠ هـ (٧٥٤-٧٧٧ م) . وتتضمن هذه البردية اخطارات مدونة بثلاث لغات - اليونانية والقبطية والعربية وخاصة بظلمات من القمدي من قبل عمال الخراج . وهذه الاخطارات خاصة باهالى اخميم الذين رفعوا ظلاماتهم الى صاحب بيت المال والى يزيد بن عبدالله صاحب كـورة اخميم وطهطا ضد عامل الضرائب عمرو بن عمار ومروان بن عمار . على اساس انهم ظلموا الاهالى ظلما واضحا . وفرضوا عليهم ضرائب لا تتفق مع العدالة . فنشط يزيد بن عبدالله لفحص اسباب هذه الظلمة وتبين الحقيقة وطلبها تقريرا بشأن ذلك وقع عليه المسئولون المحليون الذين تبينوا ان عمرو بن عمار ومروان بن عمار لم يلحقوا اى ظلم ولا اجفاف باهالى اخميم فكتب لهم براءة بذلك اشهد عليها بعض اليهود الحاضرين . (١)

ونلاحظ فى الاوراق البردية المتضمنة لقوائم دافعى الخراج والجزية وغيرهم من الضرائب ان هناك كثير من الافراد الذين يؤدون ضريبة الارض - اى الخراج - بينما لا يؤدون ضريبة الرأس (اى الجزية) . وعليه فاننا نشاءل لماذا لا يؤدى هؤلاء الافراد كثيرهم من الذميين الجزية ؟

ومن المؤكد انه ليس بين هؤلاء الذين يدفعون الخراج ولا يدفعون الجزية ذميين تركوا دينهم اليهودى او المسيحى واعتنقوا الاسلام . لان مثل هؤلاء يشار اليهم فى اوراق البردى بكلمة مولى Mouléus . (٢) ونحن نرجح ان هؤلاء الذميين لا يؤدون الجزية من الفئات التى اشارت احكام الاسلام بشأن الجزية الى اغنائها من ضريبة الرأس .

ونذكر من الاطلة على ذلك بردية تذكر سبعة وخمسين شخصا يؤدون الخراج ولا يؤدون الجزية . ومن بين هؤلاء اثنا عشر امرأة واربعه اطفال واربعه قمر وشماس واحد .

(١) جروهان : اوراق البردى المرفردى ٣ ص ٢٧-٢٩

(٢) دانييل ديهيت : الجزية والاسلام ص ١٦٥

وليس في بردى افروديتى كله جالة واحدة يؤدي فيها احد الكهنة ضريبة الرأس ، وكذلك الشماسة وغيرهم من رجال الدين المسيحي ، لم يذكر احد منهم كدافعي الجزية . (١)

وهناك سجلات كثيرة لاديرة وكنائس تؤدي ضريبة الارض وضريبة القمح بينما لا يأتي فيها ذكر لضريبة الرأس الا في بردية واحدة تتضمن حالات كثيرة لاديرة وكنائس تدفع الضرائب الخاصة بها ثم تتضمن تفاصيل مبالغ تؤديها ستة اديرة خمسة منها خاصة بضميرتا لارض والقمح . اما الدير السادس وهو دير انبا هرموت Anba Hermaotos فأماه مبالغ تحت اسم ضريبة الرأس ومن المرجح ان هذا الدير كان يقوم بدور الوسيط في جمع الضرائب من سكان منطقته . ويؤيد ذلك ان انبا هرموت كان يؤدي عن هؤلاء ضريبة قمح مقدارها سبعة وستين اردب . بينما يتضح من بردية اخرى ان ضريبة القمح الخاصة بهذا الدير كانت ستة ارباب فقط ، وخص النظر عن هـ سـ هذه الحالة ، لا يوجد دليل آخر ، على ان الرهبان والقسس كانوا يؤدون ضريبة رأس .

وتبقى ما جاء في هذه البرديات مع ما ذكره الفقهاء او العلماء المسلمون من اغفاء الرهبان ورجال الدين الذميين من الجزية . يقول الثمراي (٢) : " واتفقوا على ان الجزية لا تضرب على نساء اهل الكتاب مطلقا ولا على صبيانهم حتى يبلغوا ولا على عبيد هم ولا على مجنون واعس وشيخ فان هـ ولا على اهل الصوامع " .

وهكذا وجد في مصر منذ الفتح العربي طبقة ممتازة من اهل الذمة لا تؤدي ضريبة الجزية وهم جماعة الرهبان وغيرهم من رجال الكنيسة . ولذلك لجأ كثير من القبط المسيحيين الاديرة وحياة الرهبنة كي يتخلصوا من دفع الجزية وغيرها من الالتزامات المالية التي فرضها العرب على المصريين الغير مسلمين واستمر الوضع على ذلك حتى كانت

(١) دانييل ديفيت : الجزية والاسلام ص ١٦٥-١٦٦

(٢) نفس المصدر ص ١٦٦-١٦٧

(٣) الميزان ج ٢ ص ١٢٥ - بينما يرى ابو يوسف ان الرهبان يؤخذ منهم الجزية اذا كانوا اهل يمار . اما اذا كانوا مساكين يتصدق عليهم . فلا يلزمون بادائهم . الخراج ص ١٢٦ .

امارة عبدالمعز بن مروان . (١)

عهد الوالي الاموي عبدالمعز بن مروان الى ابنه الاصبح بولاية الخراج وجميع
وجوه المال في البلاد المصرية فامر الاصبح باحصاء الرهبان في كل الكور وروادي هيبب
وسائر الاماكن وجعل على كل واحد منهم جزية وأمر ديارا فكان ذلك اول جزية وزنوها
الرهبان . كما امر الا يدخل احد في سلك الرهينة بمد من احصاء . ولم يكتشف
الاصبح بذلك بل ألزم الاساقفة بدفع مبلغ الف دينار سنويا الى جانب خراج
املاك كنائسهم المقرر عليهم ادائه . (٢)

ويبدو ان الزمام الرهبان باداء الجزية لم يستمر بعد اولاية عبدالمعز بن مروان
والدليل على ذلك ما تشير اليه المصادر التاريخية من ان اسامة بن زيد قد اعاد
احصاء الرهبان ثانية اثنا ولايته لخراج مصر . ذلك انه امر بوضع الترهيب في عهده
شما مر باحصاء الرهبان في جميع ارجاء البلاد . وان يؤسم كل راهب منهم حلقة من
حد يد في يده اليسرى عليها اسم بيحتمود يره بخير صليب وعلينا تاريخ مملكة الاسلام .

(١) ساعد على انتشار الرهينة في مصر قبل الفتح العربي ما قاماه المصريون من الم
واضطهاد في ظل الحكم البيزنطي ففضل كثير منهم ان يعيش في عزلة عن العالم
حتى لا يلزمون باداء الضرائب المختلفة وكانت الاديرة تزداد كثرة على مر الايام
وما لبث ان وقف عليها املاك كثيرة وزادت ثروتها . وكانت الحكومة البيزنطية تدفع
لها المساعدات العالية . فلما فتح العرب مصر حافظوا على اعطاء هذه الطبقة
من القبط من الضرائب . انظر سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٢

(٢) ابن المقفع : صبر الالباء البطاركة م ١ ج ٢ ص ١٤٢ - ابن المقفع : تاريخ
المسلمين ص ٢٨ - ٢٩ . الراهب البلاوس : حمن الملوك في تاريخ
البطاركة والملوك ج ١ ص ١٢٣١ الانبا ايسيدورس : الخريدة النفيسة ج ٢ ص ١١٤
سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . والمصادر كلها فيها عدا
ابن المقفع تنسب احصاء الرهبان وفرض الجزية عليهم الى عبدالمعز بن مروان
ونحن نرى انه لا بد من ان يكون الاصبح قد حصل على موافقة ابيه على فرضه
الجزية على الرهبان . ويقول بلاوس ان الاصبح فعل ذلك لكراهيته الشديدة
للقبط ولكننا نضيف الى ذلك حدة الحاجة انذاك للاموال لتغطية نفقات تعمير
مدينة حلوان وما كانت تحتاجه البلاد من التعمير والاصلاط وغيرها من وجوه
الاتفاق وقد بلغ الامر بعهد المعز بن مروان انه كان يجمع خراج مصر كل اسبوع
وان كان البعض يرى انه فعل ذلك خوفا من فتنة تنزل به ويحتاج فيها للاموال .
انظر ابن بطريق : التاريخ المجموع ص ١٠٤١ ابو صالح الارمني ص ٢٧

(١) اى التاريخ الهجرى وكان ذلك فى سنة ٩٦ هـ - كما انه ضيق على هؤلاء الموسومين
وقول ابن المقفع (٢) : " واذا ظفروا بهارب او غير موسوم قدموه الى الامير فينقب
اعصابه ويقتل جماعته وقلع اعين جماعته بخير رحمة " .
ولم يكتف اسامة بن زيد بما قام به من احياء الرهبان ووسمهم وانما اراد التاكيد
من ان جميع الرهبان موسومين وانهم لم يلحق بهم رهبان جدد بعد احصائهم . ففطجا
عماله الديارات المختلفة حيث وجدوا جماعته من الرهبان بدون وسم . فالحق اسامة بهم
فتابا شديدا فمهم من قطعت رقبته ومنهم من ضرب بالسياط حتى مات . كما انهم الرهبان
بذبح الفد يناروان يقدم كل واحد منهم دينا را كجزية . وهددهم بهدم الاديرو الكنائس
اذا لم يقوموا بذلك . (٣)

ولنا ان نساء ل لماذا كل هذا الحرص من جانب بعض الولاة المسلمين على
فرض الجزية على الرهبان وكانوا لا يؤدونها من قبل فى عصر الاسلامية ؟ الواقع ان كثيرا
من الناس كانوا يهيجون قراهم . ويتركون اعمالهم وارضيتهم تخلصا من الضرائب المفروضة
عليهم وكانت اراضى الاديرو غير معفاة من الضرائب اذ كان عليها الخراج شأنها فى
ذلك شأن غيرها من الراضى الزراعية . ولم يكن على الرهبان اعباء مالية اخرى . لذلك
كان دخول الاديرو والترهب من امير العبل امام هؤلاء الاشخاص الهاربين من الضرائب
فلما ولى الخراج الاصمغ بن عبد العزيز ثم اسامة بن زيد فطفا الى ذلك فعملا على
الحيلولة دونه بضع الترهيب وفرض الجزية على الرهبان وذلك قضى فى الوقت نفسه على
الدافع المادى الذى كان يشجع كثيرا من الذميين على الرهينة .

فلما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز المشهور بحزمه وشدته فى تطهير الحكم
الاسلام اهلل جميع اجوات اسامة بن زيد بالنسبة للرهبان بل بلغ به الامرانه انهم
الاساقفة والكتائس من الجزية والخراج . (٤) ومن المسلم به ان الكتائس والاديرو

(١) ابن المقفع : سير الالباة الهذليمة م ١ ج ٢ ص ١٥١ - ابن الصيد : تاريخ

المسلمين ص ٢٩ - القريزى : الخطط ج ٤ ص ٣٩٥

(٢) سير الالباة الهذليمة م ١ ج ٢ ص ١٥١

(٣) نفس المصدر ص ١٥٢

(٤) نفس المصدر ص ١٥٢

قبل خلافة عمر بن عبد العزيز كانت تؤدى الخراج • ويبدو ان الجزية قد اسقطت من على الرهبان ورجال الكنيسة منذ عصر هذا الخليفة الاموى حتى منتصف القرن الثالث الهجرى حينما اعيدت الجزية على الرهبان فى مصر العباسى فى ولاية احد بمسند محمد بن مديبر على الخراج • فأرسل عماله الى الديارات فى مختلف الاقاليم وامرهم باحصاء الرهبان بها • وطالبهم بالجزية والخراج عن الحشيش الذى فى الكنائس وعن النخل والعجر المثمرة والمفروسة فى بيوتهم • (١)

ونحن نرجح ان الجزية على الرهبان قد اسقطها احمد بن طولون عندما ولى امره مصر من بين ما اسقطه من الضرائب من على المصريين التى اثقلت كواهلهم فى ولاية ابن مديبر لخروج مصر • والدليل على ذلك انه قد حدث فى بداية القرن الرابع الهجرى - اى الفترة ما بين سقوط الدولة الطولونية وقيل قيام الدولة الاخشيدية وهى الفترة التى عادت فيها مصر الى التبعية للخلافة العباسية فى بغداد وصار ولايتها يعينون من قبل الخليفة - فقد حدث فى سنة ٣١٣ هـ • ان الوزير عبد الله بن محمد بن خاقان • ارسل على بن موسى الى مصر ليتفقد احوالها فلما دخلها التزم جماعة الرهبان والاساقفة والضمخاء والساكين من اهل الذمة فى جميع انحاء البلاد المصرية بأداء الجزية • فما كان من هولاء الرهبان والاساقفة الا ان ارسلوا جماعة منهم الى بغداد للاستغاثة بالخليفة العباسى المقدر الذى كتب لهم سجلا يتضمن اغنائهم من الجزية • وان تجرى امورهم على ما كانت عليه قديما • • (٢) وكان هذا الحدث فى عهد الولى ابى منصور تكين بن عبد الله المقتصدى • (٣) وفيما عدا هذه الفترات التى تحدثنا عنها • كان الرهبان ورجال الكنيسة لا يسودون الجزية •

فذكرنا من قبل انه الى جانب الرهبان كان يحفى من الجزية النساء والاطفال والفقراء • فيقول ابن مياتى (٤) • ان الجزية واجبة على اهل الذمة الاحرار

(١) ابن المقفع : سير الالباة الهطاركة م ٢ جا ص ٢٤
(٢) ابن بطريق : التاريخ المجموع ص ٨٢ • ابن الصميد : تاريخ المسلمين ص ٩٦-٩٧
(٣) ابو الطامس : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٧٧-٢١٠
(٤) قوانين الدواوين ص ٣١٧-٣١٨

بالباقين دون النساء أو الصبيان والرهبان والعبيد والمجانين • وأما الشيخ الفانسي وغيره فقيها قولان والفقراء الذين لا كسب لهم فقيهم أيضا قولان الأول تجب عليهم • والثاني لا تجب عليهم ويطلبوا كذا إذا امسروا • وإن كان منهم من وجن ويفتق يوما • فالضموحان تؤخذ منه الجزية • ومن مات منهم أو اطم في أثناء الحول • قبل أن تؤخذ منه لما مضى بقسطه وقيل أنه لا تجب عليه فلهما عليه شيء •

وقد جاء في بعض أوراق البردي ما يؤكد ذلك • كما كان هناك أيضا بعض أفراد مميزين من أهل الذمة محققين من أداء الجزية • ويدل على ذلك قول عمر بن عبد العزيز أن تؤخذ الجزية من سائر الناس الذين لا يعمتقوا الإسلام ولم تجرد عنهم على القيام بها • ويذكر دانييل ديبيت • (١) بعض الأمثلة لهذه الحالات ممتدا على ما جاء في بعض الأوراق البردية سواء أكانوا من الفقراء • أو النساء • أو الأطفال • أو بعض العلماء والموظفين الذين كان لهم بعض المميزات •

وتساءل : هل كان من يمتنع الإسلام من أهل الذمة يلزم بأداء الجزية

والخراج أم إن هذه الضرائب كانت ترفع عن الذم الذي يمتنع الإسلام ؟

أما من ناحية الجزية فيبدو أنه في بداية الحكم العربي في مصر لم يفكر أحد من الولاة في فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة • وقد أراد عبد العزيز بن مروان أن يبدأ في فرضها بإيطاء من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلا أن ابن حجيرة نهاه عن ذلك • وقال له : " اعينك بالله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر • فوالله إن أهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم • فكيف تضمنها على من أسلم منهم " فتركهم على ما كانوا عليه لا يؤدون الجزية عند اعتناقهم الإسلام • (٢)

(١) الجزية والإسلام من ١٢٧-١٢٨

(٢) ابن عبد الحكم : فتح مصر والمغرب ص ٢١٠

وكان أول من أخذ الجزية من أسلم من أهل الذمة الحجلاج بن يوسف

فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة • رغب في تشجيع الذميين على الاسلام وذلك عن طريق اغنائهم من بعض الاعباء المالية التي كانوا يلتزمون بأدائها للحكومة المصرية • واهمها الجزية • فكتب الى عماله : * من شهد شهادتنا واستقبل قيلتنا • واختسن فلانا أخذوا منه جزية • (١) وطلبه أمر واليه على مصر بالعمل على ذلك وتسجيل اسما من يمتنع الاسلام من اهل الذمة في الديوان وكتب الى حيان بن سريح يأمره برفع الجزية عن اسلم من الذميين واستشهد في ذلك بقوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة • واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم • ان الله غفور رحيم) • (٢)

وسيد وانه قد نزع عن ذلك ان ضمنت ايرادات مصر فلما ادرك ذلك واليه حيان بن سريح كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يقول له : * انا بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الطرث بن ثابتة عشرين الف دينار وتمت عطاء اهل الديوان • فان وأي امير المؤمنين ان يأمر بقضائها فعمل • وهكذا رغب والى مصرفى اخذ الجزية عن اسلم من اهل الذمة — بينما رفض الخليفة ذلك وكتب اليه بفتح رأيه ويقول له : * فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يبعثه جابيا ولمعري • ليعلم احقر من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه • (٣)

ويعلق توماس ارنولد (٤) على ذلك فيقول : ولكن الولاة الذين جاءوا بعد ذلك اعرقوا ان هل هذه السياسة تضر بالدولة لاسباب تتعلق بمال الجباية والحواء بان يؤدي الذين يدخلون في الاسلام الضرائب كما كانوا يؤديونها من قبل • على ان هل هذه السياسة لم يقدر لها الاستمرار • وعمل كل والى من هؤلاء الولاة برأيه بصورة تقوم على التصف وعدم النظام •

(١) ابن قيم الجوزية : احكام اهل الذمة في ١ ص ٥٩

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢١

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ١٥٦ • ط ليون

المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٢٥

(٤) الدعوة الى الاسلام ص ١٢٤ — ١٢٥

ونحن نشفق مع توماس رنولد فيما ذهب اليه من ان سياسة عمر بن عبد العزيز قد اتبعتها بعض الولاة والخلفاء الذين حكموا بعده ، ومنهم الوالى حفص بن الوليد الذى ولى مصر فى سنة ١٥٨ هـ (٧٤٤ م) فقد حدث انه لما وعد اهل الذمة بالاغناء من الجزية اذا هم تركوا دينهم اليهودى او المسيحى واعتقوا الاسلام اسلم من اهل الذمة حوالى اربعة وعشرون الفا . (١)

وتكرر حدوث ذلك ايضا فى عهد الخليفة ابي العباس عبد الله السفاح - فى مطلع الدولة العباسية - حينما اظن هذا الخليفة سياسته - فقال : * ان كل من يصير على دينه ووصلى كصلاته يكون بخير جزية . فمن عظم الخراج والكلف عليهم انكثر كتيبت من الفقراء والاغنياء دين المسيح وتبعوه * . (٢) وهكذا حصر اغلب ولاية مصر على اخذ الجزية من اسلم من اهل الذمة الا فى الفترات المحدودة التى اشرفنا اليها .

اما بالنسبة للخراج ، ووضعه عن ارض من يمتنع الاسلام من اهل الذمة فليس نجد اية اشارة اليه فى المصادر المختلفة . ونحن نرى انه لما كانت مصر قد عولت معاملة البلاد المفتوحة صلحا ، ففرض على رؤس وبطالها الجزية وعلى اواشيها الخراج فلا يسد ان الخراج لم يرفع عن ارض الذى ابقى بعد تركه دينه واحتاقه الاسلام . وكان ذلك فى الواقع يتفق وما ذهب اليه الفقهاء المسلمون .

قال مالك بن انس : ان من اسلم من اهل الصلح فهو احق بارضه وماله ، اسلم اهل العنوة فمن اسلم منهم تصير ارضه للمسلمين . لان اهل العنوة ظبوا على بلادهم ، وصارت نبيط للمسلمين ولان اهل الصلح انما هم قوم اطمحوا وضحوا ببلادهم حتى صالحوا عليها وليس عليهم الا ما صالحوا عليه . ولا ارى ان يزيد عليهم ولا يؤخذ منهم الا ما فسروا عمر بن الخطاب لان عمر خطب الناس فقال : قد فرضت لكم الفرائض وسقنت لكم السنن وتسررتكم على الواضحة . (٣)

(١) نفس المصدر السابق ص ١٢٥

(٢) ابن القتيب : سهر الايام البطاركة م ١ ج ٢ ص ٢٠٥-٢٠٦

(٣) كتاب الخراج ص ٢١

للملوك
١٥٧١
كلمة
نصر

(١) بينما يقول يحيى بن آدم القوشى : " من اسلم من اهل الصلح ، رفع الخراج عن رأسه وعن ارضه ، وتصير ارضه ارض عشر . الا ان يكون من اهل الصلح ، صلحوا على ان يوضع على رؤسهم الجزية وعلى ارضهم الخراج ، فعن اسلم رفعت الجزية عن رأسه ، وكان الخراج على ارضه على حاله . "

وتلص من دامتنا ان كثيرا من الولاة كان يحوصر اشد الحوص على تحصيل الجزية والخراج من الذمى الذى يترك دينه ويعتق الاسلم . بل بانح بعض الولاة فى ذلك حتى انهم اصروا على اخذ جزية الموتى الذميين من تركاتهم او من اقاربهم من اهل الذمة ، وتشير بعض الروايات التاريخية الى حدوث ذلك فى مصر على ايدى الولاة الامويين . بينما لم يحدث ذلك فى عصر الولاة العباسيين او عهد الدولة المستقلة - الطولونية والاشيدية والفاطمية .

وكان اول حدوث ذلك فى عهد الوالى عبدالله بن عبدالملك - الذى ولى امرة مصر بعمد عبدالعزيز بن مروان - الذى اشتهر بتفدده ، مع اهل الذمة وزيادته الخراج عليهم . فتشير الرواية القبطية الى تصكه الشديد باخذ جزية موتى القبط . فتقول : " وامران لا يدفن ميت حتى يقوموا معه بالجزية . . حتى ان المستورين الذين لا يقدرون على الخبر اذا ماتوا لا يدفنهم احد الا بأمره . . " (٢) والواضح لنا ان مثل هذا الاجراء كان لا يستمر طويلا ، اذ سوطان ما يظل الاخذ به بوقاة من منه او زوال امره .

اما المرة الثانية التى لزم فيها الاحياء من اهل الذمة وخاصة القبط بهاداة جزية موتاهم فكانت فى عهد الخليفة الاموى عمر بن عبدالعزیز وولاية حيان بن سريح وقد سبق ان ذكرنا ان اسلم الذميين المتوالى فى عصر هذا الخليفة ووضع الجزية عن اسلم قد اضربا بمرادات مصر وانقص دخلها . ويبدو ان حيان بن سريح فكر فى ان يلزم الاحياء من اهل الذمة بدفع جزية موتاهم لهمو يرضى ذلك ما حدث فى دخل

(١) ابن المقفع : سير الالباة الهداركة م ١ ج ١ ص ١٤٥

(٢) المرجع السابق .

مصر من نقص فكتب في هذا الامر الى الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تردد فمضى
بأدى الامر وسأل عراك بن مالك واستفتاه بشأن ذلك فقال له عراك : " ما سمعت
لهم بمقد ولا عهد انما اخذوا غنوة بمنزلة العبيد " عند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز
بأمر واليه على مصر ان يجعل جزية صوتى القبط على احيائهم . (١)

ويقول ابن عبد الحكم (٢) فى ذلك : " وذلك يدل على ان عمر بن عبد العزيز
كان يرى ان ارض مصر فتحت غنوة وان الجزية انما هى على القرى فمن مات من اهل
القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم " وان موت من مات منهم لا يضح عنهم من الجزية شيئاً
... ويحتمل ان تكون مصر فتحت بصلح ، فذلك الصلح ثابت على من بقى منهم " وان
صوت من مات منهم لا يضح عنهم ما صالحوا عليه شيئاً " .

ولعل ذلك هو الذى دفع هذا الطرخ الى ان يقول ان الجزية فى مصر جزيتان :
جزية على رؤوس الرجال وجزية جملة تكون على اهل القرية ويؤخذ بها اهل القرية . فمن
هلك من اهل القرية التى عليهم جزية سماه على القرية وليست على رؤوس الرجال .
ومن لا ولد له ولا وارث ، ترجع ارضه الى قريته فى جملة ما عليهم من الجزية . ومن هلك
من جزيته على رؤوس الرجال ولم يدع وارثاً ، فان ارضه للمسلمين . وقال عمرو بن عبد
المعز : ان الجزية على الرؤوس وليست على الارض . (٣)

وقد اثقل كثير من الولاة فى مصر ، كاهل اهل الذمة وخاصة القبط بالاعباء
المالية وتشددوا فى جباية الضرائب فلجأ كثير من القبط الى المقاومة السلبية فى بادىء
الامر ، فهرب كثير منهم من المناطق التى يقيمون فيها الى مناطق اخرى
وخاصة بعد ان ادركوا انه لا فائدة من الاحصام بالاديرة بعد ان فوض الاصح بمن
عبد العزيز الجزية على الرهبان - وما لاشك فيه ان حركة الهروب هذه كان لها

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وخباياها ص ٨١ - وفتوح مصر والمغرب ص ٢٠٨

ابن الجزية : احكام اهل الذمة ق ١ ص ٦٠

(٢) فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٨ - ٢٠٩

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢٠٨

اثرها في مالية البلاد ، الى جانب ما كانت تثيره من القوضى والاضطراب

وقد اخذ الولاة المسلمون منذ ولاية عبدالملك بن عبدالملك — الذي زاد الخراج على القبط فجعل من عليه خراج دينار يؤدي ديناراً وثلاثين — يتشددون في مراقبة الابقين والحد من حركتهم . فأمر عبدالله بن عبدالملك بوصم الفراء الذين وجدوا في الاقاليم المختلفة على ايديهم وجباههم ثم امر بارسالهم الى مناطق مختلفة فيسرى التي نزلوا فيها . (١)

استمرت حركة الهروب بعد ذلك في ولاية قره بن شريك بل اتخذت في عصر هذا الولاى شكلاً واسع النطاق — فكانت غارات باكلها من الرجال والنساء والاطفال تهرب من منطقة الى اخرى تخلصا من عب الضرائب مما اضطر قره بن شريك الى تعيين جماعة خاصة لمراقبة هذه الحركة وايقافها . ويقول ابن المقفع (٢) بشأن ذلك : " وكان الناس يهربون ونساءهم واولادهم من مكان الى مكان . ولا يأويهم موضع مسن اجل البلايا . ومطالبات الخراج وعظم ظلمه اكثر من تقدمه ثم انه ولي انسان اسمه عبدالعزیز من مدينة سخط وكان يجمع الذين هربوا من كل موضع ويرد هم ويوطئهم ، ويحاقبهم ويعيد كل منهم الى موضعه " .

ونحن نرى ان ذلك كان طبيعياً من جانب القبط في مصر في ذلك المصير ، وخاصة اذا علمنا ان قره بن شريك قد طالب اهل الذمة بدفع الجزية الطاخرة عليهم ، منذ عهد سلفه تشدد في ذلك . (٣) كما انه كان يفرض احيانا ضرائب غير عادية عليهم . (٤) ثم انه قسّر على البلاد مائة ألف دينار الى جانب ما هو مقرراً مسن الخراج . (٥)

(١) ابن المقفع : سير الالباة البطاركة م ١ ج ٢ ص ١٤٥

(٢) نفس المصدر ص ١٤٦

(٣) جروهان : اوراق البردى — السفر ٣ ص ٤٨ — ٤٩

(٤) Bell: Translation of the Greek Aphrodits Paptri. (٤)
PP. 272, 281, 283.

(٥) ابن المقفع : سير الالباة البطاركة م ١ ج ٢ ص ١٤٦

وتوضح اوراق البردى المختلفة جوانب هذه الحركة ، وكيف اهتم بها قسرة
بن شريك خاصة ، وكيف انه كان يأمر عماله على الاقاليم باعادة هؤلاء السـزراع
او الجالية (١) التى هى محور الحركة الى قواهم الاصلية . نذكر من هذه البرديات
بردية تتضمن ما كتبه قرة بن شريك الى صاحب اشوكة . بأنه علم بوجود جالية على
ارضه ويطلب منه ان يرد ها الى موطنها الاصلى . وقد جاء فى هذه البردية : " بسم
الله الرحمن الرحيم من قرة بن شريك الى باسيل صاحب اشوكة . فانى احد اللطالذى
لا اله الا هو . اما بعد . فان هشام بن عمر كتب الى يذكر جالية له بأرضك . وقد
تقدمت الى الصل وكبت اليهم الا ياورا جاليا فاذا جارك كتابى هذا فادفع اليه ما كان
له بأرضك من جليلته ولا اعرفن ما رددت رسله او كتب الى يشتكيك . والسلام طسى
من اتبع الهدى . وكتب يزيد فى حادى الاخرة سنة ٩١ هـ . " (٢)

وهناك بردية اخرى تشير الى ان قرة بن شريك ارسل مندوبين من قبله للفتـر
فى حركة الابقين وفى نفس الوقت يطلب من صاحب الكورة تيسير مهمة هؤلاء المندوبين بان
يرسل معهم رجلا ثقات يعرفون الكتابة ليقوموا بكتابة اسماء الابقين والقابهم ، وليبينوا
ايضا الاماكن التى هربوا منها والا تكن التى لجأوا اليها من اجل حصر الديقين
عادوا الى قواهم والذين منح لهم بالاستقرار فيها على ان يؤدوا الضرائب . ثم يأمر
صاحب الكورة ان يوصف هؤلاء الاضطراب بالتزام الجند والنشاط فى هذا الصل ويحذرهم
بعدم قبول الهدايا والرشوة والا الحق العقاب بصاحب الكورة والشخصا المذنب
ايضا . (٣)

(١) كنان يقال لاهل الذمة " الجالية " لان عربين الخطاب اجلاهم عن جزيرة العرب
والزعم هذا الاسم اينما حلوا ثم لزم كل من لزمته الجزية من اهل الكتاب بكل
بلد وان لم يجلوا عن اوطانهم . انظر : سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام
حاشية ص ٢٢٧ — عطية مشرقة : نظم الحكم بمصرفى عصر الفاطميين حاشية ص ١٧
وكان يحدث مثل هذه الحركـة اى الحركة الابقين — فى العصر البيزنطى فكثيرا
ما كان الفلاحون يهـجرون قراهم تخلفا من دفع الضرائب الباهظة : انظر :
Lammaurs: Un Gouverneur Omayyade..., P.107

(٢) جروهان : اوراق البردى — السفر ٣ ص ٢٣١ — ٢٤

وهناك بردية ثلاثة يطلب فيها قرة بن شريك من صاحب كورة اشقوه ان يرسل اليه الهاريين واسرهم ومناعمهم . وان يعد له سجلا باسماء الاشخاص الذين ارسلوا و ويحدد في اى موضع من كورته هموا ، واملأ كل شخص والوقت الذى امضاه في كورته وكل معلومات لازمة عن الهاريين كذبيح او مطبأة . وان يرسل الهاريين وهذه المعلومات عنهم مع المندوب الذى ارسله قرة لهذا الغرض ويهدده بأشد انواع العقاب الجسدى والمالى . اذا توانى في تنفيذ ذلك . او تفاقل عن احد الهاريين . كما نراه في هذا الكتاب يهدد الذين يأوون الهاريين . بدفع غرامة كبيرة تفوق قدراتهم وامكانياتهم المادية . (١)

Bell : Op. Cit., PP. 269 - 270

(١) =

دانييل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٧١ - سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام ص ٢٢٨ - ونذكر جزءا من نص البردية المشار اليها وقد جاء فيه : " ابحثوا الى الابقين رجلا يتوفر فيهم العدل ويعرفون الكتابة بتعليمات ان ينتقلوا معهم الى لجنة الابقين وان يسجلوا في حضرهم اسم كل ابق ولقبه وكذلك المكان الذى فر منه والمكان الذى حل فيه ونسى اى اقليم . وذلك فى الحالتين : حلة الذين ردوا الى بلادهم . وحالة الذين منح لهم بالبقاء حيث نزلوا وبشرط ان يؤدوا ما عليهم من ضرائب انظره Bell: P. 270

Bell : Op. Cit. , PP. 274 - 275

(١)

دانييل دينيت : الجزية والاسلام ص ١٧١ - ١٧٢ - سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام ص ٢٨٨ وهذا بعض ما جاء فى هذه البردية - اقمنا اذا وجدنا بعد عودة رسولنا ابقا واحدا لم يسجل اسمه فى القائمة التى تبعثون بها الينا لتعاقبكم اخذ العقاب الامر الذى يسحقكم محققا . بغرامة فاحشة وقصا حريدى نسى موقمين الغرامة ايضا على سكان المكان الذى يوجد فيه مثل هذا الابق غرامة فاحشة باهظة ومنجرد رؤساءها والقائمين على الادارة فيها وحراسها تجريدا ثم نوقح عليهم قصاصا بدينا لاهك يفوق اقصى ما يتصورونه من عذاب . فلن تتحرك بمون الله اقليما واحدا فى مصر دون ان نبحث اليه بملائتنا الامنا القادرين . مزودين بتعليمات ان ينقبوا ويفتشوا بحمية وغيرة ودقة عن اولئك الابقين وان يأمرنا كذلك بمكافأة كل من يعطى معلومات عن اى ابق مخفى من اولئك الابقين الذين امرنا بارسالهم الينا ومكافأة تفوق كل مكافأة يتوقصها كل من يزود بمعلومات . انظره Bell: P. 275

ونستخلص من هذه الوثيقة أن بعض الأهلالي كانوا يرجعون بالابقين إلى بلادهم، ويخفونهم في منازلهم. ويؤكد لنا ذلك ما جاء في الجردية رقم ١٣٨٤ من بردى أفندي، لكل من يثبت أنه يخفى أحداً من الأبقين بمعد هولا، استنوق عليه غرامة وقد رها عشرة دنانير عن كل رجل وستنوق على الأبق غرامة قد رها خمسة دنانير وعلى الإداريين والرؤساء والبوليس خمسة دنانير. وسيكافأ بد ينادين عن كل آبق. كل من يزود بمعلومات بمعد اعداد القائمة". (١)

وهكذا استمر قوة بن شريك يراقب حركة الأبقين بمزم ونشاط مطولا وقفها بمختلف الوسائل حتى توفي وانتهت ولايته على مصر في سنة ٩٦ هـ، وولي خواجه مصر في هذه السنة أسامة بن زيد. وقد استمرت في عهده حركة الهروب. ذلك أنه تشدد في جباية الضرائب المقررة على أهل الذمة ولذلك نجده يأمر المصريين بالأياوي أحد منهم غريباً في الكنائس والفنادق أو السواحل ولشدة الخوف منه طرد الناس من كان يلوذ بهم من الغرباء الأبقين. (٢)

ومن أجل وضع حد لهذه الحركة التي كانت تسمى إلى مائة البلاد بالاضافة إلى ما كانت تسميه من القوضى والاضطراب أمر أسامة بن زيد بعمل سجلات للأهلالي أشبه بجوازات السفر اليوم والزم كل شخص يريد الانتقال من جهة إلى أخرى في البلاد المصرية أو يريد ركوب سفينة أو النزول فيها أن يحمل معه سجلاً. وأمر عال به بالقبض على أي شخص يوجد ماشياً أو ظهراً من موضع إلى موضع وليس معه سجله. وإذا وجد شخص في سفينة بدون سجل ينهب ما في العركب وتشعل فيها النار.

(١) Bell: Op.Cit., PP. 379 - 380

دانيال دينيت: الجزية والاسلام ص ١٧٢ — وأمر حاكم الكورة أن يجمع كبار رجال كورته ورجال الشرطة. ويقرأ عليهم هذا الكتاب، ويطلب منهم كتابة نسخة منقوطة منها على جميع الناس في كل مكان داخل الكورة.

(٢) ابن المقفع: سير الأبياء البطارقة م ١ ج ١ ص ١٥١

اما من فقد سجله او اصابه التلف لسبب من الاسباب فلا يمكنه الحصول على سجل آخر الا بدفع غرامة قدرها خمسة دنانير. (١)

على كل

وهكذا كان اهل الذمة - خاصة - والمصريون عامة ، يقاسون احيانا من التمدد في جباية الضرائب المختلفة التي اشقت كواهلهم في بعض الفترات ، وبالرغم من ان الخليفة عمر بن عبد العزيز كان قد امر برفع الجزية والخراج - كما ذكرنا - عن الكنائس والاماكن والرهبان - الا ان خلفه يزيد بن عبد الملك ، أعاد الجزية والخراج الى ما كانت عليه ، قبل عصر سلفه عمر بن عبد العزيز واخذ جميع المسيحيين بالقدرة في اداء الالتزامات المالية . (٢)

(١) نفس المصدر ص ١٥١ - ومسوق لنا قصة امرأة ارملة خرجت مع ولدها من الاسكندرية ومنها سجلها فنزل ولدها يشرب من البحر فشرق ومعه السجل - فمادت الي الاسكندرية ، واخبرت المسؤولين عما حدث لها ولكن لم يراف احد بحالها . بل امر حاكم الاسكندرية باعتقالها حتى تدفع عشرة دنانير نظير سجلا آخر مما اضطرها الى بيع ثيابها وكأ ما تملك بل اضطرت الى طلب الصدقة حتى تجمع المبلغ المطلوب انظر نفس المصدر ص ١٥١ - ١٥٢ . ابن العميد : تاريخ المسلمين ص ٦٩

(٢) ابن المقفع : سير الابطال البطارقة م ١ ج ٢ ص ١٥٢

وفي سنة ١٣٢ هـ خرج رجل من القبط بمعنود وكان يسمى يحيى وثار ضمد
حكومة العرب في ولاية عبد الملك بن موسى النصيري الذي بحث اليه بالجيش فمهمهم
وقتل نفر من اصحابه. (١)

ثم ثار القبط في رشيد في نفس هذا العام فلما وصل مروان بن محمد آخر
الخلافة الاموية الى مصر فارا من وجه خصومه العباسيين ارسل اليهم جيشا تمكن
من هزيمتهم. (٢) كذلك ثار اهل البشرد في نفس السنة اي سنة ١٣٢ هـ وكان على
راسهم مينا ابن بقيقة وامتنعوا عن اداء الخراج وخرج عبد الطك بنفس طقتهم . وقصع
ثورتهم الا ان البشوريين تمكنوا من هزيمته . فأرسل اليهم عسكريا آخر . يساعده اسطول
في البحر ولكنهم تغلبوا عليهم ايضا في البر والبحر . ورأى مروان بن محمد مصالحتهم
ومصالحتهم نظرا لاقتراب خصومه العباسيين منه . فكتب اليهم بالصهد والامان الا انهم
رفضوا ذلك فارسل اليهم جيوشا كثيرة ولكنها لم تتمكن من الوصول اليهم . لانهم
تحصنوا في مواضع الوحلات التي لا يقدر ان يصل اليها سوى رجل . فاذا ذلك
قدمه في الطريق . . هلك . . وكان الصماكر يحرسونهم برا . فيخرجون لهم في الليل
البشامة من طرق يعرفونها يتلصصوا عليهم ويقتلوا من قد روا على قتله ويسرقوا اموالهم
وخيبلهم فيطول عليهم الامر فيرحلوا عنهم . (٣)

وهكذا اخفق مروان وجنوده في القضاء على ثورة البشوريين والزامهم الهدوء
وأرغامهم على اداء ما عليهم من الضرائب . وقد اتهم البطرك انبا خايل بأنه حرضهم

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٨١ — المقرئ : الخطط : ج ٤ ص ٣٩٥
ابو الحسن : النجوم الزاهرة . ج ١ ص ٢٨١

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ٩٤

المقرئ : الخطط ج ٤ ص ٣٩٥ .

(٢) الكندي الولاة والقضاة ص ٩٦ — المقرئ : الخطط ج ٤ ص ٣٩٥

(٣) ابن المقفع : سير الابهاء البطارقة م ١ ج ١ ص ١٩١

على الثورة والحصيان فقبض عليه وألحق به قواد مروان كثيرا من ألوان التعذيب، وأرادوا قتله ولكنهم في نهاية الأمر فكروا في حيلة معهم إلى البشارة ليهدئ من روعهم، وبضطرهم إلى السكنينة والهدوء، ويعلمهم أن كل ما أصابه يرجع إلى تمردهم وعصيانهم، وعليه خرج الجند وصحبهم البطرك إلى البشارة، إلا أنهم تمكنوا من هزيمتهم، هزيمة ساحقة، وقتلوا أكثر جند مروان، وطردوا الباقي، ومن ثم عجز مروان وجنده عن القضاء على انتفاض هؤلاء القبط، وما لبث أن تمكن العباسيون من دخول مصر والقضاء على الخلافة الاموية نهائيا، فتفاهل القبط خيرا في مصر، وخضعت ثورة البشارة (١).

وبالرغم من ذلك فالمشكلة المالية بالنسبة للقبط لم تنته بقيام الدولة العباسية وزوال حكم الامويين، بل زادت الضرائب عما كانت عليه زمن الامويين، إذ لم تكن ثلاث سنوات على قيام الدولة العباسية حتى ضعف الخراج على القبط، ولم يتحقق ما وعدهم العباسيون به من التخفيف عنهم في الأعباء العالية (٢).

وسرطان ما عاد القبط إلى الانتفاض والثورة والامتناع عن أداء الخراج وغيره من الضرائب، فثار قبط ممنود في سنة ١٣٥ هـ في عهد والي أبي عون عبد الملك بن يزيد عندما ولي مصر في المرة الأولى (٢٣٣-١٣٦ هـ) فبادر بإرسال جيش لقتالهم فتكهن من هزيمتهم وقتل زعيمهم (أبو مينا) (٣).

وثار قبط سغا في سنة ١٥٠ هـ في عهد والي مصر يزيد بن حاتم بن قبيصة، وطردوا العمال المسلمين وانضم إلى هذه الثورة جماعة البشوريين وبعضها إلى الوجه البحري فبعث إليهم يزيد بن حاتم بالحساكر لقتالهم والقضاء على ثورتهم إلا أن القبط في هذه المرة تمكنوا من هزيمة المسلمين وقتل كثير من أمرائهم وقوادهم (٤).

(١) نفس المصدر ص ١٩١-١٩٢ و ١٩٤-٢٠٥

(٢) ابن المقفع: سير الألباء البطركام ١ ج ٢ ص ٢٠٥- أبو المطاسن: النجوم الزاهرة ج ١ ص ٣٢٥-٣٢٦

(٣) القرظي: الخطط ج ٢ ص ٩١

(٤) الكندي: الولاة والقضاة ص ١١٦-١١٧ القرظي: ج ٢ ص ٩٣- ج ٤ ص ٣٩٦ أبو المطاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣

وفي سنة ١٥٦ هـ انتفض القبط على الصالح العرب وكان ذلك في عهد الوالي موسى بن علي رباح اللخمي فويلهيبه فأرسل موسى بن علي اليهم جيشا تمكن من هزيمتهم والقضاء على تمردهم (١) ويبدو انه قبض على نفر كبير من القبط • ويقبول ابو الحسن (٢) انه قتل منهم جماعة وغنى عن جماعة اخرى •

واستمر الولاة المسلمون بالرغم من ذلك يضاغفون الخراج ويتشددون في جباية الضرائب وعليه استمر القبط من جانبهم في الانتفاض وعلان العصيان خاصة في بعض اقاليم الوجه البحري وقد شاركهم في الثورة والانتفاض العرب في مصر ففي سنة ١٧٨ هـ زاد اسحق ابن سليمان الخراج على المصريين فخرج عليه اهل الحوف فقاتلهم ولكنهم لم يتمكن من القضاء على عصيانهم نهائيا • فبعث الخليفة هارون الرشيد اليه هرثمة بن اعين في جيش عظيم ونزل اقليم الحوف فأذعن اهل له بالطاعة ودفعوا ما قرر عليهم من الخراج ثم خرج اهل الحوف مرة ثانية على الليث بن الفضل لانه بعث بمساحين لمسح الاراضي الزراعية فانقصوا من القصة اصابعا • فتظلم الناس الى الليث الا انه لم يستحب اليهم فساروا الى القسطنطينية في سنة ١٨٦ هـ لقتاله الا انه تمكن من هزيمتهم وامتنعوا عن اداء الخراج في السنة التالية مما اضطر لليث بن الفضل السير الخروج الى بغداد في المحرم سنة ١٨٧ هـ وطلب من الخليفة الرشيد ان يرسل برفقته جيشا يمكنه من جباية خراج اهل الحوف فسال مخوف بن سليم • الخليفة • ان يوليه خراج مصر ومن له الجباية بلا حوط ولا عسا • فعهد اليه الخليفة بذلك الا ان اهل الحوف كانوا كثيرا ما يمتنعون عن اداء الخراج المقرر (٣) وبالرغم من اننا لانجد في هذه الاحداث تحديدا للقبط • او سواهم ممن قاموا بالثورة فاننا نرجح انه قد شارك العرب المسلمون • القبط في هذا العصيان والامتناع عن اداء الخراج • وخاصة ان عددهم قد زاد في مصر وتوسع انتشارهم في المدن والقرى المصرية واشتغل الكثير منهم بالزراعة •

(١) الكندي : الولاة والقضاة ص ١١٩ - المقرئ : الخطط ج ٢ ص ٩٣ ج ٤ ص ٣٩٦

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٥

(٣) المقرئ : الخطط ج ١ ص ١٢٦ - ١٣٠

كانت آخر ثورة للقبط في مصر او بمعنى اخر ، آخر مطولة لهم في المطروحة الايجابية نتيجة تشدد بعض الولاة ومضاغرة الخراج عليهم في سنة ٢١٦ هـ في عهد الخليفة العباسي المأمون ، وولاية عيسى بن منصور على مصر . وقد شارك الصرب القبط في هذه الثورة وتقول الرواية المصرية : " انتقضت اسفل الارض كلها عرشها وقبطنها في جمادى الاول في سنة ٢١٦ هـ واخرجوا العمال وخالفوا الطائفة وكان ذلك لسوء سيرة العمال فيهم " . (١) بينما تشير الرواية القبطية الى ان الخراج ، كان يتولى امره في ذلك الحين شخصان هما : احمد بن الاسبط والثاني : ابراهيم بن تميم . وكانا يتصفان بالقسوة والمنف في جباية خراج مصر ، مما أرهق الناس و جعلهم في ضيق شديد ، أدى الى الثورة واعلان العصيان . (٢)

ويبدو ان هذه الثورة كانت من اشد ثورات القبط واغنها خاصة وانتهت بتعاون كل من القبط والحرب المسلمين فيها فصاروا قوة لا يستهان بها لدرجة بلغت معها ان والى مصر عيسى بن منصور وجنوده لم يفجحوا في الصمود امام جموع الثائرين حتى قدم اليهم الافشين من بركة . (٣) وتمكن من التغلب على الثائرين وسدد جمعهم ثم توجه الى مذاقة الحوافل شرقى حيث تمكن من هزيمة الثائرين به ، وأرسل نفس الوقت عيسى بن منصور وبعض القواد الاخرين الى مختلف الجهات بالوجه البحرى . ثم سار الافشين الى الاسكندرية فهزم الثائرين فيها وسيطر على المدينة وتفرغ الافشين بعد ذلك للقضاء على تمرد البشوريين وعصيانهم (اهل البشور) . (٤)

(١) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٠ .

المقرئى : الخطط ج١ ص ١٣٠

(٢) ابن العلقم : سير الالباء البطارقة م ١ ج٢ ص ٢٧٦

(٣) ابو المطاسم : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢١٥-٢١٦

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٩٠-١٩١ . ابن المطاسم : النجوم الزاهرة

ج٢ ص ٢١٦ .

ويقول ابن العلقم (م ١ ج٢ ص ٢٧٦) انه لما انتهى الى المأمون حل مصر وما فعله الثائرون بها بعث اليهم عسكريا بقيادة الافشين فقتل الذين نافقوا والخارجين عليه في شرقى مصر الى ان وصل الاسكندرية فأراد قتل اهلها لانهم مكثوا الثائرين من دخول المدينة .

ويبدو ان البشوريين كانوا قد تأسوا كثيرا من حال الخراج ما اضطرهم الى بيع اولادهم والعصا في الطواحين بدلا من الدواب فتقول الرواية القبطية : " واكثر النصارى البشوريين • كانوا يمدبون بعذاب شديد مثل بنى اسرائيل الى ان باعوا اولادهم في الخراج من كثرة المذاب لانهم كانوا يرمطوهم في الطواحين ويضربوهم حتى يطحنوا مثل الدواب • وكان الذي يمدبهم رجل يصرف (فيك) او (بغيت) وتمادت عليهم الايام واتقوا الى الموت • " (١)

وما لاشك فيه ان الظلم يولد الانفجار • وكان من الطبيعي - نتيجة لذلك - ان ينتفض البشوريون ويمتنعوا عن أداء الخراج المقرر عليهم • وكان من اكبر المواصل المشجعة لهم على ذلك طبيعة ارضهم • فلما نظرا هل البشوريين ان لهم موضع يخرجوا منه وموضعهم لا يقدر عسكر يسلكه لكثرة الوحالت فيه وما يصرف طرقهم الا هم فبدوا يناقون ويمتنعوا ان يدفعوا الخراج • واتفقوا وتآمروا على ذلك • " (٢)

ومعد ان انتهى الافشين من امر الوجه البحرى واخضع مدينة الاسكندرية • تفرغ للقضاء على ثورة البشامة ولكنه عجز عن التغلب عليهم فقد استصروا في حصانهم • وكتب الافشين بذلك الى الخليفة المأمون في بغداد • (٣) فلما علم المأمون بما وصلت

(١) ابن المقفع : سيرالاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ٢٧٦

(٢) نفس المصدر ص ٢٧٦ • وقد حزن البطرك انها يوساب لتمرد هؤلاء القوم لانهم في النهاية سوف يمجزون عن المقاومة • فكتب اليهم كتبا كثيرة يخوفهم فيهمسا ويردعهم عما هم متعادون فيه • الا انهم لم يكونوا يعطون ذلك اى اهتمام • ومع ذلك استمر ياتتهم ويستشهد لهم في كتبه ببعض الاقوال الماثورة مثل : " كل من يقاوم السلطان فهو مقاوم حدود الله • والذي يقاوم يدان ويذكر ابن المقفع انه لما وصلت كتب البطرك الى البشامة وثبوا على الاساقفة ونهبوا جميع ما معهم وأهانوهم كثيرا • انظر نفس المصدر ص ٢٧٧

(٣) ابن المقفع : سيرالاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ٢٧٧ - الكندي : السولة والقضاة ص ١٩١

اليه حال البشامة في مصر قدم اليها واصطحت بطرك انطاكيا انبا ديونوسيوس . (١)
ودخل المأمون مصر في المحرم سنة ٢١٧ هـ وسخط على الوالي عيسى بن منصور
وصاله وقال له : " لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتهم
الناس ما لا يطيقون وكتعنوني الخير حتى تفاقم الامر واضطرب البلد " . (٢)

ونحن نرجح ان المأمون اراد باصطحاب بطرك انطاكيا ان يعتمد على الاثر
الذي ينفذ على كل من بطرك انطاكيا و بطرك مصر على الثائرين . فيستجيبوا له
لما لهما من مكانة وحية لدى المسيحيين ورئاسة دينية عليهم . ولذا طلب المأمون من
البطركين التوجه الى هولاة الثائرين لتهدئة وعهم وارضائهم . وقال لهما : " ان ترضيا
الى هولاة القوم وتردعوهم كما يجب في ناموسكم ليرجعوا عن خلافهم ، ويطيعوا امرى ،
فان اجابوا فانا افضل منهم الخير في كل ما يطلبوه منى وان تمادى على الخسلافه
فنحن بعينين من دمائهم " . وتوجه البطرك ديونوسيوس والبطرك انبا يوساب الى
اهل البشورة وحاولا ارشادهم ونصحهم حتى يتخلوا عن صيانتهم ويضعوا حدا لتمردهم
ولكن بدون جدوى فقد اصر البشوريون على موقفهم من الحكومة الاسلامية . (٣)

فلما ادرك المأمون اصرار البشوريين على الثورة ارسل الافشين على رأس الجيش
لقتالهم ولكنه اخفق لحصانة موضعهم ، فخرج المأمون لقتالهم وحشد معه جميع من
يعرف طريقهم من اهل المدن والقرى المجاورة وترك كل قوته ضد هم حتى اضطربوا
الى التسليم فاعل الجند فيهم الحيف وأخربوا صاكنتهم ونهبوها ، واشعلوا فيها
النار ، وهدموا كتائبهم . (٤)

ويقول المقرئى : (٥) " فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية ، فبيحوا
وسبوا اكثرهم " . ومن حينئذ ذلت القبط في جميع ارض مصر ولم يقدر احد منهم بمعد

(١) ابن المقفع : سيرالاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ٢٧٨ . وميخائيل يسمى البشوريين

Biamayé انظر Chronique de Michel le Syrien, T.3/, fasc.1, P.67

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٢

(٣) ابن المقفع : سيرالاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ٢٧٩
Chronique de Michel le Syrien, T.3, fasc.1, PP.77-78

(٤) ابن المقفع : سيرالاباء البطارقة م ١ ج ٢ ص ٢٧٩

(٥) الخطاط ج ٤ ص ٣٩٦

ذلك على الخروج على السلطان وطلبهم المسلمون على عامة القسرى ، فرجموا
من المطاردة الى المكيدة ، واستعمال المكر والحيلة ، ومكيدة المسلمين ، وعملوا
كتاب الخراج

وقد لمنا عهد وراستنا لدور اهل الذمة في الحياة السياسية كيف كان الولاية
والخلفاء يتوسعون في استخدامهم في دواوين الخراج وما يتصل بها من الاعمال .
وخاصة في العصر الفاطمي . كما لاحظنا ان كثيرا من القبط كان عندما يصل
الى المناصب المرتفعة يعمد الى خدعة اخوانهم القبط واستخدامهم واحلالهم محل
الموظفين المسلمين .

ويمكننا ان نقول بحد ذلك ان الجزية والخراج وغيرهما من الضرائب المفروضة
على اهل الذمة كانت من اهم موارد الحكومة العربية في مصر . وكان اول من جنى
خراج مصر وجزيتها عمرو بن العاص وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وبلغ مقدار
ما جياه عمرو بن العاص اثنا عشر مليون دينار . (١) ويشير القرظي (٢) الى ان هذا
المبلغ جياه عمرو بن العاص من جزية الرؤس فقط دون الخراج . ولعل البلاذري (٣)
كان يقصد بصيارته " جنى عمرو خراج مصر وجزيتها الف الفى . ما جياه عمرو بن العاص
من الخراج وهو اثنا عشر مليون دينار .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والعرب ص ٢١٥

ابن زولاق : فضائل عمرو ورقة ٢٩ . ابن حوقل : صورة الارض ص ١٢٩ .
بينما يذكر اليمقوس (البلدان ص ٢٣٩) ان عمرا جياها في اول سنة اربعة عشر
مليون دينار ثم في السنة التالية اثنا عشر مليون دينار . وكان نصيب الاسكندرية
من هذا المبلغ ثمانية عشر الف دينار . انظر البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٢٥
وقول ابو صالح الارمني ص ٢٩ . ان هذه الجزية التي جياها عمرو بن العاص
من مصر والتي حطت الى دار الخلافة كانت من القبط فقط دون اليهود بمصر
واعمالها . والواقع ان هذا المبلغ الذي بحث بن عمرو الى المدينة كان بمسند
حين ما يحتاج اليه من النفقات المطية اذ كان يلزم مصر لخفر الخلدان واقامة
الجسور وبناء القناطر من الصال حوالي مائة وعشرين رجلا وغير ذلك من وجوه
الاتفاق . انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والعرب ص ٢٠٤

(٢) الخطط ج ١ ص ١٥٩

(٣) فتوح البلدان ص ٢١٧

وكان الخلفاء يبدون اهتماما عظيما بجباية مصر وقد ظهر ذلك بوضوح منذ السنوات الاولى للمصر في مصر . ويدلنا على ذلك الكتابات المتبادلة بين الخليفة عربين الخطاب وواليه في مصر عمرو بن العاص، ويجدر بنا الاشارة الى نص ما جاء في بعض هذه المكاتبات والواضح منها ان عربين الخطاب استتبأ عمرو بن العاص في ارسال الخراج فكسب يستمجله ويويخه على تأخره . فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد ، فاني فكرت في امرك والذي انت عليه ، فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة قد اعطى الله اهلها عددا وجلدا وقوة في بر وبحر وانها قد طالجتها الفراعنة علوا فيها عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فصجبت من ذلك واعجب مما عجبت منها لا تؤدى نصف ما كانت تؤدى من الخراج قبل ذلك على غير قحوط . ولا جدوب . ولقد اكرت في مكاتبتك في الذي على ارضك من الخراج . وظننت ان ذلك سيأتينا على غير نزر ، ورجوت ان تفيق فتفرج الى ذلك ، فاذا انت تأتيني بمسا ريش فتفاتها . لا توافق الذي في نفسي ولست قابلا منك دون الذي كانت تؤخذ به قبل ذلك من الخراج ولست ادري بعد ذلك ، ما الذي انفرك من كتابي وقهضك فلئن كنت مجزئا كافئا صحيحا ان البراءة لنافعة من ان كنت مضيفا نطقا . (١) ان الامر لم يلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت ان ابتلى ذلك منك في العام الماضي رجاء ان تفيق فتفرج لى ذلك . وقد علمت انه لم يضمنك من ذلك الا مالك عال السوء . وما توالى عليه . وطفف اتخذوك كهفا وضدى باذن الله دواء فيه شفاء عما اسألك عنه فلا تجزع ابا عبد الله ان يؤخذ منك الحق فتمطاه فان النهز (٢) يخرج الدر . والحق ابلج ودعنى وما عنى تلجلج فانه قد ببح الخفاء والسلام . (٣)

(١) نطف الرجل - اذا اتهم بريئة .

(٢) نهز الناقة : اى ضرب ضررتها لتقدر

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢١٣ - ٢١٤ . وقد تأثر عمرو بن العاص

بما جاء في هذا الكتاب وكتب الى الخليفة عمر يلوته " بسم الله الرحمن الرحيم .

لعبد الله عمرا امير المؤمنين من عمرو بن العاص سلم عليك فاني احمد الله الذي لا اله

الا هو ، اما بعد ، فقد بلغنى كتاب امير المؤمنين في الذي استتبأنى فيه

من الخراج والذي ذكر فيه من عمل الفراعنة قبلى واعجابك من خراجها طسسى

ايديهم ونقص ذلك منها منذ كان الاسلام . ولمصرى للخراج يومئذ اوفر . واكثر .

والارواح مصر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارضب في عمارة ارضهم منا منذ كان

الاسلام وذكرت ان النهز يخرج الدر فحلبتها حلبا قطع ذلك درها ، واكثرت

في كتابك وانبت وعرضت وشربت وطمت ان ذلك عن شىء تخفيه على غير خبير .

فجئت لمصرى المقطعات المقدسات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين

صارم بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله ولمن بعده قبلنا بحمد الله مؤدبين لا مانعنا

ثم كتب عمرو بن الخطاب الى عمرو بن العاص ثانية وقد جاء في كتابه هكذا :
 " من عمرو بن الخطاب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو . اما بعد ،
 فقد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بيئات الطريق . وقد علمت
 اني لست ارضى فعلا الا بالحق العبين ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك
 ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحصن سياستك فاذا اتاك كتابي هذا ،
 فأحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندى من تعلم ، قوم محصورون والسلام . (١)

وبعد عهد عمرو بن العاص زادت جباية مصر فقد بلغ خراج مصر في ولاية عبد الله
 ابن سعد بن ابي سرح اربعة عشر مليون دينار فاستحسن الخليفة عثمان بن عفان ذلك
 منه واستحضر الوالي السابق ، عمرو بن العاص ، واعلمه مقدار ما جابه عبد الله بن سعد ،
 وقال له : " يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول . فاجابه عمرو : أضرتهم
 بولدها " . (٢) ونفهم من هذا الحديث كيف كان الخليفة شديد الاهتمام بجباية مصر ،

ويصدق فيه قيلنا محاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجزاء على كل مأم
 فأقبض علك فان الله قد نزهني من تلك الطاعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك
 الذي لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا ، والله بابن الخطاب لانا حين يراد
 ذلك مني اشد لنفسي غصبا . ولها انزاهها واكروا . وما علمت من عمل ارى على فيه
 متملقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت . يفر الله لك
 ولنا وسكت عن اشياء كتبت بها طالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله عظم
 من حقتك ما لا يجهل . والسلام " . انظر نفس المصدر ص ٢١٤ - ٢١٥

(١) نفس المصدر ص ٢١٥ . وقد رد عمرو بن العاص على هذا الكتاب موضحا سبب
 تأخره فبنى ارسال الخراج . فكتب " بسم الله الرحمن الرحيم لعمرو بن الخطاب
 من عمرو بن العاص . سلام عليك . فاني احمد الله اليك لا اله الا هو ، اما
 بعد فقد اتاني كتاب امير المؤمنين يستبطنني في الخراج ويؤزم اني اغتد على الحق
 وانكبت على الطريق وانى والله ما ارفع عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني
 الى ان تدرك ظنتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من ان يحرق فيصيروا
 الى بيع ما لا غنى بهم عنه . ويضيف هذا الموضع الى ذلك ان عمرو بن الخطاب
 قد سأل بعض القبط عن خراج مصر وشأنه قبل الاسلام فأجابه بما جعل الخليفة
 يقبل اعتذار عمرو بن العاص عن تأخره في ارسال خراج مصر . انظر نفس المصدر
 ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ص ٢١٦ - البالدري : فتوح البلدان ص ٢١٧
 ابن زولاقي : فضائل مصر ورقة ٢٩ - وصغير ابن زولاقي الى ان هذه الزيادة
 في ولاية عبد الله ومصدرها انه زاد في الخراج المرسل الى الخليفة بينما انقص
 المؤن والنفقات المحلية .

ويحرص من جانبه على زيادته • ولكن الواقع ان خراج مصر قد نقص بعد ذلك ولم يصل طوال هذا العصر الذي ندرسه الى ما كان عليه في ايامه كل من عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن ابي سرح •

تشير بعض المصادر التاريخية الى ان نجابية مصر في عهد الوالي مسلمة بن مخلد كانت خمسة مليون دينار (١) • وانه ارسل منها الى الخليفة معاوية بن ابي سفيان • ستائة الف بعد ان ادى الى اهل الديوان اعطياتهم وازقاتهم وأداء رواتب الكتاب وغير ذلك من المصروفات كما ارسل ايضا القمح الى المدينة (٢)

ويرجع هذا النقص في خراج مصر الى عدة اسباب • اولها : تحول كثير من اهل الذمة الى الاسلام — بتعاقب السنين — وبالتالي اغنائهم من كثير من الالتزامات العادية التي كان يؤديها الذي وخاصة الجزية • مما كان يؤثر في خراج مصر ويراوداتها المالية • اما العامل الثاني فهو ان ولاية مصر في العصرين الاموي والعباسي كان كل ههمهم جمع ما يمكن جمعه من الاموال لارضاء الخليفة من ناحية وادخار ما يمكن ادخاره لانفسهم من ناحية اخرى • لقصر فترات توليهم الحكم فلم يحنوا بمطارة الاراضي • وما تتطلبه من اصلاح الجسور وحقن الترع والقنوات واقامة السدود • وغير ذلك من وجوه الاصلاح والتعمير • اما العامل الثالث فهو ما كانت تتعرض له البلاد من فتن وشورات داخلية • او حروب خارجية • تتطلب كثيرا من النفقات كما انها كانت تشغل الناس عن الاهتمام بأراضيهم واعمالهم • ومن ثم ينقص الدخل ويتمذر على المصريين أداء ما عليهم من الاعباء المالية •

ويقول المقرئزي (٣) بشأن تناقص خراج مصر ويراودها " وانحط خراج مصر • بعد هما — أي بعد عهد كل من عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد — لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخواب في اكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجيها بنى امية وخلقاء بنى العباس الا دون الثلاث ألف وما خلا ايام هفلم بن عبد الملك فانه وصى عبيد الله بن الجحاب عامل مصر بالمطارة • ذلك ان عبيد الله امر عامله بمسح الاراضي المصرية لتحديد مساحة الاراضي العامرة الصالحة للزراعة من الاراضي الغامرة او بمعنى آخر البور • وما تووييه مياه النيل من هذه الاراضي • كما انه اصلى كثير من الاراضي وعمل على تقويمها وتمكن

(١) اليمقوي : البلدان ص ٢٢٩ ويشير الى ان هذا المبلغ كان من خراج الارض والجزية •

(٢) المقرئزي : الخطوط ج ١ ص ١٢٧

(٣) الخطوط ج ١ ص ١٥٩

نتيجة لهذه العمارة من جباية خراج مصر اربعة ملايين دينار. (١)

وتلاحظ نقص خراج مصر كثيرا في نهاية العصر الاموي ، فقد بلغ ما أرسله والى مصر الى دمشق في عهد الخليفة الاموي مروان بن محمد بمقد خصم النفقات والمطالبات الداخلية ما تقي ألف دينار. (٢)

وبلغ خراج مصر في خلافة المهدي العباسي في سنة ١٦٦ هـ حوالي مليون وثمانمائة وثمان وعشرين ألف وخمسمائة دينار. (٣) ثم زاد في خلافة هارون الرشيد وولاية موسى ابن عيسى فبلغ مليونين ومائة وثمانين ألف دينار. (٤) وما لاشك فيه ان هذه المبالغ كانت تحمل الى بغداد بمقد استقطاع ما تتطلبه النفقات المحلية فكان مجموع ما جباهاه موسى بن عيسى من الجزية والخراج اربعة مليون دينار. وقد استمر خراج مصر بمقد ذلك ثلاثة ملايين دينار. (٥) وان كانت بعض المصادر تشير الى ان خراج مصر بلغ في عهد الخليفة المأمون اربعة مليون ومائتين وسبعة وخمسون ألف دينار. (٦)

(١) المقرئى : الخطاط ج١ ص ١٥٩ وتشير بعض المصادر الاخرى الى ان جباية مصر في ولاية ابن الجيظ كانت مليونين وسبعمائة الف وثمان مائة وسبعة وثلاثين دينار (٢٧٠٠٨٣٧) دينار ، وما لاشك فيه ان هذه المصادر تقصد بهذا المبلغ ما أرسله ابن الجيظ الى دمشق بمقد اعطاء الرواتب والنفقات المختلفة على المرافق والعمارة . انظر : ابن رسته : الاطلاق النفيسة ص ١١٨ . ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٨٣-٨٤ . ويشير البلاقرى الى ان نصيب الاسكندرية من هذا المبلغ كان حوالي ٦٢٠ الف دينار . انظر فتوح البلدان ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ ابو صالح الارضى ص ٢٥

(٣) نفس المصدر ص ٣١

(٤) ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص ٧٦ . ابن رسته : الاطلاق النفيسة ص ١١٨

(٥) اليقوسى : البلدان ص ٣٣٩

(٦) المقرئى : الخطاط ج١ ص ١٣٠ - وفي مصر المأمون كان اهل تنيس يلزم كل واحد من اهل الذمة بدفع خمسة دنانير جزية دون فرق بين غنى وفقير . فجعل امير مصر عبد الله بن طاهر الجزية مستويات ثلاث تتناسب وحالة كل ذمى من الفنى والفقير .

انظر : Chronique de Michel, T.3, Fasc.1, P.64 et Quatremere: Memoires Geographiques et Historiques..., T.T., P. 221.

وفي عهد الامراء الطولونيين ، زاد خراج مصر عما كان عليه قبل ذلك العصر ، وترجع هذه الزيادة الى اهتمام الامراء بممارسة الارض وتحسين المحصول . فقد تعلم احمد ابن طولون اراضى مصر من احمد بن محمد بن مبر وقد اصابها الخراب ونقص خراجها كثيرا . فاهتم ابن طولون بتعميرها حتى بلغ خراج مصر اربعة ملايين وثلاثمائة الف دينار ونقصت جباية مصر عن هذا القدر قليلا في امانة ابنه خمارة فجبى اربعة ملايين دينار^(١)

اما في عهد الامراء الاخشيديين فقد نقص خراج مصر عن ذلك كثيرا وبلغ فى عهد كافور الاخشيدى ثلاثة ملايين ومائتين وسبعين الف دينار . وكان هذا المبلغ اقل كثيرا من الاموال المطلوبة للنفقات المحلية .^(٢) وقد ساهمت الفيوم وحدها فى جملة هذا الخراج بستمائة وعشرين الف دينار .^(٣) وساهمت فيه الاديرة وحدها (فى كورة الفيوم) بحوالى خمسمائة دينار . وكان عدد الاديرة المؤدية لهذا الخراج عن اراضيها خمسة وثلاثون ديورا .^(٤) بينما زاد الخراج عن ذلك قليلا عندما تم للفاطميين فتح مصر ، فجباها اقل من جواهر السقلي فى سنة ٣٥٨ هـ . ثلاثة ملايين واربعمائة الف دينار . وربما كانت هذه الزيادة راجعة الى زيادتهم الضريبة النقدية على الفدان اذ انه فى هذا العام جباها جواهر سبعة دنانير عن الفدان الواحد . بينما كان المصريون يؤدون قبل ذلك عن الفدان ثلاثة دنانير ونصف وربما زاد او نقص عن ذلك قليلا .^(٥)

- (١) المقرئى : الخطط ج ١ ص ١٥٩
 (٢) ابن المقفع : سير الالباة البطاركة م ٢ ج ٣ ص ٢٢٤ - تاريخ ابو صالح ص ٣٩ - ٣١
 (٣) تاريخ ابو صالح ص ٢٤
 (٤) نفس المصدر ص ٢٤ - والواضح من الروايات التاريخية ان خراج هذه الاديرة لم يتغير فى ذلك العصر عما كان عليه فى عصر الولاة الامويين . اذ كان خراج هذه الاديرة فى خلافة هشام بن عبد الملك وولاية ابو القاسم بن عبد الله نفس المبلغ (خمسمائة دينار) - انظر : ابن المقفع : سير الالباة البطاركة م ١ ج ٢ ص ١٦٣
 (٥) ابن حوقل : صورة الارض ص ١٥٢ - المقرئى : الخطط ج ١ ص ٣٢٢ . بينما كانت الجزية اربعة دنانير و سدس للموسرين بينما يدفع المتوسط الحال . دينا و سمن وقيراطين ومن دون ذلك دينا وثلث وربع وحبطين ويضاف الى كل طبقة د رهمين وربع للموظفين القائمين بالتحصيل وهذه المستويات الثلاثة منذ خلافة الحافظ ووزارة رضوان بن ولخشى ويبدو انها استمرت كذلك حتى عهد الايوبيين . انظر ابن المقفع : سير الالباة م ٣ ج ١ ص ٣١ . ابن ماضي : قوانين الدواوين ص ٣١٨ - ٣١٩ . حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٥٤٩

نستخلص من دراستنا هذه وجود عديد من الضرائب التي يلتزم بها الذي فسى
مصر الاسلامية فنجد الى جانب الجزية والخراج ضرائب لتغطية الاحتياجات الرسمية والاعباء
الغير اعتياد يقضية المسلمون وازاتهم وكسوتهم وضرائب لتغطية نفقات الموظفين المحليين
وضرائب على التجارة الداخلية والخارجية وتسمى المكوس . وكان يقوم بتقدير هذه الضرائب
اشخاص معينون من القرية نفسها او الكورة . ويكتبون بذلك سجلات ، ترسل الى ديوان
الخراج الرئيسى فى العاصمة المصرية بناء على تعليمات وارادة منه قبل القيام بهـ هذا
التقدير . ثم بعد ذلك يرسل الى الخراج امر طلب بجباية الضرائب المقررة لكـ
قرية او قسم من الكورة ، فيقوم موظفوا ديوان الخراج المحلى بجبايتها وعمل قوائم
باسماء الافراد وتقدير ما دفعه كل منهم .

ونلاحظ انه لم يكن هناك حصة معينة من الضرائب النقدية او العينية تلتزم بها
كل قرية او كورة وانما كان اساس الضرائب فى مصر آنذاك القوم . وعليه كان مقدار الضرائب
يختلف من مكان الى آخر حسب عدد السكان وحالتهم وساحة الاراضى المزروعة ، وكان
يعفى من الجزية بعض الفئات من اهل الذمة وهم : النساء والاطفال والشيوخ والفقراء
والماجرين والرهبان وان كان هؤلاء الـرهبان قد ألزموا فى بعض الفترات المحدودة
بأداء الجزية كما انه كان يعفى من الجزية دون الخراج كل من يمتنع الاسلام
من اهل الذمة وان كان كثير من الولاة قد حرصوا ان يدفعها الذى الذى اسلم
حتى لا يضر ذلك ديوان الخراج ومالية البلاد .

وقد افادتنا كثيرا من أوراق البردى اليونانية والمصرية فى توضيح نظام الضرائب
المفروضة على اهل الذمة ومقدارها . وكيفية جبايتها . وان كان اكثر هذه البرديات
خاص بالقرن الاول الهجرى . او بعضى آخر بمصر الولى قره بن شريك بصفة خاصة .
كما نلاحظ ان ما جاء فى اوراق البردى من معلومات يتفق كثيرا مع ما جاء فى المصادر
الفقهية والتاريخية .

ونستخلص ايضا من دراستنا للضرائب المفروضة على اهل الذمة فى مصر
واثرها فى الموارد المالية للبلاد وان اهم هذه الضرائب كانت الجزية والخراج كما
ان اهل الذمة قد قبلوا ادائها فى بداية الامر وسلموا بها دون مقاومة او مطالبة

للاقتناع من ادائها • ولكنهم امام زيادة الاعباء العالمية المتوالية عليهم عمدوا الى المقاومة السلمية في بداية الامر والهروب من منطقة الى اخرى مستغلين من دفع الضرائب المقررة • الا ان ولاة مصر فطنوا لذلك • وطولوا جاهد بين وضع حد لحركة الاقباق والقضاء عليها ثم بدأ القبط منذ سنة ١٠٧ هـ المقاومة العلنية الدموية ضد عمال الخراج وجباة الضرائب • الا ان ثورات القبط التي استمرت اكثر من قرون من الزمن كانت سرعان ما يقضى عليها • وكان بعد آخر ثورة لهم في سنة ٢١٦ هـ • وبعد القضاء عليها سنة ٢١٧ هـ لم يمد القبط يقومون بلأى محاولة للانقراض والثورة وأصبح الذميون اقلية في مصر فعمدوا الى وسائل المكر والدهاء • ولجأ امراء مصر وخلفائها الى استخدام الذميين في ديوان الخراج وغيره من الاعمال • فصاروا يهودون ما عليهم من الجزية والخراج وغيرها من الضرائب كما تتطلب منهم طوال تاريخ مصر الاسلامية حتى نهاية العصر العنقباطي •

الباب التاسع

مظاهر التمريب

وأثاره في الحياة الفكرية

- ١- تمريب الدواوين وأثره في انتشار اللغة العربية في مصر
 - ٢- أثر التمريب في قيام المدرسة العلمية الاسلامية
 - ٣- دور الذميين المصريين في الحياة الفكرية العربية
 - ٤- دور الصطبة والتابعين والقضاة في التمريب في النهضة
الفكرية
 - ٥- دور الموالى في النهضة العلمية
 - ٦- أثر التمريب في ظهور الفكر الصوفي ودوره في الحياتين
المياسية والاجتماعية في مصر
 - ٧- دور التمريب في نهضة الدراسات اللغوية والنحوية
 - ٨- ديوان الرسائل ودوره في تدعيم التمريب في مصر الاسلامية
-

١- تعمير الدواوين وأثره في انتشار اللغة العربية

فسي

كانت مصر إحدى الأمم القليلة التي تخلت نهائياً عن ماضيها الوطني ، وعن لغتها القديمة ، ومرت بنفسها في أحضان الإسلام والمدينة الإسلامية * . وأخذت تندمج في مجموعة الشعوب العربية . (١)

يقول اسرافيل ولفنسون * ان أول عهد المصرية باللغة العربية يبدأ من ذلك اليوم الذي تم فيه لعمرو بن العاص فتحها . فلما تم للمعرب فتح مصر ، بدأت اللغة العربية تنتشر ولكن بصعوبة وطأ * . (٢) إذ لم يكن من الطبيعي ان تظل لغة العرب وثقافتهم بناءً على أهل البلاد ، بعد ان ساد العرب البلاد حربيًا وسياسيًا وبعد الفتح العربي كانت اللغة العربية في أول الامر في حيز محدود في مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار ان يختلطوا بالفاتحين وان يمزجوا لغتهم وكان لهذا الاختلاط بين الطرفين طرقًا متعددة ، ومن ذلك انه بالرغم من اختطاط الجند العربي بالفسطاط إلا ان هؤلاء لم يقيموا بصفة دائمة فيه ، فكانوا يتحركون في البلاد ويخرجون الى الرسف في كل ربيع . تقول الرواية التاريخية (. . .) كان عمرو بن العاص يقول للناس اذا قفلوا من غزوه : انه قد حضر الربيع فمن احب منكم ان يخرج بفرويه بريمة فليفعل . وفي موضع اخر كان عمرو بن العاص يخطب في الناس قائلاً : يا معشر الناس انه قد تدلت الجوزا * . واذكت الشمري وأقلعت السماء وأرفع الوباء . وقل الندى وطاب المرعى . فحس لكم على بركة الله الى ربكم فقالوا من خيروه ولبنه وخرافه * . واستوصوا بمسا جاورتموه من القبط خيرا * . (٣) ولم يقف الامر عند هذا فتحة عامل آخر ادى الى تقارب العرب بالمصريين وهو ما فرضته شروط الصلح بين عمرو بن العاص وحاكم

(١) زكي محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية ص ٢٤٠ د . سيدة كاشف : مصر في فجو الاسلام ص ٢٣٢

(٢) اسرافيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٢

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها (طبعة تورى) - ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٧٣

مصر • فقد اشتد واجب الضيافة على اهل البلاد للجند المسلمين الذين يهيمون في البلاد (وهو ان للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا • ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم) • (١) ولاشك ان هذا الاختلاط قد اتاح للطرفين تبادل الافكار واللغات ويبدو ان بعض المصريين كانوا قد اتقنوا اللغة العربية وتشير بمضالم الصادق الى ان " اول نقل في الاسلام من لغة الى لغة هو نقل كتب الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي لخالد بن يزيد بن معاوية على يد جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وتفق بالعربية " • (٢) • على ان ارتباطات حركة التعرف بمصر بدأت في عهد الوالي الاموي عبدالعزیز بن مروان (٦٥ : ٨٦ هـ) • ذلك • انه اراد ان يتعرف حقيقة العلاقات التي كانت بين بطركية مصر وبين الجبشة والنوبة على اثر ما كتبه البطرک الى ملكي الجبشة والنوبة ليزيل سوء التفاهم الذي كان بينهما لان قوما من اهل السمايات وشوا بالبطرك لدى عبدالعزیز حتى ساء ظنه به " • (٣) ويذكر ساويرس ابن المقفع " ان الاصحاح بين عبدالعزیز بن مروان كان يولي كثيرا من امور مصر في ولاية ابيه وكان يصحب شامسا اسمه بنيامين كثيرا ما كان يطلع على اسرار النصارى حتى انه تزوج له الانجيل باللفظة العربية " • (٤) وعدة كتب بنية اخرى • وذلك ليصرف المسلمون اذا كان في هذه الكتب ما يمس الدين الاسلامي بسوء " • (٥)

-
- (١) ابن عبدالحكم : السابق ص ٢٠ — المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٩٢ —
السيوطي : حسن المضطرة ج ١ ص ٥١
- (٢) ابن القديم : الفهرست ص ٥١١ — ٥١٢
- (٣) ساويرس : سهرالاباء البطاركة م ١ ج ٢ ص ١٤٣ — سيدة كاشف :
مصر في فجر الاسلام ص ١٢٨
- (٤) ساويرس : السابق م ١ ج ٢ ص ١٤٣ — صرتشو : تاريخ الامم القبطية
ج ٢ ص ١٦٢ — سيدة كاشف : السابق ص ١٢٨
- (٥) ساويرس : السابق ج ٢ ص ١٤٣

ولكن الترجمة ملين القبطية الى العربية كانت تهدف الى التعرف على ثقافة المصريين وحضارتهم وطرق تفكيرهم * (١) كما كان ما قام به الاصبح من ترجمة هذه الكتب مقدمة لسيادة اللغة العربية وجعلها لغة رسمية في البلاد فعملا بمبدأت في خلافة عبد الملك بن مروان حركة التنظيم والتعديل * وعلى حد تعبير المؤرخين العرب * فعند عبد الملك الى صبح الدولة بصيغة عربية * الى الاعتماد على الموظفين من العرب او الذين يتقنون العربية من اهل البلاد المفتوحة وكما امر عبد الملك في سنة ٦٧ هـ بضرب نقود عربية بدلا من النقود الفارسية والبيزنطية التي كان يتداولها الناس حتى زمنه نراه يتجه الى تمريب لخط الادارة والحسابات وكانت الدواوين تكتب بلغات البلاد المحلية * وكان كل اعتماد العرب على اهل البلاد المفتوحة * او على المبرور الذين بقوا في مصر والشام فكانت الدواوين تكتب باليونانية والقبطية * (٢) فقد كانت الحكومة تستخدم اللغة اليونانية بينما كانت السلطات المحلية في الريف تكتب كثيرا بالقبطية * (٣) وهكذا لم تكن الدواوين تكتب بالقبطية فقط كما يذكر بعض المؤرخون القدامى * (٤) فهناك اوراق بردي ذات صيغة رسمية ويرجع تاريخها الى عهد الوليد نفسه * دونت باللغتين اليونانية والعربية معا * منها بردية يرجع تاريخها الى سنة ٨٦ ق تتضمن مرسوما صادرا من والي مصر عبد الله بن عبد الملك * (٥) وكانت عملية تمريب الدواوين عملية طويلة بدأها عبد الملك بن مروان وسار الوليد بن عبد الملك على سياسة ابيه * ففي عهد الوليد نقلت دواوين العراق الى العربية * (٦) كما

(١) سيدة كاشف : تعريف مجتمعات الاسكندرية — مقال بمجلة كلية الاداب — جامعة الاسكندرية ١٩٧٣م ص ١٩٧ — سيدة كاشف : عبد العزيز بن مروان ص ١٤٣

(٢) سيدة كاشف : الوليد بن عبد الملك ص ١٨٤ — ١٨٨

(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٣٠٥ — وما ذكرته من الوثائق البردية *

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ٥٨ — ٥٩ — القرظي : الخطط ج ١ ص ٩٨

ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٠

(٥) جروهان : اوراق البردي العربية ج ١ ص ٢٥ — ٢٦

(٦) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٨ — القرظي : الخطط ج ١ ص ٩٨

استعملت العربية في دواوين الشام سنة ٨١ هـ (١) وفي مصر نرى الوليد بن عبد الملك يأمر والده على مصر عبد الله بن عبد الملك (٨٧ هـ / ٧٠٦ م) بتدوين الدواوين باللغة العربية. (٢)

وقد كان الدافع القوي وراء تعمير الدواوين وهو توسع خبرة العرب واستقرار الدولة وتطورها ، وازدياد خبرة العرب بفنون الكتابة وتأكيد سياسة الدولة العربية وسيادة اللغة العربية التي سار عليها بنو أمية . يقول ابن خلدون (٠٠٠٠) لما كانت خلافة عبيد الملك بن مروان استحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة الى رونق الحضارة ومن سداجة الامية الى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة فسي الكتابة والحساب فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهد ان ينقل دواوين الشام الى العربية فأكمله لسنة ٠٠٠٠٠ ووقف عليه ما سرجويه كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم (٠٠٠٠) . (٣)

وقد ادت عملية تعريب الدواوين في مصر الى نقل كثير من المصطلحات اليونانية والقباطية الى العربية ومن ثم صار للعرب السيادة اللغوية الى جانب السيادة السياسية والحربية . وبدأت تنتشر اللغة العربية في جميع المدن والقرى المصرية واصبحت لغة الادارة والحكم وبالتدريج صارت بعد ذلك لغة الثقافة ولغة التخاطب ، فضلا عن انها لغة السياسة والدين " (٤) . والملاحظ ان تعريب الدواوين لم يقض

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٠١ - ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع والثلاثون ص ٢٤٤

(٢) الكندي : الولاية والقضاء ص ٥٨-٥٩ - المقرئ : الخطط ج ١ ص ٩٨
ابو المطسن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٠ - سيده كاشف : الوليد بن عبد الملك ص ١٨٦

(٣) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع والثلاثون ص ٢٤٣-٢٤٤

(٤) سيده كاشف : عبد العزيز بن مروان ص ١٤٥ - الوليد بن عبد الملك ص ١٨٤

نهائيا على استخدام اليونانية في كتابة الوثائق الرسمية • فكان من الضروري ان يكون هناك فترة انتقال يتم بعدها توقف استخدام اللغة اليونانية في الاعمال الرسمية • فقد استمرت اللغة اليونانية تدون بها الوثائق الى جانب العربية ويوجد ذلك بمسـفـسـ الوثائق المكتوبة بين سنتي ٨٦ هـ ٩٦٥ هـ • (١) • وهناك بردية مؤرخة سنة ١٣٧ هـ - ١٤٠ هـ (٢٥٤/٢٥٧ م) تتضمن تظلم بعض القرى المصرية من عمال الضرائب - كتبت باللغات الثلاث : القبطية واليونانية والعربية • (٢) وتشير اوراق البردى المصرية الى ان اللغة القبطية كانت تستخدم في كتابة بعض الوثائق في مصر الاسلامية وكانت تاتى في المرتبة الثالثة بعد اللغتين العربية واليونانية • (٣)

على ان اهم عوامل تمزيب مصر هو نزول القبائل العربية في الريف المصرى واستقرارها على جانب الشريط الخصيب بوادى النيل وفى الكلتا مما أدى الى اختلاطهم بالاقباط اختلاطا كبيرا ومن ثم الى انتشار اللغة العربية في مصر والسى تمزيب البلاد • (٤) ذلك لان الريف المصرى جامع الشعب كله •

وكان أغلب النولاء الذين علموا مصر يصحجون منهم - بمرضا عربية حتى نهايـة العصر الاموى او عربية ومن شعوب اخرى غير العرب كالخراسانيين والأتراك فى العصر المباسى • او ييمت بهم الخلفاء لتميز الجند واستيطان البلاد • (٥) وكانت نتيجة ذلك ازدياد اعداد القبائل العربية فى مصر وما يدل على ذلك اعادة تدوين الديوان ثلاث مرات فى فترات متقاربة • منذ ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر ٤٣ هـ حتى

(١) جروهان : اوراق البردى العربية جا طراز ٦ ص ١١ - طراز ٦١ ص ١٣ هـ طراز ٦٢ ص ١٤ هـ طراز ٦١ ص ٢٠

(٢) جروهان : اوراق البردى العربية جا ص ٦٢ : ٢٠

(٣) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام المباسى جا ص ٤٥١ - ٤٥٢ جروهان : اوراق البردى العربية جا الطراز رقم ٤ ص ٤١ - الطراز رقم ٦١ ص ١٣ - الطراز رقم ٦ ص ١١

(٤) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤

(٥) المرجع السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢

عهد بشر بن صفوان سنة ١٠٢ هـ . (١)

وفي خلافة هشام بن عبد الله بن عبد الملك حدث تطور في تاريخ القبائل العربية في مصر . ذلك ان عميد الله بن الجبظ عامل خراج مصر وفد على الخليفة في سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م . وسأله ان ينقل الى مريبيوتا من قيس أو عرب الشمال وكانسوا اقلية بها فاذن له الخليفة بترحيل ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على الا ينزلهم بالقسطاط . فقدم بهم ابن الجبظ وانزلهم الحوف الشرقي وقرعهم فيسه وحين توفي هشام بن عبد الملك ١٢٥ هـ / ٧٤٢ م كان ببليبيس الف وخمسة اهل بيت من قيس . (٢)

وقد تخلى العرب عن سياسة الترفع عن الاختلاط بالاهالي وعن الاشتغال بالزراعة في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك . وقد ساعد وجود العرب في القسرى واشتغالهم بالزراعة على الاختلاط بالاهالي وكان لهذا الاختلاط اثره في انتشار الاسلام بمصر نتيجة للتزواج او للموالاة بينهم وبين اهالي البلاد . (٣) ويشير القرظي الى تحول العرب الى سكنى الريف ويوضح الاثر الكبير الذي احدثه هذا التحول في انتشار الاسلام . فيقول مانصه (. . . .) فانظر ما كان عليه الصحابة وتابعوهم عند فتح مصر من قلة السكنى بالريف . ومع ذلك فكانت القرى كلها في جميع الاقليم اعلاه واسفله ملوّه . بالقبط والروم . ولم ينتشر الاسلام في قرى مصر الا بعد المائة من تاريخ الهجرة عندما انزل عميد الله بن الجبظ وسولى سلول قيسما بالحوف الشرقي فلما كان في المائة الثانية من سنى الهجرة كثر انتشار المسلمين بقرى مصر ونواحيها . (٤)

(١) ابن عبد الحكم : فتح مصر ص ١٠٢

(٢) الكندي : الولاة وكتاب القضاء ص ٢٦-٢٧ . القرظي : الخطط ج ١ ص ٨٩

(٣) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٤

(٤) القرظي : الخطط ج ٢ ص ٢٦١

وقد كان نتيجة الاختلاط امتزاج الفاتحين العرب بالمصريين الاقباط في المدن والقرى ، ولعل في اباحة الاسلام لمثل هذا الزواج كان المشجع الاول للعرب على الاقدام عليه ما كان له اثر في الامتزاج الجنسي ، قال تعالى : (اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتوهن اجورهن محسنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين) (١) وبذلك احل زواج المسلم العربي بالكتابية المسيحية المصرية ، ومن ثم كان الاقتداء بالرسول (صلعم) بزواجه من مارية القبطية وما اثر عنه من احاديث في هذا الصدد منها : " اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما " (٢) ونفس خلافة المعتصم بالله العباسي ثم اندماج العرب بالمصريين ، فقد حدثت تفييحات جوهرية في اجناس الجند واجناس الولاة ايضا فقد ظهر منذ بداية عهد الدولة العباسية المنصر الفارسي والمنصر التركي الذي استكثر منه الخليفة العباسي المعتصم " فلما بويغ بالخلافة (٥٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) - ارسل الى واليه على مصر كيدر نصير ابن عبدالله يأمره باسقاط من في ديوان مصر من المبريطق المطاء عنهم ، ففعل ذلك " (٣) وكان من اثر هذا ان انتشر العرب في أرجاء مصر من اقاصها الى اقاصها يلتصقون البرق وسعون ورا القوت عن طريق اخر غير الجندية والحرب " فنزل منهم الكثيرون بأرياف مصر واستوطنوها واتخذوا الزرع معاشا وكسبا ، وانقاد جمهم (٤) القبط الى اظهار الاسلاموا اختلطت انسابهم بانساب المسلمين لنكاحهم المصلمات " كما احترف منهم من احترف التجارة والصناعة وغير ذلك من الاعمال التي كانت

(١) سورة المائدة الاية ٥

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٨ - ابن عبد الجم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٨٦

(٣) الكندي : الولاة والقضاء ص ١٩٢ - المقرئى : الخطط ج١ ص ٩٤

(٤) المقرئى : الخطط ج١ ص ٨٢ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٩

كانت وقتها على أهل البلاد المصريين * . ويعتبر هذا التاريخ نقطة تحول في تاريخ مصر الاسلامية . ويمكن اعتباره بداية لظهور المجتمع المصري المصري الاسلامي * فبمسد ان كان العرب يمهشون في نطاق ضيق وكان تأشيرهم ضعيل ، أصبحوا منذ ذلك الوقت يخططون بالمصريين اختلاطا كاملا ويمتزجون بهم ما كان له اثره في خلق مصر العربية الاسلامية من الفواحي السياسية والاجتماعية واللفوية والادبية وبمرور الوقت ترك العرب الانتساب الى قبائلهم ولافتخار بأصولها والانتساب الى الجهة أو الاقليم الذي عاش فيه الشخص منهم * ففي شواهد القبور التي اكتشفت في مقابر اسوان والفسطاط كان اسم الميت يتبع باسم قبيلته في خلال القرنين الاولين للهجرة ولكن في خلال القرن الثالث الهجري نجد ان اسم القبيلة قد حل محله اسم الجهة أو الاقليم الذي ينتمى اليه المتوفى * (١) فترى ان شاهد قبر ابن لهيعة المحدث الشهير كان مكتوبا عليه (بسمه هذا ما يشهد به عبدالله بن لهيعة الحضري المتوفى ١٧٤هـ) (٢) وكذلك (عبدالرحمن بن يحيى المعافري المتوفى ١٩٠هـ) (٣) وفي القرنين الثالث والرابع نجد الانتساب الى الجهة أو الاقليم واضحا فهناك شاهد قبر (يوسف بن مسراد الحضري المتوفى سنة ٣١٠هـ) (٤) وشاهد قبر (زينب ابنة عيسى المدني المتوفى ٣١٦هـ) (٥) كما صار يكتب فلان المصري أو الاسواني أو الادفوي وهذا يدل على انه في القرن الثالث الهجري أصبح العرب في مصر لا يتميزون عن أهل البلاد * ولم يكن هناك بعد قرار الممتص ما يحدد عليه العرب من نسل الفاتحين والقبائل العربية الوافدة الى مصر فأختلطوا بالمصريين وكان هذا الاختلاط ما قسوى عروبة مصر فتعرب المصريون وتعرب العرب * (٦)

(١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٩ - وما ذكرته من مصادر

(٢) Wiet (G.): Catalogue Général du Musée Arabe du Caire. Steles Funéraires. Vol. I, P. 2.

(٣) Wiet (G.): Op. Cit. Vol. I, P. 13.

(٤) Wiet (G.): Op. Cit. Vol. V. P. 5.

(٥) Wiet (G.): Op. Cit. Vol. V. P. 2.

(٦) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٢٩ - ٢٣٠

ومن العوامل البارزة في تحريب مصر ايضاً انتشار الدين الاسلامي ، فقد كان

يجب على من يعتنق الدين الاسلامي ان يتعلم اللغة العربية حتى يمكنه قراءة القرآن واداء الصلاة وانما كان انتشار اللغة العربية ابطاً من انتشار الدين الاسلامي . (١)

وكان التسامح في الدعوة اليه واضط كما تشير الآية (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) . (٢) " ولذلك لم يكره أحد عليه بالسيف واللسان " . (٣) وقد اخذ الدين الاسلامي ينتشر تدريجياً كلما تقدم الصهد بالمرب فيها على انه وجدت هناك فترات معينة كان التحول فيها الى الاسلام بكثرة . وكان هذا تحت ظروف وعوامل نشأت من جراء سياسة الخلفاء وولاتهم المنفذين لتلك السياسة . ومن أبرز هذه العوامل (الرغبة في التخلص من الجزية التي كان يدفعها الذميون نتيجة بقائهم على دينهم ، وكانت الجزية سبباً في اسلام كثير من الاقباط الذين أرادوا التخلص منها) (٤) وكانت موجات الداخلين في الاسلام من القبط تتابع وشهد النصف الاول من القسرين الثالث الهجري (التاسع الميلادي) انتشاراً واسماً للاسلام في مصر حتى اذا كانت امارة احمد بن طولون على مصر سنة ٢٥٤ هـ . كان اكثر صيحي مصر قد تحولوا الى الاسلام . وصار المسلمون يكونون الاغلبية المظن بين سكان مصر وصار أهل الذمسة اقلية قليلة . ومن ثم اخذت الصبغة الاسلامية نتيجة لذلك تشكل المجتمع المصري وتطبعه بطابعها في العادات والتقاليد ، وفي الحياة الاجتماعية بصفة عامة . (٥)

(١) سيدة كاشف : السابق ص ٢٣٠

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) دي كاستري : الاسلام خواطر وسوانح ص ٤٩ ، سيدة كاشف : مصر قس فجر الاسلام ص ١٩٧ .

(٤) سيدة كاشف / مصر في فجر الاسلام ص ١٩٣ - بقلر : فتح الحرب للمصر ص ٣٤١

D. Zaki Hassan: Les Tulunides. P. 216.

(٥) حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ص ٥٤

ولذلك لم تعد الجزية من أهم موارد بيت المال منذ عصر الطولونييين ومن جاء بعدهم من الحكام المسلمين لتناقص عدد من كان يؤديها آنذاك ، مما كانوا عليه في عصر الولاة ، وصارت موارد البلاد تعتمد الى حد كبير على خراج الارض الذي كان يؤديه الذي المحفظ بدنه والذي الذي احتق الاسلام وتطور نظام جباية الخراج في مصر واتبع نظام قبالات الراضى * (١) والى جانب ذلك لا يمكن ان نخفل لمن كثيرا من المصريين احتنقوا الاسلام عن عقيدة وايمان واسخن * (٢) وقد أخذ الاسلام ينتشر بصورة واضحة في القرن الثالث الهجرى ما كان له أعق الاثر في الاسواق نحو التمريب * يقول يوهان فك * ان تمريب مصر تم بصورة أسرع وأعق من العراق * ففي القرن الثامن كانت قبائل عرب الفصال قد هاجرت اليها وفق نظام مرمع كما يبدو ان تكاثر الدخول في الاسلام قد ازداد بقوة في نفس الوقت بعد ان كان لا يتقدم في القرن الاول الا في حدود معتدلة ، وحيث رجحت كفة العربية في القرن الثالث * (٣)

ويذكر اسرائيل ولفنسون * ان من أهم الاسباب التي أدت الى تد هسور اللغة القبطية احتناق كثير من العناصر المصرية للدين الاسلامي فكثرت جمسوع المسلمين في مصر وأشدت تأثير العصبية العربية التي كانت من اهم اغراضها التي تسعى للوصول اليها بهمة ونشاط نشر اللغة العربية في جميع انطء البلاد ، وتمييم استعمالها بين كل الطبقات * (٤)

وهكذا مهد الاسلام تمهيذا كبيرا للغة العربية * لان انتشاره قد تسدين انتشار اللغة العربية في الزمن * وكان المسجد الاسلامي مركزا للاسماع الفكرى والثقفى الى جانب كونه مقرا للمبادء * (٥)

-
- (١) القريزى : الخطط ج١ ص ٨٢
 - (٢) ارنولد : الدعوة الى الاسلام - ترجمة د * حسن بواهم حسن ص ٢٥
 - (٣) يوهان فك : المصرية - ترجمة د * عبد العظيم النجار ص ٢٢
 - (٤) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات العاصم ص ٢٢
 - (٥) طى حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الاسلامية ص ١٥٤

وقد أشاد بعض المستشرقين بأهمية المسجد كمركز لنشر اللغة العربية والفكر العربي الاسلامي فيقول اسراييل ولفنسون (انه يرجع تثبيت قدم العربية فسي صرالى توطيد دعائم الملك والجاه الاسلامي في عهد الدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية وساعد المعهد الدينى الاكبر (الازهر) على نشر الفصحى بين طبقات رجال الدين) . (١)

وهكذا تضافرت العوامل السابقة من اعتنائى الدين الاسلامى - وتعمير مسجده والداوين ٨٧ هـ / ٧٠٥ م ، فضلا عن هجرة القبائل العربية واستقرارها بمصر ونزولها بالريف واختلاطها بالاهالى - تضافرت جميعها فى نشأة صر العربية الاسلامية من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وعلى جعل اللغة العربية لغة التخاطب بين اهل البلاد وتشير اوراق البردى الى انتشار اللغة العربية فى القرن الثالث الهجرى بين الاقباط حتى صارت اظبيتهم تجيدها قراءة وفهما فقد جاء فى بردية مؤرخة سنة ٢٧٤ هـ وفيها ادلاء لاحد القبط يشهادته فكتب مانعه " اقرار دانيال بجميع ما فى هذا الكتاب بعد ان قرى عليه حرفا حرفا ، فأقر بفهمها ومعرفته بما فيه " . (٢) وهناك بردية أخرى تتضمن عقد زواج " تم فى الاشمونيين بين يحنى بن شنوده وبين زوجته القبطية " . (٣) كما ان هناك بعض عقود البيع والشراء التى كتبت باللغة العربية . (٤)

وبالرغم من اننا لانصرف بالضبط على اصبحت اللغة العربية لغة التخاطب بين المصريين الا ان آثار القرن الرابع الهجرى المدونة من الكتب تدل على سيادة اللغة المصرية وانتشارها بين الاقباط " فقد ألف سعيد بن بطريق البطريرك الملكانى كتابا فى التاريخ باللغة العربية فى النصف الاول من القرن الرابع الهجرى " . (٥)

-
- (١) اسراييل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٢٢
 - (٢) جروهمان : اوراق البردى العربية ج ١ ص ١١٦ - ١٧٠
 - (٣) جروهمان : السابق ج ١ ص ٨٦ - ٨٥
 - (٤) جروهمان : السابق ج ١ ص ١١ - ١٧
 - (٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣١

وهو كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق - ثم تلاه ساويرس ابن المقفع اسقف الاشمونيين في اواخر القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى ارخ للبطاركة باللغة العربية . فكان يقوم بجمع ما وجد بيديرنهيا (عند الجيزة) ويديراين مقار ، وما وجد به بأيدى النصارى بالقلمين اليونانى والقبلى ويترجمه الى اللغة العربية ويشير فى مقدمة كتابه الى سيادة اللغة العربية وانتشارها بين المصريين . فيقول مانصه :
(. . . فاستمعت بمن أعلم بما متحققهم من الاخوة المسيحيين وسألتهم مساعدتى على نقل ما وجدناه منها بيدار مصر بالقلم القبطى واليونانى الى القام العربى الذى هو الان معروف عند اهل الزمان باقليم ديار مصر ، لعدم اللسان القبطى اليونانى من اكثرهم) . (١)

ويقول المستشرق الالمانى موز " . . . ان القبط لم يبدأوا فى ترك لغتهم القبطية الا حوالى آواخر القرن الرابع الهجرى " . (٢)

وسيادة اللغة العربية " اخذت اللغة القبطية فى الاضحلال " . بسبب وفقدت اهميتها تدريجيا لان المستخدمين القبط لم يعودوا يستخدمونها فى حديثهم وفى كتاباتهم وانما كانوا يستخدمون اللغة العربية " . (٣) واستمرت هور القبطية شيئا فشيئا حتى حصرت فى الاديرة والكنايس ثم اضمحت بضى الزمن حتى صار الكهنة الذين يستعملونها للصلوات فى بعض الكنائس لا يفهمونها جيدا ويستعملون الى جانبها الترجمة العربية " . (٤) وقد ترتب على التقاء اللغات المختلفة التى كانت متداولة فى مصر فى فترات زمنية معينة مثل اليونانية والسريانية ثم القبطية على اللغة العربية ان تأثرت اللغة العامية بمصر ببعض الالفاظ والعبارات من

(١) ساويرس : سير الالباء البطاركة م ١ ج ١ ص ٦

(٢) متوز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٨٩ .
سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣

(٣) Quatremère: Recherches Critique et Historique sur la Langue. P. 37.

(٤) اسرائيل ولفسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٢١

تلك اللغات الى العامية المصرية ، كما اننا نستعمل في الوقت الحالى بعض اللفاظ والكلمات التى ترجع الى اللغة المصرية القديمة والى القبطية التى اشتقت منها ومن هذه الكلمات (طوب) ومعناها بالقبطية حجر ، و " ميت " ومعناها ريف وهى اسم لكثير من قرى مصر مثل " ميت رهينة " و " ميت ابو الكوم " وشونة : ومعناها مخزن ، وبولاق ومعناها شاطئ النهر ، الخ . (١) ولكن اللغة العامية المصرية حافظت على اللسان العربى الفصحى اكثر من اخواتها فى بلاد العراق والشام والمغرب حيث كثرت العناصر الاعجمية . (٢)

ولا ريب فى ان انتشار اللغة العربية فى مصر ميزة للمغرب على غيرهم من الفاتحين فان الشعوب المختلفة التى توالى على مصر قبل العرب لم تستطع القضاء على لغة المصريين . (٣) ولم يقف الامر عند انتشار اللغة العربية بل كانت هذه اللغة محورا وأساسا لجوانب النشاط الفكرى فى مصر ، وقد تأمت بمصر نهضة ثقافية عظيمة ، كانت دعاماتها الدين الاسلامى واللغة العربية .

وفى القرن الثانى الهجرى نشأ جيل من العلماء من أصل مصرى قبطى صاروا ائمة فى القراءات والادب واللغة مثل عثمان بن سعيد المصروف بورش القسرى المتوفى سنة ١٧٩ هـ . (٤) وسج الفول طلم مصر باللغة . (٥)

(١) اسراييل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢٢٢

(٢) اسراييل ولفنسون : السابق ص ٢٢٣

(٣) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣٤

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٠٧

(٥) السيوطى : بنية الوطاء ص ٢٥٢ - سيدة كاشف : مصر فى فجر

الاسلام ص ٢٣٢

٢ - أثر التمرير في قيام المدرسة العلمية الاسلامية

بعد هدوء موجة الفتح العربي لمصر ، واستقرار العرب واختطاط مدينة القسطنطينية واستقرارهم بها . واتخاذ العرب المسلمين من هذه المدينة عاصمة لمصر الاسلامية . صارت مدينة القسطنطينية إحدى المراكز العلمية في الدولة العربية الاسلامية وكان مسجد عمرو بن العاص الجامع بالقسطنطينية يهدى مدرسة علمية ومنازل تفتح بنورها على البلاد المجاورة . وكانت العلوم والمعارف السائدة تلقى باللغة العربية " لسان الامة والجيل الثالين عليها والمختصين لها " . (١)

وكانت العلوم السائدة ضوياً :

(أ) العلوم النقلية :

وهي العلوم أو الآداب الاسلامية .

وهي العلوم الدينية الاسلامية (الحديث والتفسير والقراءات والفقه) والعلوم اللسانية (النحو واللغة والبيان والادب) (٢) والتاريخ .

(ب) العلوم العقلية :

وهي العلوم الفلسفية أو علوم الأبطال التي نقلت الى العربية من اللغات الاخرى " كالطب والعلوم الطبيعية والرياضيات " . (٣) وكانت العلوم العقلية

(١) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الثاني والمشرى ص ٣٧٩

(٢) ابن خلدون : السابق - الفصل الرابع ص ٤٣٥ - ٤٣٦ - الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٥

(٣) ابن خلدون : السابق - الفصل الثالث عشر (في العلوم العقلية واصنافها ص ٤٧٩ ، ٤٧٩ - الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٥ - جورجى زسدان تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٤٢

محدودة ، ضئيلة الانتشار اذا ما قورنت بالعلوم الثقيلة وخاصة في بداية النشاط
العقلي .

" كانت العلوم الثقيلة - التي اساسها الشرفيات من الكتاب والسنة هسي
اساس العلوم في العلة الاسلامية " (١) ولقد نعت العلوم العربية في مدينة القسطنطينية
في ظل الدين الاسلامي نموا مضطربا كما نعت في غيرها من الامصار الاسلامية الاخرى
فالقرآن الكريم به آيات كثيرة تحث على العلم وتدعو الناس الى التزود منه " قال
تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات " (٢) " قل
هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " (٣) ، وقال جل شأنه : " وقيل
رب زدني علما " (٤) وقال تعالى : " فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون " (٥)

وهناك احاديث مأثورة عن الرسول (صلعم) تحقق مسن معنى هذه الآيات
وتفسرها . قال عليه الصلاة والسلام " طلب العلم فريضة على كل مسلم " ، " اطلبوا
العلم ولو في الصين " (٦)

ركانت الحركة العلمية في مدينة القسطنطينية في بدايتها مثل سائر مراكز
الثقافة الاسلامية في العالم الاسلامي في بداية عهدنا بالاسلام - فقد بيدأت
هذه النهضة الدينية - لان القرآن الكريم كان محور الحياة الدينية والدنيوية

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع ص ٤٣٥
(٢) سورة المجادلة : الاية رقم ١١
(٣) سورة الزمر : الاية رقم ٩
(٤) سورة طه : الاية رقم ١١٤
(٥) سورة النحل : الاية رقم ٤٣
(٦) النزالي : احياء علوم الدين ج ١ ص ٨ - ابن عبد البر : جامع البيان
العلم ج ١ ص ١٠ و ٣٨

فكان لابد من فهم هذا القرآن وكشف جوانب محتواه . ومن ثم كان الاقتداء بالرسول (صلعم) الذي عزي اليه تبليغ الرسالة ، فقد جاء في الآية الكريمة (ربنا وأبعمك فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) . (١) وقد أجمع العلماء على فرض تعليم القرآن - قال صاحب مفتاح السعادة (أعلم ان حفظ القرآن فرض كفاية على الامة لكلا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق اليه التبديل ولا التحريف) . (٢) وقد جاءت الآثار عن الرسول (صلعم) تحث على الاخذ بهذا الدين الجديد وتعليمه - فقد جاء الاثر (خياركم من تعلم القرآن وعلمه . . .) . (٣) وفي قول آخر (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) (٤)

ولذلك بدأت النهضة العلمية الدينية في بدايتها تشمل في علوم القرآن

الكريم بمعناها الواسع مثل القرآن الكريم وتفسيره والحديث وروايته الذي كان مسادة غيرة للعلوم الدينية . وقد صار أوسع مادة وأكثر تداولاً حتى الفقه أو " استنباط الاحكام الشرعية من القرآن والسنة النبوية ثم علم قراءات القرآن الكريم . . . (٥) . . . وكانت مدينة القمطاط الاسلامية هي مركز الاشعاع العلمي . كما كان جامع عمرو بن العاص بهذه المدينة هي ملتقى العلماء والفقهاء والائمة واليه يلجأ الناس للاستفتاء واليه ينفذ الطلاب لتلقى العلوم التي كانت في ذلك الحين ومنه يتخرج بحيرة العلماء والفقهاء " فلذلك كان قلب هذه المدينة النابض . . . (٦) على ان هذا لم يكن غريباً على البيئة المصرية - فقد كان رجال الدين هم الذين يقومون بمهمة التعليم . . . (٧)

-
- (١) سورة البقرة : الآية ١٢٩
 (٢) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج٢ ص ٢٥٩
 (٣) صحيح البخارى ج١ ص ٢٧ - سنن ابن ماجه ج١ ص ٨٠ - طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج٢ ص ٢٥٩
 (٤) سنن ابن ماجه ج١ ص ٧٧
 (٥) الاستاذ : احمد امين : فجر الاسلام ص ١٨٣
 (٦) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٨٨
 (٧) Marron (H.) : Histoire de L'education dan L'antiquité. PP. 133 - 413.

وقد كان نواة الحركة العلمية في مدينة القسطنطينية الصلابة الذين جاءوا
مع جيش الفتح وبعده واستقروا بمدينة القسطنطينية بعد ان اخطوا مساكنهم حصول
المسجد الجامع . . .

وقد كان لهؤلاء الصلابة تلاميذ ينقلون عنهم العلم ه فتخون عليهم التاييمون ه
ثم تاييموهم . . . (١) وقد كان منهم العلماء والزهاد والشعراء والادباء وكان معظم
ما قاموا به من جهود علمية تتمثل في العلوم الدينية . يقول جب Gibb * لم يكن
جيش المسلمين مجرد محسكر حربي وانما كان مع ذلك مركزا تنبعت منه الدعوة للدين
الجديد . . . (٢) ولعل هذا بعد ابلخ جواب على الكونت دي كاستري السذي
قال (ان الاسلام لم يكن له د عاه مخصصون يقومون بالدعوة اليه وتعليم مبادئه ه
كما في الديانة المسيحية ه ولو كان للاسلام اناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب
في انتشاره السريع) . (٣) وقد حرص الحكام المسلمون على العناية بنشر الدين
الجديد فقد بعث امير المؤمنين عمر بن الخطاب ببعض كبار الصلابة والمتفقيين فسي
الدين الى الامصار الاسلامية ليقوموا بتعليم اهالي تلك الامصار القرآن الكريم وأصوله
(عن سالم بن عبد الله قال : كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت ه فقلت : ما
ظلم الناس اليوم ه فقال ابن عمر برحمه الله : فقد كان ظلم الناس وجبرها ه فرقهم عسر
في البلدان) . (٤) وكان امير المؤمنين ه مرين الخطاب يحث الصلابة والمعلمين
على نشر العلم ويحث الناس ايضا على الاخذ عنهم .

(١) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٨٦

(٢) Gibb : Mohammedanism. P. 404.

(٣) دي كاستري : الاسلام خواطر وسنواح ص ٣٩ - سيدة كاشف : مصر
في فجر الاسلام ص ١٦٧

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٤ ص ٦١

فكتب الى اهل الكوفة (٠٠٠) اني بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا
واثرتكم على نفسي . فخذوا عنه . فقدم ابن مسعود الكوفة ونزلها وابتنى بها دارا الى جانب
المسجد . (١)

وتشير الرواية التاريخية الى ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاص
امير مصر يأمره ان يقرب دار ابن طلحة من المسجد ليعلم الناس القرآن والفقهاء ففعل عمر .
وقد اختار امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (٩٩-٢٠١ هـ) عشرة من كبار العلماء
المصريين وعشهم الى القيروان ليعلموا أهلها السنن ويفقهوهم في الدين ، وكان
نقيب هذه البعثة من أشهر ناضحي مصر وهو ابو عبد الرحمن الخطيب الذي توفي هناك
سنة مائة بعد ان نشر فيها علما كثيرا . (٢)

وقد حظيت مدينة القسطنطينية بعدد كبير من الصحابة (٤) الذين نزلوا مصر
معلمين أو فاتحين أو ولاية حاكمين - وقد أشر عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب قوله :
"ألا اني انما أبصت عمالي ليعلموكم دينكم ويعلموكم سننكم ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم
ولا يأخذوا اموالكم" . (٥) ولكن كان قدر هؤلاء الصحابة أكبر من غيرهم في تعليم
القرآن الكريم وعلومه في تلك الفترة المبكرة . فكان هذا العمل من جانبهم (اقتداء
بالرسول (صلعم) الذي بعث اصحابه من قبل في الناس ليفقهوهم في الدين . ويعلموهم
ما كتب عليهم . وكان اصحاب الرسول قد اخذوا عنه الامر وعلما اسباب النزول والاوامر
والنواهي . وغا هدوا قرائن الامور وثاقبوا في أكثرها النبي (صلعم) واستفسروه عنها .
مع ما كانوا عليه من صفة العلم ومعرفة معاني الكلام وتنوير القلوب ، فكانوا أعلم الامم
وأولاهم بالتقليد" . (٦)

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٤ ص ٦١

(٢) ابنه قماق : الانتصار ج٤ ص ٦

(٣) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج١ ص ٤٨٣ - ج٢ ص ٧٩

(٤) افراد السيوطي أسماء هؤلاء الصحابة في فصل خاص اسماه (دار الصحابة

فيمين نزل مصر من الصحابة) نقل محظاه من كتاب محمد بن الربيع الجيزي وزاد

عليه (السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ٩٩-١٤٠)

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ج٢ ص ١٣١ - الطوردي : الاحكام

السلطانية ص ٣

(٦) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٢

كانت العلوم المائدة اذن دينيه (نواتها القرآن الكريم) ومنذ بداية الحركة العلمية في مدينة القسطنطينية وغيرها من الامصار الاسلامية كانت مسائل العلم تقريبا تدور حول علوم القرآن من تفسير وقراءات وحديث وفقه (فكان لا بد من النظر بالكتاب ببيان الفاظه أولا . وهذا هو علم التفسير . ثم بأسناد نقله روايته الى النبي (صلعم) الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات . ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواه الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعاداتهم ليقع الموثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث . ثم لا بد من استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم الفقه وأصوله) . (١)

ويلحق التصوف بالعلوم الدينية الاسلامية لانه كان لا يزال خاليا من النواحي الفلسفية المحقده . وكان يستمد اصوله من مصادر اسلامية .

وقد كانت البحوث حول القرآن الكريم تتخذ شكلا آخريا فكانت ذو طابع دينية . (٢) (فقد كان النظر في القرآن الكريم والحديث لا بد وان يتقدمه علوم اللسان العربي (اللغة والنحو والبيان والآداب) الذي هو لسان الرلة وبه نزل القرآن) . (٣)

كما نشأت الدراسات التاريخية في كنف الدراسات الدينية فكانت متأثرة بعلوم القرآن الكريم مثل الحديث . (٤)

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة — الفصل الرابع ص ٤٣
 - (٢) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٥
 - (٣) ابن خلدون : المقدمة — الفصل الرابع ص ٤٣٦ — الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٥ — جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢
 - (٤) سيده كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ص ١٣

كانت العلوم العقلية " علوم المعجم من اليونانيين وغيرهم من الامم مشتمل
العلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية والعلوم الطبية " . (١) قليلة ولم تشعب بيسر
المرب شروعا تاما بنسبة واحدة ، وقد شجع عليها وجود الخلفاء ببغداد ورغبتهم
في نقل علوم الامم الى العربية ، ليجمعوا في مدبنتهم اسباب مدنيت الامم
التي سبقتهم ، وفي مصر وجدت نواه تجمعت حولها العلوم الدنيوية وهي
نواة الطب " . (٢)

(٣)
وكانت الناحية العلمية الطبيعية بمصر امتداد المدرسة الاسكندرية قبل الفتح
ثم تكونت دراسة الكيمياء والهيئة والالهييات .

وكانت الثقافة الطبية تتطلب كل هذه الفروع وتؤمجها يسع كل هـسـسـه
الاشياء ويلاحظ هذا حتى في فلاسفة العلوم المسلمين ، أمثال الفارابي
وابن سينا ، فكلاهما طبيب وفيلسوف " . (٤) وقد تطورت دراسة الطب في مصر
فيما بعد تطورا ظاهرا " فكان علي ابن رضوان الطبيب المصري المتوفى سنة
٤٦٠ هـ كبير الرد على معاصريه من الاطباء في غير مصر - كحنين بن اسحاق ، وابن
بطالان البغدادي " . (٥)

(١) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الثالث عشر ص ٤٧٨-٤٧٩

(٢) احمد امين : ضحى الاسلام ص ١١

(٣) احمد امين : السابق ص ٩٥

(٤) احمد امين : السابق ص ١١ - القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء

ص ٢٧٧-٤١٣

(٥) القفطي : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٩٤-٤٤٣ - يوسف شخت

وماكن مايرهوف : خمس رسائل ص ٧

كان الصلبة هم المهملون الأول في مدينة القسطنطينية وغيرها من الامصار الاسلامية ثم تلاهم التابعين وتابعيهم ، حتى صار الطام الى الموالى — وكانت المدرسة العلمية بالقسطنطينية يشتد آزرها كلما أقبل الناس على هذه الثقافة الجديدة ومن نسيخ من ابناء الموالى في القرن الاول الهجري (عبيد بن جبر القبطى — مولى ابي بصير له للفغاري — وكان أحد ثقات التابعين من اهل مصر — قال سعيد بن خبير : ان القبط كانوا يفخرون به — وقد روى عن مولاة ابي بصير وغيره من شيوخ ذلك العصر ، وروى عنه كليب ابن ذهل الحضرمي . وكانت وفاته بالاسكندرية سنة ٧٤ هـ) . (١)

وكذلك (عبد الرحمن بن معاوية بن حديج من ابناء السلطيسيات (٢) الذي كان قاضي مصر لعهد العزيز بن مروان سنة ٨٦ هـ وصاحب شرطته ونائبه على مصر اذا غاب) . (٣)

الرحلات العلمية :

وباتساع رقعة الدولة الاسلامية ودخول امم كثيرة في الاسلام ازدادت الحركة العلمية نشاطا وشهد العالم الاسلامي مولد مدارس اسلامية كثيرة تختلف في ميدان الثقافة من حيث العمق وغزارة الانتاج العلمي — فأخذ المصريون اساتذة وطلابا يرحلون الى تلك الاصهار مثل المدينة المنورة أو دمشق أو الكوفة أو البصرة بالعراق موطن ائمة النحو واللغة) — ومن أبرز علماء الدين الذين رحلوا الى المدينة المنورة حيث موطن الامام مالك — الليث بن سعد وعبد الله بن وهب . (٤)

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٨٣ — ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٧

ص ٦١ — السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠

(٢) سلطيس — قرية مصرية استولى عليها المسلمون غنوه وسبوا أهلها ، فسردهم عمر بن الخطاب وخبرهم بين الاسلام والبقاء على ما كانوا عليه (على بهجت : قاموس الامثلة والبقاع الواردة في كتاب فتوح البلدان ص ٨٣ / ٨٤) .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٢٦ — الكندي : الولا والقضاة ص ٣٢٤ — ٣٤٩ — الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٢٦

(٤) ابن فرحون : الدياج المذهب ص ١٥ ، ١٩ ، ١٣٢

ولاشك انهم كانوا يهودون من هذه الرحلات بزاد جديد من العلم وينكبون لمتابعة حياة البحث والدراسة . لذلك كانت الرحلات تحظى بمكانة بارزة . كأسلوب من أساليب التعليم وخاصة في القرنين الاول والثاني للهجرة . (١) وما زاد من أهمية هذه الرحلات ان العلوم والمعارف السائدة في تلك الفترة وهي العلوم الدينية كانت تتناقل شفاهاً (ويرجع ذلك الى ان طبيعة هذه العلوم من تفسير واحاديث — كانت تمتاز بقلّة الاختلاف والسهولة والمراجعة والاستقصاء من ثقات الصحابة والتابعين لقرب عهدهم من صاحب الشريعة . فكانوا في غنى عن تدوين تلك العلوم . (٢)

ولذلك ظل هؤلاء العلماء يحفظون ما أخذوه من الرسول (صلم) دون تدوين وكانوا يسدون المخصصين بحمل العلم ونقله القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا اميين . لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عربا اشارة الى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنّة المشورة عن الله . . (٣)

وقد جاء في القرآن الكريم (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) . (٤) ولذلك صار هناك بعض التمييز بين هؤلاء القراء من الصحابة وبين نصريق آخر منهم انتشرت بينهم الامية وانما كانت صفتهم العلمية المسبقة عليهم نتيجة ملازمهم للرسول (صلم) واحكامهم به فأخذوا عنه الكثير من الاحكام مشافهة . وان كانوا يشتركون مع القراء في افتقارهم الى تدوين ما تلقوه من النبي (صلم) ويحلل العلامة ابن خلدون تلك الظاهرة بشيوع الامية وعدم الدراية بأمر التأليف فيقول (. . .) انما احكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصطبه والقوم يومئذ عرب لم يحرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين

-
- (١) احد شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص ٤٣ — ٤٥
 (٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٥٩
 (٣) ابن خلدون : المقدمة — الفصل الخامس والثلاثون ص ٤٣٥
 (٤) سورة العنكبوت الاية ٤٨

(١) ولا دغموا اليه ولا دغمهم الحاجة اليه * وجرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين
كما ارجع البعض قلة التدوين او كره كتاب العلم الى وجهين : احدهما الا يتخذ
مع القرآن كتاب يضاهاى به * ولثلا يتكل الكاتب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الخط (٢)
وقد روى ابو سعيد الخدرى : " انه استأذن النبي (صلعم) فى كتابا العلم هـ فلسم
ياذن له " وروى عن ابن عباس انه نهى عن الكتابة لانهم ان تركوا الحفظ فيعرض للكتاب
عارضه فيقوت عليهم . . . (٣)

بين الحفظ والتدوين :

كانت نتيجة لذلك ان ازداد الاعتماد على الحفظ والذاكرة التى صارت
أهم وسائل التحصيل فى تلك الفترة — وكان المحدثون واللغويون اكثر المشتغلين
بالعلم اعتمادا على الحفظ وكان الحافظ (اسى درجات العالم بالحديث أو
المشتغل باللفظ . . .) (٤) وقد كان عميد الله بن عمرو بن العاص مؤسس مد رسة
مصر الدينية . . . (٥) والذى أخذ عنه المصريون اكثر من مائة حديث . . . (٦) قد
حفظ عن النبي (صلعم) ألف مثنى . . . (٧)

ويفضل هذا العالم الجليل انفردت مدينة القسطنطينية التى اتخذ فيها
عبد الله بن عمرو بن العاص دارا له * (٨) بأول صحيفة مدونة فى التفسير فى
عصر كان فيه التاهرين مهيوبا بالتهير من الخوض بل كانت له اوجه كثيرة من الرفض
والنقد هـ وكانت مثل هذه الامور تجد بحذر شديد * قال مجاهد : اتيت عميد
الند بن عمرو هـ فتناولت صحيفة تحت مفرشه * فسمعت هـ قلت : ما كنت تمنعنى شيئا هـ

- (١) ابن خلدون : المقدمة — الفصل الخامس والثلاثون ص ٥٤٣
- (٢) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ — ٣٥
- (٣) حجاجى خليفة : كشف الظنون ج ١ ص ٢٥
- (٤) السيوطى : الزهر فى علوم اللغة ج ٢ ص ١٩٩
- (٥) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٩٧
- (٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥٤ — الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٩
- (٧) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٣ ص ٩٥٧ — ابن الاثير : اعد النجاة ج ١ ص ٣٤٩
الذهبي : سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٧
- (٨) عمر بن محمد الكندى : فضائل مصر ص ٢٣٨ — ابن دقاق : الانتصار ج ١ ص
المقريزى : الخطط ج ١ ص ٣٠٣

(١) قال هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينى وبينه أحد^١ وربما كانت هذه الصحيفة هي التي دار عليها الحديث بين حيوة بن شريح وحسين بن شفي (٥٠) قال ابو سعيد بن يونس في تاريخ مصر ان حيوة بن شريح قال : دخلت على حسين بن شفي بن مانع الاصبحي وهو يقول : فعل الله بفلان ٥٠ فقلت ماله فقال عمد الى كتابين كان شفي سوجمها من عبد الله بن عمرو بن الماص - ترضى الله عنهما - احدهما قضى رسول الله (صلعم) في كذا ٥ وقال رسول الله (صلعم) كذا ٥ والآخر ما يكون من الاحداث الى يوم القيامة فأخذها فربى بهما بين الخولة والرباب - فقال ابو سعيد بن يونس : يعنى بقوله الخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر يكونان عند رأس الجسر مما يلي الفسطاط يجوز تحتهما لكبرهما المراكب ٥ (٢) وربما تزيد هذه الطدثة خوف هؤلاء العلماء من الاحتفاظ بهذه المدونات معمولين ذلك الى ضرورة الالتزام والاخذ باقوال السلف السابقة عليهم الذين كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك ٥ (٣)

ولذلك حرصوا أشد الحرص على عدم التقييد بالكتابة ، ألتزاما بالسور برفع مكانة العقيدة الحافظة لانه على حد قول العلامة ابن خلدون (٥٠ اذا تلونت النفس بالملكة لاخرى (الكتابة) وخرجت عن الفطره ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة بعد ذلك أضعف ٥ (٤) ولذلك صارت للرحلة اهمية كبرى في فترة افتقرت الى المدونات - (وكان التلقين بالباشرة

(١) ابن الاثير: أمد الغاية ج٢ ص ٣٥٠ - الذهبي : سير اعلام النبلاء

ج٣ ص ٥٨ - المقرئى : الخطط ج٢ ص ٣٣٣

(٢) المقرئى : الخطط ج٢ ص ٣٣٣

(٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم ص ٣٥

(٤) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الثانى والمشهور ص ٤٠٥

أى لقاء الشيخ الكبار" هو العمول الاساسى لحصول الملكات * وكان اشهد استحكاما وأقوى رسوخا . (١) ولذلك كانت الرحلة معمولا هاما لتصحيح المعارف وتميزها عن سواها مع تقوية الملكة بالمباشرة والتلقين - وكان لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء الشيخ . . . (٢)

وظلت الرحلة زمنا طويلا معمولا اساسيا للدروس والبحث . (٣) وان لم يقلل من اهميتها شيوع المؤلفات الملخصة فيها بعد . قال نيكلسون (وكان جلة الباحثين وطلاب العلم يرحلون فى حماسة ظاهرة عبر القارات الثلاثة ثم يعودون الى بلادهم . كما يعود النحل محملا بالعسل . ثم يجلس هؤلاء الباحثون فى بلادهم . ليسرخوا شنف الناس التى كانت تنتظر عودتهم لتلتف حولهم . فينالون من علومهم ومعارفهم زادا وخيرا عميقا . كما كان هؤلاء الباحثون يمكنون احيانا على تدوين ما جوعوا وما سمعوا ثم يخرجون للناس كتبنا اشبه بدوائر المعارف مع نظام رائع بلاغة عذبة . وهذه الكتب هى المصادر الاولى للملوم الحديثة بأوسع ما تحمله كلمة العلوم من معنى . وهما مرجع العلماء والباحثين ومنها يستمدون فنونا من الثقافة والمعرفة أعق بكثير مما يظن الناقدون .) (٤)

وكان تقييد العلم بالكتابة قد صار امرا لازما فيها بعد فترات الزمن وانتهاء عهد الصطبة بعد المائة من تاريخ الهجرة تضافت النزعة العربية الى حظر التدوين وصار تقييد العلم أمرا ضروريا وخاصة تدوين السنن (الاحاديث) وذلك لشيوع (٥) رواية الحديث وقلة الثقة ببعض الرواه وظهور الكذب فى الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

(١) و (٢) ابن خلدون - المقدمة - الفصل الثالث والثلاثون ص ٥٤١

(٣) متر : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٣٦

(٤) احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٤٥

Nickolson : Literary History of the Arabs. P.281.

(٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١١٦ - ط جى خليفة كشف الظنون ج ١ ص ٨٠

وكان السبب المباشر للتدوين هو الخوف من ذهاب العلم بوفاة الرواء وكسان
 اول من تنبه الى ذلك هو أمير المؤمنين (الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١ هـ
 فقد أمر واليه المدينة ابن بكر بن عمر بن حزم : بالقطر الى ما كان من حديث رسول
 الله (صلعم) ليكتبه لخوفه من ذهاب العلم وذهاب العلماء . . . وأمر ولاته ان يفضحوا
 العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم . فان العلم ليهلك حتى يكون سرا . . . (١) وقد
 اشار أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز في كتابه صريح بنشر العلم المدون قائلا لعماله
 على الامصار الاسلامية (. . .) اما بعد ، فمر اهل العلم والفقهاء من جنده ، فليشعروا
 ما علمهم الله من ذلك ، وليتحدثوا به في مساجدهم . . . (٢) على ان التدوين بالمعنى
 الحقيقي ابتداء بتدوين الحديث (فكان اول من دون العلم محمد بن شهاب
 الزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ) (٣) ثم شاع امر التدوين في الامصار الاسلامية قبيل
 منتصف المائة الثانية من الهجرة ، وقد اشترك بعض اعلام المدرسة الدينية بعد انتقاله
 في تلك الحركة التي كان لها اثر بعيد في حفظ العلم وشيوع المؤلفات العلمية في
 الامصار الاسلامية بعد ان كان العلماء يقتصرون على الخط وتناولون العلم بطرق
 اخرى مثل التلقين (. . .) فكان اول من صنف وروى سعيد بن عروة المتوفى سنة ١٥٥ هـ
 والربيع بن صبيح المتوفى بالبصرة سنة ١٦٠ هـ - ومحمدين راشد المنعاشي المتوفى
 سنة ١٤٥ هـ باليمن . . . (٤) ثم من بعد يسير صنف هشيم والليث بن سعد وعبد الله بن
 لهيعة ثم ابن المبارك وابن وهيب وكثر تدوين العلم وتبويبه . وقيل هذا المصركان
 سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة . فسهل
 تناول العلم . . . (٥) وكان لجهود علماء مدينة القسطنطينية مثل ابن وهب والليث بن

(١) البخاري : الصحيح - كتاب العلم ج١ ص ٣٦

(٢) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمرو بن عبد العزيز ص ٨

ابن عبد البر : جامع بيان العلم ص ١٢٤

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٤٨٨ - الفزالي : احياء علوم الدين ج١ ص ٢٩

(بولاق) - ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم ص ٣٧ - المقرئ :

الخط ج٤ ص ١٤٣ - ١٤٤

(٤) الفزالي : احياء علوم الدين ج١ ص ٣٩ - المقرئ : الخط ج٤ ص ١٤

طحي خليفة : كشف الظنون ج١ ص ٨٠

(٥) المقرئ . الخط ج٤ ص ١٤٤ - ابوالعاصم : النجوم الزاهرة ج١

ص ٣٢٠ - ٣٥١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦١

سعد وابن لهيعة أثر بعيد في المساهمة ببعض مدوناتهم* فقد كان ابن وهب يفوق بتصنيفه جماعة من الفقهاء المصنفين* وله من تصنيفه نحو مائة جزء* (١) قال ابن أبي المطم الرازي المتوفى سنة ٢٧٧ هـ ما نعه : * قيل لي بمصر ان احمد بن عيسى المصرى المعروف بالتستري المتوفى ٢٤٣ هـ قدم مصر واشترى كتب ابن وهب وكتاب الفضل بن فضاله * (٢)

وكان لشيوع هذه المدونات أثر في ظهور طريقة اخرى للتصنيف والدراسة (وهى طريقة الاملاء التى كانت أعلى مراتب التعليم وكثيرا ما كان المتكلمون واللفزيون فى القرن الثالث الهجرى يتبعون طريقة الاملاء * * * وكانت مجموعة المحاضرات التى تلقى بطريقة الاملاء تسمى الامالى * * * (٣) فكان الربيع بن سليمان أول من أملى الحديث بمجامع احمد بن طولون * * * فكان الاولاد يخرجون بعد الصلاة الى مجلس الربيع ابن سليمان ليكتبوا العلم مع كل واحد منهم وراق وعدة غلمان * (٤) وقد اضطرت الحركة العلمية فى القرن الرابع الهجرى نتيجة لشيوع الورق واقتصر الامر على تدريس كتاب يقرأ فيه احد الطلبة والمدرس يشرح * (٥)

-
- (١) عمر بن محمد الكندى : فضائل مصر ص ٤٠
 - (٢) الذهبى : ميزان الاعتدال ج ١ ص ٥٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٦٥
 - (٣) السيوطى : الزهر فى علوم اللغة ج ٢ ص ١٩٩ - مئز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣١٦
 - (٤) المقرئى : الخطط ج ٢ ص ٢٦٦ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٣٧٠
 - (٥) آدم مئز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣١٦ - ٣١٧

ولم يقتصر الامر على ذلك ، وإنما كان لشيوخ هذه المؤلفات ان كان بعضها
يؤلف بتكليف خاص من الامراء (. . .) فقد أمر ابو المصك كافر الاخشيدى : عمر بن
محمد ابن يوسف الكندى بجمع وتأليف كتاب يذكر فيه أخبار مصر وما خصها الله
تعالى به من الفضل والبركات والخيرات (. . .) (١)

التخصص العلمى :

وكان للمعلوم التى سادت فى الفترة المبكرة من تاريخ الحياة العلمية طابع
مميز . انعدم فيه التخصص . فكان العالم الواحد يجمع بين انواع مختلفة من صنوف
الملم (لانه لم يكن هناك تخصصا دقيقا بين العلماء كالأذى نعلمه اليوم . فلم
يكن هناك من تخصص فى الفقه فحسب أو الحديث أو التاريخ أو ما يشبه ذلك بل
كان العالم يلم بفروع مختلفة من الملم) (٢) . (. . .) فقد كانت حلقة الامام الشافعى
المتوفى سنة ٢٠٤ هـ - بالمسجد الجامع بمدينة القسطنطينية - تدور على كثير من
الملم العربية . فكان يبدأ حلقاته بدروس القرآن ثم يأتى اليه طلاب الحديث
وفى الضحى تدور حلقاته حول علوم اللغة والمروض والشعر والنحو . (٣) (وكان
عبدالله بن وهب بن مسلم القرشى المتوفى سنة ١٩٧ هـ فقيها ، محدثا . . . وكان
احد اعلام المدرسة المالكية البارزين) (٤) (قال عطاء بن رباح : ما رأيت
قط اكرم من مجلس ابن عباس اكرم فقيها واعظم خشية ، ان اصحاب الفقه غسده
واصحاب القرآن غسده واصحاب الحديث غسده يصدرهم كلهم من واد واسع) (٥)

(١) عمر بن محمد بن يوسف الكندى : فضائل مصر

(٢) The Encyclopaedia of Islam, Art Masdjid, Vol.3. (٣)

(٣) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٩٩-٣٠١ - ابن حجر : تولى
P.365

التأليف ص ٦٢ - النووى : تهذيب الاسماء ج ١ ص ٤٩-٥٠ ، ابن

خلكان : وفيات الاعيان ج ٣ ص ٣٠٥

(٤) ابن فرحون : الديباج المذهب ص ١٣٢

(٥) ابن حجر : الاصابة ج ٤ ص ٩٤

" وكان الليث بن سعد (٩٤ هـ / ١٧٥ هـ) امام اهل مصر في الفقه والحديث معا " (١) قال يحيى بن بكير : ما رأيت فيمن رأيت مثل الليث بن سعد ، وما رأيت اكمل منه ، كان فقيه البلد ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو والشعر والحديث - حسن المذاكرة " (٢)

خضعت العلوم والمعارف الاسلامية فيما بعد لعامل التطور الزمنى ومهدت في القرنين الثالث والرابع الهجريين ما يمكن ان نسميه بقدر من التجاوز التخصصى العلمى بين صفوف العلماء . وقد بدأت الدعوة نحو التخصص تأخذ طابعا خاصا ويمثل هذا فى دعوة العلماء اليه (فكان العلماء يفرقون بين انفسهم وبين الادباء ، حتى قال ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٨٦ هـ) : " من أراد ان يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد ان يكون ادبيا فليسمع فى العلوم وان يأخذ من كل شىء أحسنه) " (٣) ورغم ان مثل هذه الدعوة لم تتحقق الا فى وقت متأخر الا انفسه صار لابد من تمايز العلماء انفسهم بالتركيز على مجال واحد او مجالين تبرز فيهما الملكة الحقيقية التى يتتبع بها هذا العالم أو ذاك (قال يوسف بن عدى (المتوفى سنة ٢٣٢ هـ) ادركت الناس فقيهها غير محدث ومحدثا غير فقيه ، خلا عبد الله بن وهب ، فأثنى رأيت فقيهها محدثا زاهدا ، صاحب سنة واثار) " (٤) وهكذا نجد ان بعض العلماء امتازوا فى بعض الميادين دون غيرها ، وما يذكر ان الدعوة الى التخصص النسبى كانت مقدمة نحو تمييز بعض العلوم ، فقد خرجت من بين فنون الاداب القديمة مجموعة من العلوم الدينية ولم يكن من العلوم حتى ذلك الحين ما له منهج علمى وأسلوب علمى ، سوى الفلسفة وعلم الكلام ، ثم صار لكل من التاريخ

(١) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج٣ ص ٢٨١

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٨٣٦ ، ٨٣٧ - ابن حجر : الرخصة الفيشية ص ٧

(٣) ابن قتيبة : المعارف ص ٣٧٥ - ابن عبد البر : جامع بيان العلم ج١ ص ١٣١ - ابن جماعة : تذكرة الصامع والمتكلم ص ٩٣ - ٩٤

(٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج١ ص ٦٤٧ - ابن فرحون : الديباج الذهبى ص ١٣٣

والجغرافيا واللغة منهجه الخاص * (١) وترك العلماء ما كانوا قد ألقوا قبل مسن اتخاذ المعارف وسيلة للتصليية كما انهم أصبحوا لا يغالون في حشد المعارف على تنوعها بل أقبلوا على الدراسة العلمية وعلى تنظيم المعارف وشرحوا بما يجب عليهم من غاية وحاسبة في تدوينها * (٢) جاء في مقدمة كتاب المقصور والمدود لابن ولاد النحوى المصرى المتوفى سنة ٣٣٢هـ (هذا كتاب نذكر فيه المقصور والمدود ، ما كان مقبلا وغير مقبىس ما ولقا على حروف المصمجم ، ليقرّب وجوه الحرف على طالبه ويسهل امتخراجه من موضعه) * (٣)

وقد كان لحركة الترجمة ونقل العلوم والمعارف القديمة أثر كبير في ظهور بعض المؤلفات التى لا شك انها أفادت من تلك الحركة . وكان ذلك بعد مرحلة الاستقرار وضيغف المقول الى معرفة ما تحويه الثقافات القديمة (الاغريقية ، واليونانية) من علوم ومعارف * (٤)

* فكان سيويه المصرى يتمثل بأقوال فلاسفة الاغريق * (٥)

وقد ألف ابن الداية كتاب (المياسة لافلاطون وشرح كتاب الثمرة * وهو كتاب بطليموس) * (٦) وقد صار للملوم الدنيوية كالتب والفلسفة أثر مذكور فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة *

(١) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٣٠١

(٢) المصدر السابق ج١ ص ٣٠١

(٣) ابن ولاد : المقصور والمدود ص ٣

(٤) احمد امين : ضحى الاسلام ص ١٣

(٥) ابن زولاى : اخبار سيويه المصرى ص ٣٥

(٦) ابن ابى اصيعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج١ ص ١٢١ - باقسوت

الحوى : معجم الادباء ج٥ ص ١٥٤

وكان هناك تشييرات أخرى خاصة بعلوم الدين (فقد تميز علم الفقه عن غيره من علوم الدين • وأصبح العلماء فريقين : الفقهاء والعلماء على الحقيقة) . (١)

وكانت هناك طريقتان منهجيتان لضرب العلوم السائدة (النقلية والمقلية) :
" فالعلم المقلية مستندة الى الخبر عن الواضع الضرعى ولا مجال فيها للمقل
الا فى الطاق الفروع من مسائلها بالاصول " . (٢) ولذلك اعتمدوا منذ البداية على
الرواية وصحة السند • فهم يجمعون ما قاله السابقون وقد يرجحون قولاً على
قول ويكاد يقتصر عليهم على التحقق من صحة النقل " . (٣)

" لأن اصل هذه العلوم هى الشرعيات من الكتاب والسنة " . (٤) قال
تمالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يحلمون) . (٥) وجاء فى سورة القمر :
(ولقد يسرنا القرآن للذکر فهل من مذكر) . (٦) ومن هذا نجد ان الآسار
قد جاءت بالقرآن الكريم الكتاب المنزل على عباد الله • تؤكد احتوائه على جماع
الحقائق • وعاية المعارف • ولذلك لم يكن هم المسلمون الوصول الى الحقيقة والبحث
عنها • ومن أراد الوصول الى الحق • فليحفظ القرآن • وسع ما فيه " . (٧)

(١) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٣٠٢

(٢) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع ص ٤٣٥

(٣) احمد امين : ضحى الاسلام ص ١٦

(٤) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع ص ٤٣٥

(٥) سورة فصلت آية ٣

(٦) سورة القمر آية ١٧

(٧) احمد فؤاد الالهوانى : التعلیم فى رأى القابض ص ١٩٢

وقد اختلف منهج أصحاب العلوم العقلية من دارسى الطب وخلافه عمن
المنهج النقلى فقد ركن اصحاب العلوم العقلية الى معقولية الحقائق وامتحنها
متخذين اما سهيل المنطق واما التجريب المملى . (١) فهم يحكمون بالصواب والخطأ
بعد تمحيص للوصول الى الحقيقة . قال ابن خلدون : " ان العلوم العقلية هتسى
العلوم التى يقف عليها الانسان بطبيعة فكره وسهتدى بمداركة البشرية المى موضوعاتها
ومسائلها وانطأ براهينها ووجوه تعليمها . حتى يقف نظره ويحثه على الصواب
من الخطأ فيها " . (٢) وكانت هذه العلوم قد رسخت فى دولها من قبل فاستقرت
منهجها .

فيما يتعلق بنظم تعليم العلوم النقلية مثل الحديث والفقه - فلم يكن هناك
اجازة يشترط ان يحصل عليها المعلم ليكون صالحا للتعليم . حتى يرخى لـه
بمزاولة المهنة وانما كان رسم ذلك كما يقول السيوطى : " ان من علم من نفسه
الاهلية جاز له ذلك وان لم يجزه أحد . وعلى ذلك السلف الاولون والصدرا الصالح
وكان هذا الرسم سائدا فى أفرع العلوم النقلية - مثل الاقراء والافتاء " . (٣)

ويبدو ان الرسم الذى استجد بعد ذلك بمنع الاجازات للقائمين بأمر
تدريس العلوم الدينية كان لارشاد طلاب العلوم الآخذين عن هؤلاء العلماء .
قال السيوطى فى الاتقان (وانما اصطلح الناس على الاجازة لان أهلية الشخص
لا يعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم) . (٤)

(١) احمد امين : فحى الاسلام ص ١٦

(٢) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الرابع ص ٤٣٥

(٣) السيوطى : الاتقان ج ١ ص ١٢٨

(٤) السيوطى : السابق ج ١ ص ١٢٨

وقد اشار الفقهاء الى " انه لا يجوز أخذ المال في مقابل هذه الاجازات ولا
الاجرة عليها " (١) وكان هناك بعض الاجازات التي منحها ائمة الفقه لبعض اعلام
المدرسة الدينية بالفسطاط " فقد رحل ابن القاسم الفقيه المالكي المتوفى سنة ١٩١ هـ
للاخذ عن الامام مالك بالمدينة - وقد أجاز له مالك الرواية عنه وقال له : اتق اللسنة
وعليك بنشر هذا العلم " (٢)

وفي الفترة المبكرة ظهرت بعض البوادر التي ربما توحى بادراك ائمة الفقه
لمعنى التخصص العبدى " فكان الامام مالك يقول : " ابن وهب عالم ، وابن القاسم
فقيه " (٣)

أجور التعليم :

ومنذ البداية كان تعلم العلوم الدينية " يدرس بدون مقابل وقد ذهبت
طائفة كبيرة من الفقهاء كالحنفية جميعهم وابن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم الى انه
لا يجوز ان يأخذ المعلم اجرا على تعليم القرآن والحديث " (٤) ذلك لان اقامة
سنة رسول الله (صلعم) وتشديد قواعد الاسلام وارشاد عباد الله الى الحق - قد
استوجبت على القائمين بأمر التدريس (ان يكون تعليمهم العلوم الدينية - ابتغاء
وجه الله تعالى والقيام بتعليم تلك العلوم تطوعا) (٥) وفي عصر الصحابة والتابعين
ازداد التشدد في عدم اخذ الاجر عن العلوم الدينية " فحين فرض سعد بن ابي
وقاص بابل ولايته على العراق (١٤ - ٢٠ هـ) عن يقرأ القرآن في الفين الفيسن ،
كتب اليه عمر بن الخطاب ان لا يعط على القرآن احدا " (٦) ولعل هذا يوضح

-
- (١) السيوطي : الاتقان ج١ ص ١٢٨ .
 - (٢) القاضي عياض : ترتيب المدارك ج١ ص ٦٥٢ - ابن فرحون : الديباج الذهب
ص ١٤٦ .
 - (٣) ابن فرحون : الديباج الذهب ص ١٤٧ .
 - (٤) السمرقندي : بمستان العارفين ص ٤ - متر : الحضارة الاسلامية في القرن
الرابع الهجري .
 - (٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٥٢ - ابن جماعة : تذكرة
السامع المتكلم ص ١٤١ و ١٤٢ - طاش كبرى زاد : مفتاح السعادة ج١ ص ٣٣ .
 - (٦) البلاذري : فتوح البلدان ص ٥٨ .

ما أشار إليه ابن خلدون * من أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والآذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب * (١) وقد فسرس الاجر فقط على القصص * فقد كان رزق القاضي عبد الرحمن بن حجية الذي ولي القضاء والقصص من قبل عبد العزيز بن مروان سنة ٦٩ هـ - ألف دينار - مائتي دينار من القضاء - وكان عطاؤه مائتي دينار - وكانت جائزته مائتي دينار * (٢) ومن المعلوم انه * قد فرض للمرب المستقرين بمصر العطاء الذي كان يعطى لهم من بيت المال * (٣) وكان هذا العطاء يمثل الدخل الرئيسي لكثير من طلاب العلم في تلك الفترة * ولم يكن طلب العلم عملاً يدر دخلاً * وكان هذا العطاء قائماً * ويقدر من ثلاثة أوجه :
 احد هما عدد ما يموله الشخص من الذراري والعماليك * والثاني : عدد ما يرتبط به من الخيل والظهور ثم الموضع الذي يحله من الغلال والرخس * فيقدر كفايته في نفقته وكسوته لعامة كله * فيكون هذا المقدر في عطاء * ثم تمرض حالة كفى كل عام * فاذا زادت رواتبه الماسة زيد * وان نقصت نقص * (٤) وظل الامر على هذا الامر الى ان أمر الخليفة العباسي المعتصم باسقاط العرب من الديوان سنة ٢١٨ هـ * (٥) فأتخذ العرب من الزرع مما شاؤا وكسبوا * ونزلوا القرى واختلطوا بالمصريين * (٦) وزاولوا بعض الاعمال الاخرى الى جانب الزراعة مثل التجارات وغيرها *

ولاشك ان مسألة الاجر كانت قد نشأت عن غلة دينية - ولكن عندما صارت علوم القرآن الكريم علومًا تدرس - أجاز بعض الائمة أخذ الاجر عن تعليم القرآن - مثل مالك بن انس * (٧) وان كانوا قد اجازوا الاجر على تعليم القرآن فلا ريب

-
- (١) ابن خلدون : المقدمة - الفصل السابع ص ٣٩٢
 (٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٣٥ - الكندي : الولاة والقضاء ص ٣١٤ - ٣١٧ - الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢
 (٣) ابن عبد الحكم : السابق ص ١٠٢
 (٤) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٢٠٥
 (٥) الكندي : الولاة والقضاء ص ٢١٧ - المقرئ : الخطط ج ١ ص ٣١١
 (٦) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٨٢
 (٧) القاسم : الرسالة المفصلة لاجوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين * ملحقة بكتاب * عبد العزيز الالهواني : التعليم عند القاسم ٢٢٩ - ٢٧٠

انهم لم يحرموه على بقية المواضع المدرسية. (١) وفي مصر " كان أول من عسرف
 اقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جاز لطائفة من الناس يد يار مصر في خلافة العزيز
 بالله - نزار بن المزمز - في وزارة يعقوب بن كلس - فعمل ذلك بالجامع الازهر " . (٢)
 ولا شك ان الفترة التي حرم فيها أخذ الاجر على تدريس المعلوم الدينية كانت تتطلب
 من دارس المعلوم الدينية شيئا من اليسر المادي الذي يتيح لاصحابه فرصة للتنقل
 والترحال للاخذ عن الائمة والملما . ولذلك كانت القدرة المادية عاملا هاما في اذكاء
 قرائح اصحاب الطلقات العلمية لانها كانت لا تشغلهم بطلب المعاش . وقد ذهب
 البعض الى ان العلم لا يصلح الا لاصحاب الحسب والدين والسلطان (قال ابو بكر بن
 عبد الرحمن : ان العلم لواحد من ثلاثة ، لذي حسب يزينه . او لذي دين يسوس به
 دينه . او لمن يخطط بالسلطان ويدخل اليه بتحفة تعلمه وينفعه به) (٣) واذا القينا
 نظره فاحصا على اعلام المدرسة الدينية بمدينة القسطنطينية نجد ان معظم هؤلاء
 الاعلام كانوا ذوي جاه ونفوذ وكان لبعضهم املاكا واسعة " . فقد كان الليسنت
 بن سعد المتوفى سنة ١٢٥ هـ كبير الديار المصرية وطلبها الانبل حتى ان نائب
 مصر وقاضيها من تحت اوامره . واذا ربه من أحد منهم امر كاتب فيه الخليفة في عزله .
 وقد طلب منه المنصور ان يحمل نيابة الملك فامتنع " . (٤) كما كانت له ضياع واملاك
 واسعة كانت تدبر عليه في كل عام خمسة آلاف دينار . وكان قد وصل لملك بن انس
 وعبد الله بن لهيعة كلا منهم بألف دينار . (٥) وكانت اسرة بنى عبد الحكم
 من ذوي الجاه والنفوذ فكان عبد الله بن عبد الحكم عميد هذه الاسرة والمتوفى
 ٢١٤ هـ . قد استقبل الامام الشافعي حين قدمه الى مدينة القسطنطينية ووصله

(١) د . عبد العزيز الازهري : التعلیم عند القابض ص ١٩٢ - وما ذكره من مراجع

(٢) العقري : الخطوط ج ٢ ص ٣٦٣

(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٦

(٤) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ٧ ص ٥١٢ - ابن خلكان : وفيات الاعيان

ج ٣ ص ٢٨٠ - ٢٨١ - ابن حجر : الرحمة الشيبية بالترجمة اللبثية ص ١٢٥

ابو الصمصم : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٨٢ - السيوطي : حسن المحاضرة

ج ١ ص ٣٠١

بالفد يناره وأخذ له من ابن هامة التاجر ألفا أخرى كي يستعمل بها على سبيل
أمره (١) . وكان يحضر اعلام المدرسة الدينية ينفذون على غيرهم من العلماء الواقفين .
قال ابو جعفر محمد بن جبر الطهرى : " لما وردت مصر سنة ٢٥٦ هـ نزلت على
الربيع بن سليمان فامر من يأخذ لى دارا قريبة منه ، وجاءنى أصحابه فقالوا :
تحتاج الى . . . (٢) .

وكان عبد الرحمن بن القاسم — الذى كان رئيسا للملكية بمصر — قد ورث عن
والده القاسم بن خالد المتقى الذى كان يعمل فى الديوان ما يقرب من ألف مثقال . وقد
رحل للاخذ عن الامام مالك بالمدينة (٣) .

وأصل محمد بن عبد الله الحافى المالكى — المتوفى سنة ١٧٣ هـ — خصين
دينارا . (٤) .

وتذكر الرواية التاريخية " ان صالح بن طى المباسى لما خرج من مصر الى
الشام سنة ١٢٧ هـ — خرج بنفر من وجوه أهل مصر منهم غوث بن سليمان الحضرمى
وعمر بن الطرث الفقيه . (٥) .

(١) الكندى : الولاة والقضاء ص ٤٣٦ — ٤٤٠ — ابن خلكان : وفيات الاعيان
ج ٢ ص ٢٣٩ — ابن فرحون : الدينياج المذهب ص ١٢٤ — ابن العماد
الخبزلى : شذرات الذهب ج ١ ص ٣٤ — سيدة كاشف : مصر
فى فجر الاسلام ص ٢٨٠

(٢) باقوت الحموى : مجمع الادبا ج ١ ص ٦٥٩

(٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج ١ ص ٦٥٤ — ٦٥٩

(٤) القاضى عياض : المعانيق ج ١ ص ٣١١ — ٣١٢ — ٦٥٩

(٥) الكندى : الولاة والقضاء ص ١٠٥

وصها يكن من الامر . فقد استقطب القرآن الكريم وعنوانه الدراسات العلمية
بالفصاط . وقد تهيأت السبل أمام دارس القرآن والتفسير .

فبالإضافة الى تشجيع الولاة وأولى الامر - كانت هذه الدروس تلقى على
الطلبة والراغبين فيه دون مقابل لان العلماء الذين كانوا يكرهون ان يأخذوا
المعلم على القرآن أجرا . (١) وقد كان الكثير من أفراد الشعب يتطوعون
للتعليم والدروس ونشر المعارف . (٢)

-
- (١) ابن قتيبة : المعارف ص ١٢٥ - ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤١ و ١٤٣
طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٣١
- (٢) طي حنى الخربوطلى : العرب والحضارة ص ١٨٤ .

٣- دور الـذمييين المصرييين في الحياة الفكرية

المريية

يمكنا ان نميز بين نوعين من الدراسات الادبية في مصر قبيل الفتح العربي وهما: الادب القبطي الذي كان يكتب باللغة القبطية ، والادب الروماني الذي كان يكتب باللغة اليونانية . وكل منهما - في الواقع - كان يختلف عن الاخر في الاهمية ونوعية الدراسة . والحقيقة التي لا يمكن تجاهلها ان اقلية المصريين آنذاك كانوا يعطون فسي الزراعة ويتحدثون باللغة القبطية بينما يجهلون اللغة اليونانية لغة الحكام الرومان . ومن ثم كان النشاط الفكري للقبط ودراساتهم الالهية يتركز في الاديرة حيث توجد المكتبات الفنية ، واتي في مقدمة هذه الاديرة الدير الابيض بسوهاج . (١) ودير سانت ميخائيل ودير سانت قار في وادي النطرون .

وكان كل دير من هذه الاديرة وغيرها يضم عددا من الرهبان المثقفين الذين يقومون بترجمة الكتب اليونانية الى اللغة القبطية وايضا يقومون بنسخ الكتب القديمة .

(١) ويمر ايضا بدير بوشنود - ويوجد بأخميم طي جبل يسمى جبل اديب غيسى النيل . ويمتاز هذا الدير بحسن البناء وباللون الابيض الذي اشتهر بسبه . ولتحق به افنية واسعة . ويشرف الدير على حقول واسعة مزروعة يحيط بها اشجار النخيل . وتصفه بعض الروايات : " ويجري من النيل خليج طويل المدى كأنه السيف النقي من الصدا . وينتهي الى قلمة مسعدة ومكة فيها امداد المياه مجتمع شرف الدير يفصل بينهما الطريق لا يرى مثل نراهته في زمن الشتاء والرياح . يتضاحك في جنباته النوار ، وتخضوفه شقائق الزروع وتكثر فيه مياه الطهر ويكون من الحسن في غاية تلالا الهصر . انظر : المصري : مسالك الابصار ج١ ص ٣٧٤-٣٧٥

(٢) دير سانت قار من أشهر الاديرة بوادي النطرون بل من أشهر الاديرة المصرية جميعها . وقد جرت المادة بين القبط انه لا تتم بطركية البطرك حتى يقوم القديس في هذا الدير بمد تقديمه في كنيسة الاسكندرية عقب اختياره بطركا ويقول المقرئ ان المقاربات ثلاثة اكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسكندري ثم ابو مقار الاسقف . ووضعت هذه الجث في توابيت خشبية . ويزورها القبط دائما . ويوجد بهذا الدير كتاب عربي من العاص لرهبان وادي النطرون .

انظر المقرئ : المخطوط ج٤ ص ٤٢٩-٤٢٠

وقد اشتهر بمض الرهبان بجودة الخط . ومن الاضلة على ذلك رهبان بيروت وان جنوب
القيروم ويعتبرون من امهر النساخ القبط وأخذتهم . (١)

ويؤكد لنا اهمية الدير في النشاط الفكري والثقافة القبطية ما تشير اليه بمسح

الروايات التاريخية من انه عند غزو القوس لمصر في عهد الرومان - اوائل القرن السابع
الميلادي أخذوا من بين الغنائم كتورا علمية كانت تملأ مكتبات الاديرة . وتقول بمسح
المصادر : " واكبر ما حدث ان الدير الكبير دير الهانطون لم يصل اليه اذى لبعده
عن الاسكندرية . وأغلب الظن ان ما كان فيه من الكتب والمنسوخات لم يمسسه سوء " . (٢)
كما ان القديس يريميزوثيوس اسقف فقط - قد أوصى وهو على فراش الموت بكل ما عنده من
الكتب الى صديقه موسى الذي خلفه مطرانا على الابوشية وكتب ترجمة حياته . (٣)

وهذه الكتبات الديرية كان اهم محتوياتها الكتب الدينية المسيحية التي كان

لزما على الرهبان قراءتها يوميا الى جانب ما يقوم الرهبان بتأليفه من كتب تتضمن اعمال
العهداء . وأخبار القديسين وترجمة المؤلفات اللاهوتية وتراجم طاسر العذاهب الدينية .
وايضا تصنف كتب في الحياة الديرية وقواعدها . ولم يمتن هؤلاء الرهبان بدراسة
التاريخ الا بتاريخ بطاركة الكنيسة القبطية وخاصة رهبان وادي النطرون ولم يمتن
القبط بالملم الاغوى اللهم الا عنايتهم بالطب وبعض تركيبات الادوية القديمة التي
ترجم الى المصر الفرعوني . (٤)

ونلاحظ ان مؤلفات القبط بصفة عامة كانت كثيرا ما تتضمن اشارات الى اسماء
البطالمة ودقلد يانوس وزينون . وبعض الاشارات الجغرافية لارنيا والفرس والحيشة . (٥)

(١) Munier : L'Egypte Byzantine. P. 87.

(٢) بتلر : فتح العرب لمصر ص ٦٧

(٣) نفس المصدر ص ٦٦

(٤) Munier : Op. Cit. PP. 87 - 88.

(٥) Ibid. PP. 88 - 89.

وفي الحقيقة لم يكن الادب القبطى أدبا دينيا فحسبه فقد كانت الاثار الدنيوية في الادب القبطى لا تقل روعة عن الاثار الدينية إذ حفظت لنا بعض الاسرة بعض الادب الدنيوية بالرغم من انصراف القبط في المصور الاولى عن تدوينها لارتفاع ثمن البردى والرقي وقصرهم التدوين على الادب الدينى وهناك كثير من الوثائق والرسائل التي توضح الحياة الدنيوية ونشاط الرهبان في الاديرة . وقد ازدهر الادب القبطى في القرنين الرابع والخامس الميلاديين . ثم خمد هذا النشاط نتيجة لاضطهاد الاباطرة الرومان وحكامهم وامتعضت له البلاد من الغزو الفارسى . (١)

والى جانب الدراسات الادبية للقبط ، آنذاك ، نجد الدراسات الادبية الرومانية الفنية . فقد ورثت الثقافة الرومانية الدراسات البطلمية الى جانب الثقافة الهيلينية . والواقع ان ازدهار الثقافة اليونانية الرومانية في مصر جعلها من اهم مراكز الثقافة والنشاط الفكرى في الشرق حتى الفتح العربى . وكان اهم المراكز العلمية في مصر في ذلك الوقت مدينة الاسكندرية . وظهر من بين الرومان الكتاب البارعون والفلاسفة والمعلماء وكانت لغة هؤلاء هى اللغة اليونانية التي كانت اللغسة الرسمية في مصر في الحكومة والكنيسة والمعاملات والتجارة . (٢) واستمرت هذه اللغة محتفظة بمكانتها بعد الفتح العربى لمصر .

ونلاحظ وجود دراسات ادبية سريانية في القرنين السادس والسابع الميلاديين . ويرجع وجود هذا الادب السريانى الى نتائج غزو الفرس لبلاد الشام وهجرة كثير من العلماء السريان والادبان الى مصر خوفا من اضطهاد الفرس ونقل هؤلاء العلماء والادباء معهم كثيرا من كتبهم وأساليبهم الادبية وقيل هجرة هؤلاء العلماء ، كان في الاسكندرية بعض العلماء السريان الذين قدموا اليها بمخزون واسع علم الطب . وهكذا ظهرت اللغة والادب السريانية في مصر . ولا سيما في الاديرة التي نزلها هؤلاء السريان . وقد قام بعض هؤلاء السريان بترجمة بعض اجزاء الكتاب المقدس وكتب الطب الى اللغة السريانية وقد حفظت

(١) مراد كامل : حضارة مصر في العصر القبطى ص ١١٥-١١٦

(٢) Munier : L'Egypte Byzantine. P. 89.

لنا مكاتب بعض الاديرة . (١)

وهكذا استمرت حركة النشاط الفكرى التى بدأتها المدارس الوثنية تسمى واصلها المسيحيون على مواطنى النهل . فظهرت دراسات فى الفلك والادب والعلوم اللاهوتية والفلسفة والطب وقواعد اللغة وغيرها من مختلف العلوم والاداب التى كانت مصدرا للنشاط الفكرى بعد الفتح العربى لمصر . (٢)

كان الفتح العربى ضربة قوية للادب القبطى ولكنه بالبحث ان صط صخرة عظيمة وخصتان الفتح العربى ساعد على انتعاش اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية ، فقد شهد النصف الثانى من القرن السابع والقرن الثامن الميلاديين (القرنين الاول والثانى الهجريين) نهضة ادبية قبطية عظيمة تجمع بين الطابعين الدينى والدنيوى ، ولعل اكبر المواهب التى ساعدت على هذه النهضة ان نظام الاديرة قد اصبح نفسى ذلك الوقت اقل صرامة مما كان عليه من قبل وانه اتجه للرهبان فرصة القيام بشئى الحرف والاعمال كما سمح لهم بقراءة الكتب الدنيوية فى الاديرة ومن ثم بدأ هؤلاء الرهبان الكتابة والتأليف فى الشؤون الدنيوية . وشجعهم على ذلك ايضا ظهور الورق - الذى حل محل البردى ورخص ثمنه حتى صار فى متناول الجميع . (٣)

وكان الادب القبطى يكتب باللهجة الصعيدية . ونجد فى هذا الادب الروايات القصصية والاشعار الدينية . واشتهر من بين القصص الدنيوية فى الادب القبطى

(١) Ibid., P. 89 ومحمد كامل حسنين : ادب مصر الاسلامية ص ٥

(٢) Munier : Op. Cit. P. 90.

(٣) مراد كامل : حضارة مصر فى العصور القبطية و William, H. Worrell: Short account of the Copts. P. 31.

وفى الترجمة العربية لهذا الكتاب ص ١٢٣ (ترجمة مراد كامل)

قصة ثيودوسيوس وديونيسيوس ، وترجع الى اوائل القرن الثامن الميلادي ،
الثاني الهجري - وطل هذه القصة صانع مصري خدمه الحظ وبلغ منصب امبراطور
اليونان ، ثم حدث بمحض الصدفة ان التقى بصديق قبطى له ، فمئنه رثيما لاساقفة
العاصمة اليونانية ، كذلك نجد من بين الاثار الادبية للقبط بعض اجزاء من قصة
الاسكندر مترجمة الى اللهجة الصعيدية ، وقد اوجع هذه القصة الى بعض الكتاب
القبط بكتابة رواية قبيز والقبطية الاصل ، وهذه القصة والواقع كانت تاريخ خيالها
لشرو قبيز ملك الفرس لمصر ، وتدل هذه القصة على وطنية عظيمة ومدى ما كان يعانسه
القبط من كبت وضغط الحكام الاجانب ، وقد عبره الكاتب فى اسلوب روايته
أدبى رائع . (١)

وفى القرن الخامس الهجرى (الطادى عشر الميلادى) عنى احد الاساقفة
القبط وهو الاسقف انبا اثناسيوس اسقف قوص فى مصر العليا بداسة اللغسة
القبطية وقواعد ها وخاصة اللهجتين الصعيدية والبحيرية على نمط دراسة نحو
اللغة المربية وقواعد ها ، وقد أخذت اللهجة البحرية آنذاك تحل محل اللهجة
الصعيدية فى الاهمية وفى الدراسات الادبية ، وخاصة انها اصبحت لغة الكنيسة
الرسمية منذ عهد البطرك انبا خريستودولس فى القرن الخامس الهجرى (الطادى
عشر الميلادى) . (٢) وكان ذلك فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله .

والرغم من ذلك كان معظم اهتمام القوط فى مصر الاسلامية - كما دتهم
دائما بالعلوم الدينية والكتابة عن اعمال القديسين ومن اشتهر بالورع والتقوى وتركزت
هذه الداسة بصفة خاصة فى دور العبادة ولاسيما فى الاديرة . وكان من مميزات

(١) مواد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ص ١١٦ - ١٢٠
William, H. Worrell : Op. Cit., PP.31-32,35-36

وفى الترجمة المربية ص ١٦٤-١٦٥

(٢) William, H. Worrell : Op. Cit. P. 46

والترجمة العربى ص ١٨١

الادب القبطى القصصى القصيرة لحياة الرهبان فى الاديوة . وكان هذا النوع من الادب يرمى فى الواقع الى التهذيب والاصلاح بين طامة القبط . (١) وكذلك كان القبط كثيراً ما يلقون كتباً فى آداب الكنيسة وطقوس العبادة وما يشابه ذلك من الدراسات الدينية التى كانت تجذب اهتمامهم دائماً . (٢)

وانا كان هو شأن النشر فى الادب القبطى فى مصر الاسلامية ، فانتا نجد ان نظم الشعر كان مقتصرًا على مدح الملائكة والانبيا والقدسيين والشهداء السى جانب الاشعار الكنسية التى تتضمن الصلوات وبعض الزامير من الانجيل وهى هذه الاشعار تسمى (الابصاليات) وهذه التسمية مأخوذة من الكلمة القبطية (بصالموس) ومعناها مزمو . اما الاشعار الاخرى فتسمى (الهومات) وأصلها من الكلمة القبطية (هوس) ومعناها التسبيح . وتتركز هذه الاشعار فى كتابين هما الابصلود يسة السنوية والابصلودية الكيهكية . (٣)

وما يذكر ان الادب الصميدى فى العهد المتأخر قد كتب فى اسلوب شمري وبالرغم من ذلك لم يصلنا من اشعار القبط سوى ما قد كتب بالقيوم . وكانت تمتاز بالصبغة الدينية . ونذكر من الامثلة على ذلك قصة آلام المسيح . وكانت الاشعار الصميدية المتأخرة والاشعار القيوية تكتب فى اسلوب وطنى يحث ولم تلتزم نهج الاشعار الاغريقية . ولم يكن ذلك مصروفًا من قبل فى الوثائق المصرية الاولى . وكانت هذه الاشعار لا تقرب بل تلحن . وتتضمن معانى هذه الاشعار ، الكثير من المعانى الادبية والحكم ، وأولعوا بصفة خاصة بأمثال سليمان وقصة ملكة سبأ ، كذلك كانت قصة قسطنطين وظهور الصليب رواية خيالية ، ولكنها دينية . وأما تصورهم لتاريخ الكنيسة فكان اخلاقياً دينياً معاً . (٤)

The Encyclopaedia of Islam. Vol.2, Art Kibt. P.1002 (١)

(٢) مواد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ص ١٢

(٣) نفس المصدر ص ١٢١-١٢٢

(٤) ولیم وریل : موجز تاريخ القبط ص ١٦٥-١٦٦

وتذكر بعض المراجع الحديثة انه " لا تستطيع اللغة القبطية ان تفخر بشمسرا مجهدين أو مؤرخين متازين أو فلاسفة أو أحد من رجال العلم الفحول • فجمال الاداب القبطية دينية لقله ما كان لدى القبط من طم وفصاحة ما سبب اهمال لغتهم وعدم انتشارها في العالم مع انه لا تكاد توجد لغة أقدم من لغتهم أو أغرب منها أو ذات تاريخ مجيد كاريخها • (١)

واستمرت دور العبادة القبطية - أي الكنائس والاديرة - طوال تاريخ مصر الاسلامية مركزا للدراسة والملم • وكان في كل كنيمة كتاب باللغة القبطية عن حياة الالبا يقرأه القسيس صباح كل يوم • ولا يسمح لاحد منهم ان يقتنيه • وترجمت كثير من هذه الكتب الى اللغة العربية • (٢)

وقد أهتم جل البطاركة بصفة خاصة بدراسة العلوم الكنسية فتحدثت النوايسة القبطية عن اهتمام البطرك شنودة بالمعلم الديني في عهد الامير احمد بن طولبن - فتقول " وكان هذا الاب كثير الاهتمام بالكتب البيعية حتى انه كان له عدة من النساخ ينسخون له كتب • وكان لا يكتب له الا قوم علماء جيديين خبيرين بقراءة الكتب ما خلا مخلوطهم • وكان اذا فرغ له كتاب يفرج به • كما يفرج بينا • بيعة • فيأمر ان يمساغ عليه ذهباً وفضة • • • (٣)

Butler: The Ancient Coptic Churches, T. 2, P. 247.

(١) كان الاهتمام بالدين وما يتعلق به من صفات قدماء المصريين المميزة • والواقع

ان آثار قدماء المصريين ما هي الا مظهر من مظاهر الديانة المصرية القديمة •

وان كل ما ظهر في مصر القديمة من فن وطم كان من اجل خدمة الدين •

ومدنية قدماء المصريين مدنية فنية • ولكنها في الحقيقة دينية قبل كل شيء •

وذلك على عكس المدنية اليونانية التي كانت فلسفية اديبية ومن المعروف ان

الحضارة اليونانية قد التقت بالحضارة المصرية القديمة وامتزجتا ومع ذلك ظل

المصريون يميلون الى الدين وما يتعلق به ولم يتناولوا العلوم الفاصية بشيء •

من الاهتمام • انظر : محمد كامل حسنين : ادب مصر الاسلامية ص ٧

Butler : Op. Cit., T. 1, P. 96.

(٢)

(٣) ابن العلقم : سير الالبا البطاركة م ٢ ج ١ ص ٦٣

وتتحدث الرواية القبطية أيضا عن اهتمام البطرك غبريال بن تريك الذي
عاصر الخليفتين الامر والحاظظ الفاطميين بالمعلوم والكتب المختلفة . فتذكر انه كان عالما
خبيرا وانه كان مجتهدا في قراءة الكتب وتفسير معانيها والبحث عنها ، ناسخ جيسد
قبطى وعربى ينسخ لنفسه كتب كثيرة ومجلدات اشترها من كتب المتيقة والحديثية ،
ما يصلح للبيعة المقدسة والدين المسيحي . . . (١)

ومن بين الموضوعات التي كانت الاديرة مراكزا له واستميا والتصنيف فيها تاريخ
بطاركة الكنيسة القبطية ، وما قاموا به من الاعمال ، وما تم في حياتهم من كرامات
وعجائب ، وكانت هذه السير مكتوبة باللغتين القبطية واليونانية . ويؤكد ذلك
ما ذكره ساويرس بن المقفع في مقدمة كتابه : " سير الاباء البطاركة " حيث انه
لما عزم على تصنيف هذا الكتاب جمع تراجم البطاركة السابقين لعصره من الادييرة ،
وخاصة سير القديس ابي مقارودير السيدة بنمينا رديارات الصمود الى بجانب
ما كان بكنيسة الاسكندرية . وهذه السير والتراجم كانت باللغتين القبطية واليونانية .
وانه عمل بمساعدة بعض اخوانه القبط على ترجمتها الى اللغة العربية لنفسه
المصر الذي كان يعيش فيه (اى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى) (العاشر
الميلادى) ثم اضاف اليها تراجم البطاركة الذين عاصروهم وشاهد اعمالهم وامتروا
لك من الصحاب وما تم على ايديهم من معجزات . (٢)

فلما عزم الشماس موهوب بن منصور بن مفرج الاسكندرانى على تكملة هذا العمل
العظيم الذى بدأه ساويرس قال : " انه لما كان من تقدم من السلف الاخيار
رزقا اللد بركتهم ، قد اهتم وكتب سير البيعة ورتبها وشرح امور البطاركة على كرسى
الفسير ماري مرقس الانجيلي بالاسكندرية وما جرى لهم وما أظهره الله سبحانه على
ايديهم من العجائب وايدهم به من الصبر والجهاد وقوة الامانة وارشادهم لبرعتهم ،
وهدايتهم اياهم الى الامانة المستقيمة وتعليمهم الوصايا الانجيلية كما أمرهم السرب

(١) المصدر السابق م ٣ ص ٢٥-٢٦

(٢) ابن المقفع : سير الاباء البطاركة م ١ ج ١ ص ٨

جل اسمه " انا الخطاط " البائس ان اجمع سيرهم واكتيها ليكون ذلك ربطا لـ
ولمن يقرأها بحدى . . . (١)

وكان مركز نشاط هذا الراهب الاديرة ايضا كمن سبقه وساعده في هذا العمل
الاسقف الذي ساعد ساويرس من قهل في الترجمة الى العربية وهو ابو حبيب ميخائيل
ابن ديرا الذي منهورى ويصف موهوب ما وجدته من هذا السير في الاديرة قائلا : " فوجدنا
به يد السيدة بنميا منها سيره اثنين واربعين بطركا من طارى مرقس الانجيلي السى
سيمون . ووجدنا في دير الشهيد تادرس سيرة اربعة بطاركة من الاكسندروس السى
نظيال وهو تمام ستة واربعين بطركا . ووجدنا في ديرنها ايضا سيرة تسعة بطاركة
من انبا ميخا الى شنودة وهو تمام خمسة وخمسون بطركا . ووجدنا في دير ابي مقار سيرة
عشرة بطاركة من نظيال الساد منوا الخمسون الى سانوتيسوا الضمير والستون كتبها انبا ميخائيل
اسقف تيس وهي بخط لقوط الراهب " فلما جمع هذه السير وبدأ في تكملة الكتاب
بكتابة تراجم من عاصره من البطاركة وما قاموا به من اعمال . (٢)

ومجد ذلك اكمل هذا العمل العظيم يوحنا بن صاعد بن يحيى بن مينا
المصروف بابن القلوص الكاتب . اذ جمع سير البطاركة التى انتهى موهوب من
كتابتها . ثم زاد عليها سير من عاصره من البطاركة وشاهد اعمالهم وحضر قداساتهم
وتحدث معهم . (٣)

ونلاحظ اهمية هذا الكتاب في تاريخ مصر الاسلامية اذ لم يقتصر على ذكر
تراجم البطاركة القهل واعمالهم فحسب بل انه يضم كثيرا من الاحداث السياسية

(١) ابن المقفع : سير الابهاء البطاركة م ٢ ج ٢ ص ١٥٩

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩-١٦١

(٣) نفس المصدر م ٢ ج ٢ ص ٢٢٢-٢٢٣

والاقتصادية والاجتماعية • فراه كثيرا ما يشير الى صلات مصر بالخلافة الاموية ثم
بالخلافة العباسية • ويذكر اسما ولاية مصر وموظفيها الاداريين والماليين • ويتحدث
عن استقلال مصر عن الخلافة العباسية في عهد الامير احمد بن طولون • كذلك تشرى
فيه ما يشير الى خروج مصر وبلادها وما تتعرض له البلاد من سنوات القحط والفناء
ذلك الى جانب روايات كثيرة عن الاعياد والصور الاجتماعية المختلفة ومعرض
جوانب الحياة الثقافية •

ومستطوع القول بان القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) قد تميز
بكتابة ما ظهر فيه من المخطوطات باللهجة الصعيدية في الادب المختلفة • وكان
القبط آنذاك يكتبون على الرق • وكانت الصفحات كبيرة • كما كانت الكتابة
تتميز بالروف الكبيرة • وكانت تختلف كل الاختلاف عن المخطوطات التي ترجع
الى القرن السادس الميلادي مثلا • وكانت هذه المخطوطات تتضمن نصوص
الواقع • الآداب الصعيدية القديمة مثل الكتاب المقدس وسير القديسين والمعظيات
وما الى ذلك • (١)

شهد العصر الفاطمي بصفة خاصة نهضة عظيمة للادب القبطي • وهذه النهضة
تتمثل في توجه الكتب القبطية الى اللغة العربية وتصنيف الكتب الجديدة باللغة
العربية ايضا • ومن هذه الكتب ادب تاريخ القديسين وحياة الاب فنودة والاب باخوم
والاب باخون والاب بيزنيتوس وغيرهم • وهذه القوارير تتضمن اطراة وتقويلا لهؤلاء
القديسين اكثر منه تاريخا أو تراجا لحياتهم • (٢)

وكان من بين العلوم التي يهتم بها القبط • المحر والطب • وكانوا فسي
الغالب ينظرون الى الطب على انه نوع من المحر • ولم يواجه القبط اى اختصاص

(١) ولهم ورك : موجز تاريخ القبط ص ١٨

(٢) The Encyclopaedia of Islam, Vol.2. P. 1002.

على الصل في هذه العبادين ، طوال تاريخ مصر الاسلامية ومع ذلك لم يصل
اليها من كتابات القبط في هذا الشأن الا قدوا قليلا . ولم يكن هناك فاصل
بين النصوص الطيبة وبين النصوص المحرمة . وكانت هذه الكتابات في الغالب تتكون من
فقرات يختص كل منها بمرض أو ألم معين مع الاشارة الى نوع العقاقير المناسبة لمعالجة
ثم تحوى هذه الكتابات على بعض الكلمات البهية بعضها اسما ملائكتها لبعض الاخر
ليس الا خطوطا على هيئة حروف بفرض الابهام وكان القبط يتخذون العقاقير من كل
مصدر ممكن . (١)

ويزه ب بعض الكتاب المحدثين الى ان الثقافة القبطية ه مرت بمراحل ثلاثة :
أما الاولى فكانت قبل الفتح العربي لمصر . وفيها كان الادب القبطى يقف جنبا الى
جنب مع الادب اليونانى وكان مكتوبا على ورق البردى ويرجع تاريخه الى القرن السادس
الميلادى او ما قبله . وفي بعض الاحيان كانت الكتب تجمع بين اللغتين اليونانية
والقبطية . أما المرحلة الثانية فهي مرحلة ضعف شأن اللغة اليونانية وآدابها وانتماس
اللغة القبطية وآدابها عقب الفتح العربى لمصر واستقرار العرب فى البلاد المصرية .
وقد ارتفع شأن القبط اليما قبله آنذاك وكانت الادب القبطية تدون باللغة القبطية
وحد ها دون اللغة اليونانية . اما المرحلة الثالثة فكان القبط خلالها يؤلفون كتبهم
فى مختلف المجالات باللغة العربية . وقد بدأ تقريبا فى أواخر القرن الرابع الهجرى
(المعاصر الميلادى) بعد ان اصبحت اللغة العربية هى اللغة الدارجة فى مصر
الاسلامية . وصارت جميع الكتب فى الدرامات الادبية والدينية تؤلف باللغة العربية
منذ القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) أو قبل ذلك
بقليل . (٢)

وتؤكد لنا البعثات الملحية الاوربية والامريكية الى دير سنت كاترين بعينه
جزيرة سيناء فى المصور الحديثة (اى القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين)

(١) وليم وول : موجز تاريخ القبط عن ١٢٨

(٢) Butler: The Ancient Coptic Churches, T.2. PP.254-255

ان الدير كان دائما المركز الحلقى لصيحي مصر ، وأنه كان يضم مكتبة يوجد بها الكتب الدينية والدنيوية ، وحدث في القرن التاسع عشر ان وصلت بحثات علمية روسية وألمانية الى هذا الدير للاطلاع على ما تضمه مكتبة هذا الدير . ثم جاءت بعثة امريكية في القرن العشرين (سنة ١٩٥٠ م) - بعثة طور سيناء لتطوير المخطوطات بالميكروفيلم واشترك في هذه البعثة احد علماء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وهو الدكتور عزيز سوريال عطية ، الذي وضع فيها رس علمية تحليلية للمخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة هذا الدير والتي ترجع الى أقدم العصور . (١)

وفي آخر ايام سنة ١٩٦٢ م اشترك أحد علماء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ايضا وهو الدكتور جوزيف نسيم مع بعثتي متشيجان وبنستون بأمريكا في القيام ببعض الدراسات الفنية والآثرية والتاريخية في دير سنت كاترين المذكور آنفا . (٢) وقد اسفرت نتائج هذه البعثات العلمية عن مدى ثراء مكتبة الدير الحلقى وما تضمه من المخطوطات والوثائق التي ترجع الى عصور تاريخية مختلفة ، والتي تدلنا على مدى ما كان عليه الدير من أهمية بالغة من النشاط الفكري للقبط في مصر الاسلامية .

وقد اسفرت نتائج هذه الدراسات على ان مكتبة هذا الدير تحتوي على اكثر من خمسة آلاف مخطوط ووثيقة . ويرجع تاريخ هذه المخطوطات والوثائق الى الفترة ما بين القرنين السادس والثامن عشر الميلاديين . وان هذه المخطوطات والوثائق مكتوبة بلغات متعددة هي العربية والصربية والصربية والجورجانية واللاتينية والارمنية والبولونية . واكثر هذه المخطوطات في اللاهوت ، والكتب الكنسية والدينية . ومنها ما هو في الفلك والفقه والموسيقى والرياضة والفلسفة والتاريخ والجغرافية والطب والقانون . أما الوثائق فأغلبها مكتوب باللفظة العربية والقليل منها باللغة التركية وهذه الوثائق في الغالب تتضمن عقودا ومراسيم و منشورات ومناجيات وحجج وأوامر ادارية ، وأقدمها يرجع الى العصر الفاطمي . (٣)

- (١) عزيز سوريال عطية : الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سيناء العربية ص ١٦١
- (٢) جوزيف نسيم : دراسة وثائق المصريين الفاطمي والايوبي بمكتبة سانت كاترين ص ١٧٩
- (٣) عزيز سوريال : الفهارس التحليلية ج ١ ص ١٢-١٧ جوزيف نسيم : دراسة وثائق المصريين الفاطمي والايوبي ص ١٨-١٨١

ومن بين مخطوطات الدير • مخطوطات لا قدم التراجم العربية لبعض أسفار
المعهد بين القديم والجديد بالخطين الكوفي والنسخ • ومن بين هذه المخطوطات
ايضا التراجم العربية لمؤلفات القديس يوحنا الدمشقي الفيلسوف الشهير في عهد
بني امية • وكتاب طب العيون لعلى بن عيسى او كتب الصلوات والتفاسير وتأريخ
حياة آباء الكنيسة وقوانين الرهبان وغير ذلك من الكتب المسيحية البحتة فان مكتبة
الدير تزخر بها • ومن الملاحظ ان هذه المخطوطات تنتهي بما يسمى القلوفونات
(Colophons) ويتضمن بعضها معلومات تاريخية ذات اهمية بالغة
لفهم حوادث العصر الذي يسجل فيه الكاتب ما يتضمنه هذا الجزء الاخير من
المخطوطات • (١)

وما تجدر الاشارة اليه عناية القبط وخاصة الرهبان منهم في الاديرة بتجليد
الكتب والمخطوطات • وزخرفتها • والواقع ان تجليد الكتب وزخرفتها فن مصري
قديم ثم ازدهر هذا الفن في مصر القبطية وخاصة بين الرهبان • وكما ان
اهتمامهم بتجليد الكتب • شأنها شأن عنايتهم بنسخ الانجيل والكتب
الدينية • (٢)

ويؤكد قيام الرهبان في الاديرة بهذا الفن ط تتاز به مخطوطات دير سنت
كاترين من التجليد والزخرفة • ونذكر من الامثلة على ذلك مخطوطات ترجع الى
القرون التاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر الميلادية (الثالث والرابع
والخامس والسادس الهجرى) وموضوع هذه المخطوطات المعهد القديم او مجموعة
مزاهير وما يبع ورسائل بولس والانجيل الاربعة • وغير ذلك من الموضوعات الدينية
البحتة • وقد جاء في وصف بعض هذه المخطوطات انها مغلفة بغلاف خشبي يكسوه
جلد بني داكن • مكتوب عليه بالخط الكوفي • وأحيانا اخرى يكون مكتوب بالخط
النسخ • (٣)

-
- (١) عزيز سوريال : الفهارس التحليلية ج ١ ص ١٤
(٢) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ص ١٧
(٣) عزيز سوريال : الفهارس التحليلية ج ١ ص ١٧ - ٢١ - ٢٢٧

وجاء في وصف بعض المخطوطات الاخرى ان غلافها خشبي يكسوه جلد
بنى ومزين بأشكال هندسية على الطراز العربى ومخشوش بقماش كتابى غليظ ومكسوب
بالخطين الكوفى والنسخ . (١) ومغصها مغلف بغلاف خشبى مكسوب بجلد بنى مزين
بنقوش بارزة ومكتومة بالخط الكوفى . (٢)

وجاء أيضا في وصف بعض هذه المخطوطات ان غلافها من الخشب المكسو
بالجلد البنى الفامق وانه من الواضح انه كان مرصعا بحليات معدنية لم ييسق
منها سوى حلقة واحدة وصلب نطس في منتصف الغلاف الايسر . وكان ذلك فى
القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) . (٣)

ويبدو ان فن تجليد الكتب والمخطوطات فى مصر الاسلامية قد بلغ صداه
فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وان مصر صارت تصدر الى
بلاد الشرق الادنى كثيرا من المخطوطات الذهبية والمصورة الرائعة الجمال . وهناك
انجيل يرجع تاريخ نسخه الى سنة ١٠١٠ م وهو فى جدا بزخارفه وألوانه الزرقاء
والحمراء والذهبية . (٤)

وقد نقل المسلمون عن القبط اهتمامهم بتجليد الكتب والعناية بزخرفتها
ويمكن القول ان المسلمين مد ينون للقبط بمعرفة المصحف اى ما جمع من الصحف بين
دفتى كتاب مقدود . (٥) ونتج عن ذلك عناية المسلمين بتجليد القرآن الكريم ،
شأنهم فى ذلك شأن عناية القبط بتجليد الانجيل والكتب الدينية . وما ورثه
المسلمون عن الفن القبطى فى صناعة تجليد اللسان الذى عرفه المجلدون فى

(١) عزيز سوريال : الفهارس التحليلية ج١ ص ١٤٦

(٢) المصدر السابق ص ١٤٥

(٣) نفس المصدر ص ١٩٤

(٤) زكى محمد حسن : كتوز الفاطميين ص ١٠١

(٥) نفس المصدر ص ١٠٦

في الاديرة القبطية . والواقع ان جلود بعض المطاحف المحفوظة في دار الكتسب
المصرية تدل على الاثر القبطى الواضح . كما ان بعض هذه الجلود مزين بزخارف
نباتية قبطية الطراز . (١) ولعل ذلك ناتجا عن اعتماد المسلمين على
القبط في تجليده كتبهم . في كثير من الاحيان ، أو تأثرهم بالفن القبطى ففى
ذلك الحين .

اذا كان ذلك هو شأن الثقافة والادب القبطان في مصر الاسلامية في ذلك
العصر (من سنة ٢٠ هـ الى سنة ٥٢٧ هـ = ٢٤١-١٢٧١ م) نجد ان اليهود ايضا
كان لهم ثقافتهم وآدابهم الخاصة بهم .

وكما تميزت الثقافة القبطية وآدابها بالاهتمام بالدراسات والمعلم الدينية
فقد اهتم اليهود بالدراسات الدينية والمعلوم المبرية ، والحقيقة التي لا يمكن
تجاهلها اننا نكاد لا نسمع شيئا عن اليهود ودورهم في المجتمع المصرى قبيـل
النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) وعليه نجد ان ازدهار
الدراسات المبرية والادب اليهودى في مصر كان حوالى أواخر القرن الثالث وأوائل
القرن الرابع الهجرى (التاسع والعاشر الميلاديين) . ونلاحظ بصفة
عامة عدم اهتمام مؤرخى مصر الاسلامية ، المسلمين منهم والقبط بالاشارة فمضى
كتبهم الى اليهود ، ودورهم في الحياة المصرية . ومن ثم كان جل اعتمادنا يكاد
يقصر على المصادر الاجنبية الحديثة التي تعتمد على بعض الوثائق والمصادر
اليهودية (وخاصة ال Cairo Geniza) التي نقلت الى اوروبا وأمريكا فى
القرن التاسع عشر الميلادى .

كان جل اهتمام اليهود كما ذكرنا من قبل بالدراسات الدينية المبرية
ومدراسة اللغة المبرية وقواعدها ومدراسة الفلسفة وأدخالها فى الدراسات المبرية .

(١) زكى محمد حسن : بعض التأميرات القبطية ص ١٧١-١٨١

وقد زاد فى نشاط الدراسات الدينية والادبية ما كان بين الريانيين والقراءيين من جدال ومناظرات . وهذا النشاط الفكرى الواضح يتمثل فى جهود أحد اليهود الريانيين ويسمى سعيد الفيومى (وقد تحدثنا عنه فى الفصل الاول من هذا الباب) وقد نشأ بالفيوم ووجد بيئة مناسبة لتوسيع مداركه ومعارفه عن المعلوم والكتب اليهودية . (١)

وقد ألف سعيد الفيومى عددا من الكتب اليهودية باللغة العربية . فكان له مؤلفات فى العقائد والمذاهب ، كما أنه قام بأول ترجمة عربية للتوراه (أى كتاب اليهود المقدس) مع اضافة بعض التعليقات والتفسيرات والشروح لبعض محتوياته ، حتى يسهل على طائفة اليهود فهمه واستيعاب ما جاء فيه . كما قام بدراسة علمية لقواعد اللغة العبرية وصنف معجما لها مع ما يقابلها باللغة العربية أى انه صنف قاموسا عبريا عربيا . (٢)

وكان هذا اليهودى أول من اهتم بدراسة الفلسفة وأدخالها بين الدراسات اليهودية . ومن ثم يعتبر مبتدع الفلسفة الدينية فى العصور الوسطى . كما يتحدث (٣) فى دراسة التلمود الذى يتضمن شرائع وسنن اليهود كما اهتم بدراسة أدب القراءيين .

Mann : The Jews. T.1. P.15. (١)

The Itinerary Benjamin: T.2? P.244 et,
Maurice Fargon: Les Juifs, P.115. (٢)

(٣) القراءون أحد طوائف اليهود الثلاثة - الريانيون والقراءون والسامريون وكانت لهم مدارسهم الخاصة فى الدراسات العبرية والادب اليهودى . ونبغ منهم فى اوائل القرن الحاشر الميلادى عدد كبير منهم سلطان بن جروهمام

Soloman b. Jeroham - الذى كان أول من صنف كتابا فى تفسير التوراه وناقش ايضا الكتب التى تدور حول المعتقدات ومنهم أيضا مينا هم غزنى Menahom Gizni فى مدينة الاسكندرية واشتهر بنظم الشعر . وازدهرت مدارس القراءيين فى الاسكندرية فى القرن ١٢م . انظر The Jewish Encyclopaedia, Vol.V., P.70

وصنف كتابا في صلوات اليهود وما تجب ان تكون عليه صلاة اليهودى الورع. (١) وقد زاد اهتمام اليهود بدراسة الكتب المقدسة والكتب الدينية في آواخر القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وكان على رأس اليهود المهتمين بذلك شطاريا بن الحاشان Shamarya b. Elhanan وكان واعظا مشهورا ، امتاز بمواعظه وخطاباته وشرح حسه وتفاسيره لكثير من الامور الدينية حتى انه اشتهر بتأسييس مدرسة لدراسة التوراه انضم اليها اليهود المتحمسون لتعاليمه وآرائه. (٢) كما اهتم بعضهم بتصنيف الكتب في الطقوس الدينية. (٣)

وهكذا مارس كل من القبط واليهود نشاطهم الفكرى فى مختلف الميادين بسن بحرية كاملة دون محاولة من جانب الحكام المسلمين فى مختلف المصور لابقاف هذا النشاط أو اضعافه ولعل ذلك يؤكد ما نراه من انه من التصير قبول الروايات التاريخية المتأخرة القائلة بان العرب قد احرقوا مكتبة الاسكندرية عقب استقرارهم فى مصر. وموضوع حريق العرب لمكتبة الاسكندرية قد افاض بعض المؤرخين المحدثين البحث فيه (٤) ورأوا جميعا عدم التسليم بهذا الاتهام الباطل. وفندوه بأراه وحجج مختلفة.

وما لاشك فيه ان التأثير والتاثر كان متبادلا بين المسلمين والقبط طوال تاريخ مصر الاسلامية. فالعرب كما ذكرنا - انما - لم يتعرضوا للنشاط العلمى لاهل الذمة فى مصر ، وشركوهم يبحثون فى الميادين الفكرية المختلفة الادبية والمقلية التى عمل العرب على الاستفادة منها . وحسبنا دليلا على ذلك ما ذكره ابن النديم (٥)

Maurice Fargon : Les Juifs. P. 115. (١)

Mann : The Jews, T. 1, PP. 27 - 28. (٢)

Ibid. P. 28. (٣)

سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٣٣-٣٢٦ - بغلر : فتح العرب (٤)

لمصر ص ٣٤٨ - ٣٢٠ ابريس جيب العصرى : قصة الكنيسة القبطية ، الكتاب

الثانى ص ٢١٥-٢٢٠

(٥) الفهرست ص ٣٥٢ - مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

من ان خالد بن يزيد بن معاوية لما رغب في دراسة علم الكيمياء والاحاطة بكل جوانبه استعان ببعض المصريين المشهورين في هذا الميدان . وكان هؤلاء المصريين في الغالب من الفلاسفة اليونان الذين فضلوا البقاء في مصر في ظل الحكم الاسلامي . وألم الكثير منهم باللغة العربية . فعهد اليهم خالد بن يزيد بترجمة الكتب اليونانية والقبطية التي صفت في هذا الميدان (اى ميدان الكيمياء او الصنعة كما يسميها العرب) الى اللغة العربية وذلك حتى يمكنه دراستها والاستفادة بما جاء فيها . كما كان ذلك اول ترجمة من اليونانية والقبطية الى اللغة العربية .

لم يقف الامر عند هذا الحد بل نجد ان القبط الذين تحولوا الى الاسلام أو الذين ينحدرون من أصل قبطي ، وأسس لهم اجدادهم ، قد شاركوا في الحياة الادبية العربية مشاركة واضحة فعالة . وأقبلوا على دراسة العلوم الاسلامية وظهر هذا واضط منذ آواخر القرن الثاني الهجري فقد تفوق مثالا في قراءة القرآن ، أحد المصريين المنحدرين من أصل قبطي وهو عثمان بن سعيد الملقب بورش . وقد انتهت اليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية . وكان الى جانب ذلك متميزا في علوم اللغة العربية وآدابها وتوفى ورش في سنة ١٩٧ هـ . (١)

وظهر ايضا من بين المصريين من له شأن في اللغة العربية وآدابها
وتفسير المصادر الى ما يوضح ذلك . فحين قدم الامام الشافعي مصر (وهو
الامام الحجة في اللغة العربية وعلوم الدين) التقى باحد المصريين ويعرف باسم
سرج الفول وكان حجة في فقه اللغة ، وقد اشتهر ان الامام الشافعي بسره
وكان يذاكره وينظره ويبدى اعجابيه بنخزارة علمه . (٢)

(١) ابو المطمئن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦ - السيوطي : حسن المطهرة ج ١ ص ٤٨٥ - احمد امين : ظهرا لاسلام ج ١ ص ١٦٣ - ويقال انه لقب بورش لشدة بياضه وقيل انه لقب ايضا بالورشان وهو طائر معروف ثم خفف الى ورش . انظر السيوطي : حسن المطهرة ج ١ ص ٤٨٥ .
ابو المطمئن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٥٥

(٢) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص ٢٥٢

ومن نبيغ من المصريين وشارك في الحياة الادبية العربية في القسطنطينية
الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري ابو عبد الله احمد بن يحيى التجيبي
ولاء البصري الحافظ النحوي احد الائمة . وكان اكثر اهل زمانه الناطق بالشعر والادب
والتاريخ والعلوم الدينية . وفي هذا يشهد باشتراك مصر في الحركة الادبية العربية
اشتراكا قويا منذ ذلك العهد . (١)

كذلك شهد عصر الولاة العباسيين نبوغ بعض العلماء المسلمين الذين
ينحدرون من اصل قبلي . ومن أمثلة هؤلاء ابن الفطاس سميد بن زياد . وكسان
من اهل الديانة والفلسفة . كما كان له حلقة في المسجد يلقى فيها دروس الفقه . وايضا
سميد بن تليسد . كاتب القضاة في عهد لهيعة بن عيسى ويحيى بن بكير الفقيه
المؤرخ وأحد تلامذة الليث بن سعد . ومن أساتذة المؤرخ المصري عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الحكم . هؤلاء جميعا أحسنوا دراسة اللغة العربية والمعلوم
الاسلامية . (٢)

ولا غرو فان انتشار اللغة العربية تدريجيا كان طاملا مساعدا على وجود
بعض فقهاء في اللغة القبطية من القبط وأصبحوا في المقدمة بين فقهاء النحويين
واللغة . وقد تشبع هؤلاء بالثقافة العربية . وأخذوا علماء النحو العرب نموذجاً
لهم يعملون على نمط أعمالهم في دراسة نحو اللغة وقواعدها . واول من نبغ
في ذلك اثناسيوس في القرن الخامس الهجري (الطادي عصر الميلادى) وألف
اثناسيوس كتاباً في نحو اللغة القبطية وقواعدها كما يفعل العلماء المسلمون في دراسة
قواعد اللغة العربية ونحوها . (٣)

(١) سيدة كاهن : مصر في فجر الاسلام ص ٢٦١

(٢) محمد كامل حسنين : أدب مصر الاسلامية ص ١٤٥

(٣) Worrell : A Short Account of the Copts. P. 45, and
The Encyclopaedia of Islam, Vol.2. P. 1003.

وظهر بوضوح عناية من أسلم من أهل الذمة بالدراستات الإسلامية الدينية والادبية منذ أواخر عهد الامراء الاخشيديين وطوال عصر الخلفاء الفاطميين بصفة خاصة . ونذكر من أصدق الامثلة على ذلك يعقوب بن كلس اليهودى الاصل الذى أسلم فى امانة كافور الاخشيد فى منتصف القرن الرابع الهجرى . (العاشر الميلادى) فيقول ابن سعيد الانطاكى (١) كان يعقوب بن كلس يحب المعلم وأهله ويقرب اليه أهل العلم والادب . وبلغ ما كان يجزبه الوزير شهريا على أهل العلم من المقربين اليه والوراقين والناسخين ومجلدين الدفاتر ، ألف دينار فى كل شهر .

ولما تحول يعقوب بن كلس الى الاسلام باد ريد راسة القرآن وتعلم على علماء الفقه والنحو وسائر العلوم الاسلامية . (٢) ولما ارتفع شأنه فى عهد الخليفتين الفاطميين المعز والمعزى زادت عنايته بالدراستات الاسلامية الدينية والادبية . كما عنى بدراسة الطب وقرب الاطباء اليه . وتذكر المصادر انه كان يجمع الاطباء فى داره كل يوم ، ليشرفوا على حلة الفلمان الصحية ، وعلاج من يحتاج العلاج منهم . (٣)

ويبدو انه كان فى داره مكان مخصص للمعلماء والادباء والشعراء والفقهاء وكان يجتمع بهؤلاء مرة كل اسبوع ، ويمتد معهم المجالس والمواظرات العلمية . كما كان يخصص فى داره مكان للنساج ومنهم من أخص بنسخ القرآن ، أو بنسخ كتب الفقه والنحو ، أو نسخ كتب الطب أو كتب الادب والحديث وغير ذلك من مجالات الفكر . وكان هؤلاء يمارضون الكتب ، اى يوازنون بين نسخ الكتاب الواحد ، ويشكلونها ، وينقونها . (٤)

(١) صلة تاريخ اوتياخا ص ١٦٤

(٢) ابن زولاقي : كتاب اخبار سيمويه ص ٧٥

(٣) المقرزى : الخطط ج ٣ ص ٨

(٤) نفس المصدر ص ٩٨

وامتدت عناية ابن كلس بمختلف المعلم والاداب الى تأليف كتب في
الدراسات الاسلامية ومنها كتاب في القراءات وكتاب في الاديان وآخر في آداب رسول
الله ورايع في علم الابدان وصلاحها ومطامير في الفقه (١) وهذا الكتاب الاخير
فرغ ابن كلس منه في سنة ٣٧٠ هـ في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله . وقد
قرأه على جماعة من الفقهاء وأهل الفتيا . وقال انه أخذ هذا الكتاب عن الخليفة
العزيز بالله عن آباءه الكرام . واشتهر هذا الكتاب باسم الرسالة الوزيرية . وقد اجتمع
على تصنيف هذا الكتاب اربعمون فقيها . (٢)

والى جانب ذلك كان ابن كلس يجلس كل يوم جمعة في الجامع ويقدم
مصنفاته المختلفة على الناس ويجلس اليه القضاة والفقهاء والقراء واصحاب الحديث
والنظة والشهود . ومنه ان ينتمى ما يقرأ ينشد بعض النظم في مدحه والاشادة
بأعماله . (٣)

ويبدو ان ابن كلس كان ينشد الشعر . فتشير بعض المصادر الى انه كان
له وللخليفة طيور حصة يعني كل منهما بتربيتها وكان يجرى بينها سباق . فحدث
ان سبق طائر ابن كلس طائر الخليفة . مما أغضب الخليفة واتاح الفرصة لبعض
خصوم ابن كلس للمطعن فيه لدى الخليفة . فأنشد ابن كلس قائلا :

قل لأمير المؤمنين اندي	له المولى والنصب الثاقب (٤)
طائر ك السابق لكنسه	جاء وفي خدمته الحاجب

(١) المقرئى : الخطط ج٣ ص ٩

(٢) ابن الصيغى : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٢٢

(٣) المقرئى : الخطط ج١ ص ٩

(٤) ابن زولاق : اخبار سيويه ص ٧٥

واستفادت مكتبة القصر الفاطمي استفادة عظيمة من شرف ابن كلسي العلم
والاداب ، وولعه بجمع الكتب المختلفة ، ونقلت معظم كتبها الى مكتبة القصر ،
بعد وفاته ، حيث استفاد منها الفقهاء والعلماء ، وكتاب الحديث والادب
والطب . (١)

ومن الذين تحولوا الى الاسلام ، وعنوا بالدراسات الدينية ابو علي
الحسن بن ابي محمد ابراهيم بن سهل التستري وكان يهوديا ثم اسلم في عهد
الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وعنى بدراسة القرآن وحفظه . (٢) ومنهم
ايضا ابن ابي زكريا بن ابي غالب ، وكان قبطيا ، واسلم في عهد الخليفة الحاكم
بأمر الله ، وعنى بدراسة العلوم الاسلامية الدينية - فحفظ القرآن ونسخه بخطه
ودرس كتب الحديث والفقه ، وصنف كتباً في هذه المجالات . (٣) وهكذا ساهم
القبط واليهود الذين تحولوا الى الاسلام بدور فعال في الحياة الثقافية ،
والنشاط الفكري في مصر الاسلامية الى جانب نشاط القبط في العلوم والاداب في
دور المباداة ، ونشاط اليهود ايضا في الدراسات العبرية .

والى جانب الدور الذي قام به أهل الذمة في مصر وخاصة من اسلم منهم
في الدراسات الاسلامية الدينية واللغوية ، كان هناك اهتمام بالعلوم الفلسفية
التي كانت تشمل دراسة الطب والفلك والالهييات وما الى ذلك . وهذه الدراسات
في الواقع من بقايا مدرسة الاسكندرية التي ضعف شأنها بعد الفتح العربي
جانب اقبال المصريين على الثقافة العربية وتعلمهم لغتها ، والبحوث

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٤٣٢

(٢) ابن الصيرفي : الاشارة الى من نال الوزارة ص ٥٧

(٣) ابن زعيدي الانطاكي ص ٢٣٨ - وقد عاد الى المسيحية في خلافة الظاهر
والتص منه المسلمون ان يعيد اليهم ما كتبه وما اقتناه من العلوم
الاسلامية .

في علومها الدينية • بينما اهتم رجال الدين المسيحي بدراسة الفلسفة وغيرهما من العلوم • وقد ساعدهم على ذلك اختلاف العقائد والمجادلة بين المذاهب المسيحية المختلفة اذا التجأ كل مذهب الى الاستعانة بالفلسفة اليونانية في تأييد رأيه • نضيف الى هذه الميادين ايضا اهل الذمة • وكان علمهم فيها يتطلب قراءة الفلسفة اليونانية • (١) وسنذكر اشارة لاشهر الاطباء من اهل الذمة في مصر الاسلامية •

وشارك بعضها القبط واليهود في مجالس الادب والعلم في بلاد الاسكندرية والخلفاء المسلمين وفي مقدمتهم احمد بن طولون الذي كان مولعا بوعرفسة علوم المصريين وآثارهم وتاريخ مصر وجغرافيتها • فاستدعى الى دار الامارة احمد القبط اليمانية • وكان مقيما في بلاد الصعيد — وكان مشهورا بالعلم وبدراسة المذاهب الفلسفية والعلل والنحل المختلفة طالما بأخبار البلاد والملوك والفلك والتجوم وغير ذلك من العلوم • وقد استفسر منه الامير ابن طولون عن كثير من اخبار مصر وجغرافيتها • (٢)

وكان احمد بن طولون يدعو هذا القبطي الى مجالس العلم والادب • فيشترك في المناظرات والجدل بين العلماء والمسلمين او بين القبط واليهود • وقد سأل ابن طولون عن مهمة دين النصرانية • (٣) وكان من بين الحاضرين طبيب

(١) احمد امين : ظهر الاسلام ص ١٧٣ — ١٧٤

(٢) المسعودي : موج الذهب ج ١ ص ٣٤٧ — ٣٥٣ — الاستبصار في عجائب الاصار ص ١٠٦ — ١٠٣

(٣) المسعودي : موج الذهب ج ١ ص ٣٥٣ — اجاب القبطي على سؤال ابن طولون قائلا * دليلي على صحتها وجودي اياها متناقضة متنافية تدفعها المقول وتفقر منها النفوس لتباينها وتضادها لانظر يقويها ولا جدل يصححها ولا برهان يعضدها من العقل والحس ضد التأمل لها والفحص عنها • ورأيت مع ذلك امما كثيرة وطوكا عظيمة ذوى معرفة وحسن رأى قد انقادوا اليها • وتدبئوا بها فعلمت انهم لم يقبلوها ولم يتدبئوا بها • الا لدلائل شاهدة وها وآيات علموها ومعجزات عرفوها أوجبت انقيادهم اليها والتدبير

الأمير اليهودي سعيد بن نوفيل - فاستأذن ابن طولون في مناظرة هذا القبطي الذي أخذ يحط من شأن اليهود. (١) ، وأقام هذا القبطي في ضيافة الأمير ابن طولون ما يقرب من سنة ثم طرد إلى بلاده مكرماً. (٢)

لعلنا في دراستنا لدور أهل الذمة في الحياة السياسية ، ان المستخدم من القبط واليهود كان يخدم كل منهم اخوانه في الدين ويواعون مصالحهم - وقد علا شأن كل من القبط واليهود في عصر الخلفاء الفاطميين ، وقامت المناظرات بينهم ، إذ كان كل فريق منهما - أي القبط واليهود - يحتق على الفريق الآخر ويحمده لمكانته لدى الخلفاء ، وطلب بعض اليهود من الخليفة الممزر لدين الله ان يسمح لهم بمناظرة القبط في حضرته فكان ذلك. (٣)

ومن ثم كان كل من اليهود والقبط يعلم بعلم الدينيين اليهودي والمسيحي ويعرفون ما جاء في التوراة والانجيل وتصدى كل فريق منهما للمجلاة الفريق الآخر والحط من شأنه وأبراز ما يراه نقائص في دينهم ، وكثيراً ما شتم بلاط الامراء بالخلفاء المسلمين مثل هذه المناظرات والمجادلات الدينية.

بها فلما سأله الأمير عن الفضاد الذي فيها قل : وهل يدركه أو يعلم غايته منها قولهم بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووضعتهم الاقانييم والجوهر ، وهو الثالث وهل الاقانييم في انفسها ظاهرة عالمة ام لا ؟ وفي اتحاد ربهم القديم بالانسان المحدث وما جرى في ولادته وصلبه . . . ووصف للامير ما حدث في صلبه .

انظر : نفس المصدر السابق ص ٣٥٣-٣٥٤

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ١ ص ٣٥٤-٣٥٥

(٢) نفس المصدر ص ٣٥٥-٣٥٦

(٣) ابن المقفع : سير الابطاء البطركة م ٢ ج ٢ ص ٩٢-٩٦ وص ٣١٠-٣١١
Le Synaxaire Arabe Jacobite, T.2, PP.310-311.

وهكذا كان لاهل الذمة في مصر الاسلامية نفاطهم الفكرى الذى تميزوا
بالاهتمام بالدراسات الدينية خاصة الى جانب بعض الدراسات الادبية الدنيوية
وكانت مراكز نشاطهم في دور عبادتهم المختلفة التى اشتهرت بالكتبات الفنية القيمة
وضمن الكتب والمخطوطات في مختلف المجالات. هذا الذى جانب مشاركة البعض
منهم في الثقافة العربية وقيامهم بدور له اهميته في الدراسات الاسلامية المنشورية
والادبية . واشتهر من بينهم كثير من المفكرين والكتاب والاطباء .

٤- دور الصحابة والتابعين والقضاة

في التمريب وفي النهضة الفكرية

ظفرت مدينة الفسطاط بمدد كبير من الصحابة الذين وفد بعضهم مسرع
الجيش العربي الفاتح الى مصر ، ومن هؤلاء الصحابة من كان يفتى زمن النبي (صلم) ^(١)
وكافت له به صحة ، ومن أبرز هؤلاء " عمرو بن العاص " قائد الجيش العربي
الاسلامي الذي فتح مصر وأميرها بعد الفتح - وقد استقر بمدينة الفسطاط بمسجد
تأسسها " (١) " ومنهم ايضا " ابو هريرة القنوي سنة ٥٨ هـ بالمدينة المنورة
صاحب الرسول (صلم) - وقد زار مصر وصى في مسجدها ووقف على قبلة " (٢) "
وكان فقيها مجتهدا ، حافظا " (٣) " وكان " عبد الله بن عباس بن العباس بن المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم الرسول " (٤) " صاحب
فقه " (٥) "

(٦) وكان عبد الله بن عباس قد دخل مصر مرتين في اثناء خلافة عثمان بن عفان

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٩٥-٩٦ - ابن حجر : الاصابة
ج ٢ ص ٣ - السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٩٦ - ابن حزم : الاحكام
في اصول الاحكام ج ٥ ص ٩٢

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ص ٢٢٩ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر
واخبارها ص ٢٨٢ - الذهبي : سير اعلام النبلاء ص ٤١٢ - السيوطي :
حسن المحاضرة ج ١ ص ١٠٨ - ابن حزم : الاحكام ج ٥
ص ٩٢

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٢٦ - الذهبي : سير اعلام
النبلاء ج ٢ ص ٤١٢

(٤) ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٢ ص ٣٤٢ - ابن حجر : الاصابة ج ١ ص ٩٦
- ابن الاثير : اسد الغابة ج ٢ ص ٩٢ - السيوطي : حسن المحاضرة
ج ١ ص ١٠٩

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١١ - ابن حزم : الاحكام ج ٥ ص ٥٣

(٦) ابو المظن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١٥-١١٦ - السيوطي : حسن
المحاضرة ج ١ ص ٩٠

(٢٤-٣٥ هـ) وكان واسع المعرفة متبحرا في الفقه وتفسير القرآن (١) وقد كان مجلسه ظاهرا باصطحاب الفقه الذي كان يتناول هو مسائله (٢) وكان مجلسه لله ابن عباس أعلم الفقهاء بسياسة أبي بكر وعمه يقضائهما ولم يكن أحد أفقه فسي رأى منه ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه الفقه (٣) وقد ألفت حوله المصريون للاستفادة من علمه (٤)

كان أعظم الصطبة شأنا وأعظم أثرا في الحياة الفقهية بمدينة الفسطاط عتبة ابن طمر الجهنى وعبد الله بن عمرو بن العاص الذي أتبع أهل مصر فتاويه (٥)

أما عتبة بن طمر الجهنى "ابو عمرو" فقد تولى إمارة مصر من قبل الخليفة الاموي معاوية بن أبي سفيان على صلاحها وخارجها ٤٤ هـ (٦) وقد اتصل بالمصريين وكان يفقيههم (٧) فقد كان عتبة "طالما بالفرائض والفقه" (٨)

وقد صار بمصر "مفتى البلد" وكان فقيه مصر من غير مدافع (٩) وكان عتبة يفتى في المسائل الفقهية التي كان يتعرض لها في مجالسه (١٠)

-
- (١) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ١١٥-١١٦-السيوطي : حسن المطهرة ج١ ص ٩٠
 - (٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٤٤٠
 - (٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج١ ص ٣٦٨
 - (٤) السيوطي : حسن المطهرة ج١ ص ٩٠
 - (٥) المقرئى : الخطط ج٢ ص ٣٣٣
 - (٦) الكندى : الولاة ص ٣٦ و٣٧ - ابن حجر : الاصابة ج٢ ص ٤٨٢ - ابوالمحاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ١٤٥
 - (٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٥٩
 - (٨) الكندى : الولاة ص ٣٧ - ابن حجر : الاصابة ج٢ ص ٤٨٢
 - (٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٤ - الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٤
 - (١٠) المقرئى : الخطط ج١ ص ٣٠١
 - (١٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٨٧-٢٩٣

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يفتى في الصحابة * (١).

وتذكر الروايات ان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر عمرو بن العاص وعقبه ابن عامر الجهني ان يحكما بين خصمين وقال لهما : ان اصبحتا فلكما عشر حسنات وان اخطأتا فلكما حسنة واحدة * (٢) وفي صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم اذن النبي (صلم) لعبد الله بالكتابة عنه في عامة احواله : قال ابن عباس : انه كان يسأل رسول الله (صلم) في مسائل الحلال والحرام ودون ذلك في صحيفته الصادقة * (٣)

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص هو الفقيه الذي اتبع اهل مصر اكثر فتاويه يقول المقرئ * ان التابعين من اهل مصر كانوا يتبعون في الاكثر فتاوى عبد الله ابن عمرو بن العاص رض الله عنهما * وذلك لان كل طبقة من التابعين في البلاد انما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة * فكانوا لا يعتمدون فتاويهم الا اليسير مما بلغهم عن غير ما كان في بلادهم من الصحابة رض الله عنهم * (٤)

قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (٥) المتوفى سنة ١٨٢ هـ - انا فسي مصر فقد كان هذا الصطبي (عبد الله بن عمرو بن العاص) استاذها الاول صاحب الاثر الاقوى بين تابعيها * وفتاويه تخرج أغلب فقهاءها * (٦)

-
- (١) الذهبي : سير اعلام النبلاء ج٣ ص ٥٣ - الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ١٣
 - (٢) الامدي : الاحكام في اصول الاحكام ج٤ ص ٢٣٦-٢٣٧
 - (٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص ٣٧٣ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٣٦ - ابو المطمن : النجوم الزاهرة ج١ ص ١٧١ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ٩٢ - الاتقان ج١ ص ٧٠ - محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ج١ ص ١٨٦
 - (٤) المقرئ : الخطط ج٢ ص ٣٣٣
 - (٥) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المتوفى سنة ١٨٢ هـ المفسر المدني صاحب كتاب النسخ والمنسوخ وكتاب التفسير (ابن النديم / الفهرست ص ٢٢٠)
 - (٦) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج٦ ص ١٧٨
 - (٦) المقرئ : الخطط ج٢ ص ٣٣٣

كان امير المؤمنين "المخليفة عمر بن الخطاب" يحرص على ان يعلم المصريين اصول الدين الاسلامي . لذلك فقد ارسل الى اهلها "عبد الرحمن بن مطجم المرادي الخارجي من قدماء التابعين والمتوفى سنة ٤٠ هـ وكان من قراء القرآن وأهل الفقه وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص - امير مصر - يأمره ان يقرب دار ابن مطجم من المسجد . لكي يعلم الناس القرآن والفقه ففعل عمرو . . . (١)

ولاشك ان مصر "الفسطاط" كانت في أشد الحاجة الى التشريع العلمى لان استنباط الحكم من مصادره الاصلية وتطبيقه يكون اقوى أثرا في توجيه الحياة الفقهية وتنظيمها . لذلك اهتمت الدولة الاسلامية الناشئة بهذا الشأن - واتجهت الى تعيين القضاة والفتيين في الامصار الاسلامية - هذا الى جانب وجود افسراد غير معينين من قبل الدولة استفلوا بالفتوى بما كان لهم من قدرات علمية توفرت على دراسة النص القرآنى واستنباط الاحكام منه بالرجوع الى مصادرها الاصلية وكان ممن هؤلاء كثيرون من استقروا بالفسطاط وصار لهم شأواً بعيدا في ميدان الاجتهاد الفقهى . . . وكان الناس يستفتونهم فيفتون لا يتفتون من وراء ذلك غير ايسر الا لاغ الامانة وما توصلت اليه قرائحهم من احكام .

ومن أبرز الفقهاء الذين تأوا بأنفسهم عن وظائف الدولة واستقروا بين الاهالى يفتونهم "ابو الخير مرتد بن عبد الله اليزنى الحميرى التابعى المصرى المتوفى سنة ٩٠ هـ الذى كان مفتى اهل مصر في زمانه" . (٢) فقد تلمذ على ائمة الفقه فسى مصر والذين كانوا من أبرز فقهاءها مثل عتبة بن عامر الجهنى وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان يلزم عتبة ولا يفارقه . (٣) وقد بلغ من عظم شأنه فى مجال الفقه وتوافره

-
- (١) السمعاني : الانساب ص ٤٣٥ - ابن دقطاق : الانتصار ج ٤ ص ٦
 - (٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٣ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٨٢ - المقرئى : الخطاط ج ٢ ص ٢٥٤ - السيوطى : حسن المطهرة ج ١ ص ١١٨ - السيد احمد خليل : الليث بن سعد ص ٣٧
 - (٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٣ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٨٢

على دراسة النحر القرآني * ان عبدالمعز بن مروان والى مصر فى تلك الفترة وأميرها الاموى - كان يحضر مجلسه لسمع منه ، فقد كان رجلاً صدق - وكان عبدالمعز بن مروان يجلسه للفتيا * . (١)

ومن هؤلاء الفقهاء ايضا * بكر بن سواد الجذاهى المصرى الفقيه ، الذى كان مفتى اهل مصر ، قال حيان انه كان من ثقات مصر وأفضل قرائهم وقد توفى سنة ١٢٨ هـ) . (٢)

وفى مجال القضاء كانت الدولة تعين القضاة وتخول لهم حق الافتاء فيما يعرض لهم من مشاكل أو نزاعات فقد كانوا يمثلون الفقه الاسلامى فى مراحلها الاولى ، وربما قد طبقوه بهذه الصور فى مصر - ولا شك انه قد امتازت منهم جماعة بالاجتهاد والمشاركة العميقة فى تدبير شئون الحياة العملية وتنظيمها على أسس مدروسة ومن هؤلاء القضاة * سليم بن عمار التجيبى - قاضى مصر وقاضها وتاسمها * . (٣) وقد ولى قضاء مصر من قبل معاوية بن ابي سفيان سنة أربعين وكان قبل القضاء قاضاً فجمعا له وصار ذلك له الى سنة ستين * . (٤)

وكان سليم بن عمار اول قاض بمصر سجل سجلاً بقضائه * فقد ذكر ابن ابي عمير ان معاوية بن ابي سفيان كتب الى القاضى سليم بن عمار يأمره بالنظر فى الجراح وان يرفع ذلك الى صاحب الديوان وكان سليم اول قاض نظر فى الجراح وحكم فيها - قال ابو ميسرة : فكان الرجل اذا اصاب فجرح آتى الى القاضى وأحضر بيته على الذى جرحه فيكتب القاضى بذلك الجرح قصته على عامله الجراح ويرفعها الى صاحب الديوان فاذا حضر العطاء اقتصر من اعطيات كثيرة الجراح ماوجب للمجروح ،

- (١) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٢ ص ٣٠٣ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج١ ص ٨٢ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١١٨
- (٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٦٢
- (٣) الكندى : اللواتك كتاب القضاة ص ٣٠٣ - ٣٠٦ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٦١
- (٤) الكندى : المرجع السابق ص ٣٠٣ - ٣٠٦

وينجم عن ذلك في ثلاث سنين ، فكان الامر على ذلك * (١) .
 نتبين من النص السابق ان هذا القاضي قد غنى بأحوال الشهود - وتدوين بيانات المجنى عليه لتكون هناك بينه عند الحكم للقصاص ويوضح هذا ما وصل اليه نظام القضاء من رقى في الفترة المبكرة من تاريخ مدينة القضاة . . . ويبدو انه كان هناك من يقوم بمساعدة القاضي في تسجيل احكامه بسرعة الحكم على المجرورين . وقد فرضت لهؤلاء الساعدين رواتب معينة . . . فيقول : زيد بن بشير مانعه : " ادركت رجلا في بيت العال اذا شجع الرجل أو جرح بمثبه القاضي الى ذلك الرجل فيقول : هذه موضحة وهذه مفتعلة وهذه كذا وهذه . . . كذا . . . فيكتب القاضي بديه ذلك الجرح الى صاحب الخراج ، قال زیده وكان على ذلك الرجل ارزاق بطرية . . . * (٢)

وكان سليم بن عتر يسجل أفضيته عندما تموض عليه مسألة يقضى فيها وسدون احوال الشهود في القضية . يروي عبدالرحمن بن حجيرة : انه اختم الى سليم ابن عتر في ميراث ففنى بين الورثة . ثم تناكر فعادوا اليه ففنى بينهم وكتب كتابا بقضائه واشهد فيه شيخو الجند . قال : فكان اول القضاء بمصر سجل سجلا يقضائه . (٣)

وكان قيس بن العاص الفهري اول قاض بها في الاسلام وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتوليته اول سنة ثلاث وعشرين * (٤) . وكان قد شهد فتح مصر مع يبيموكان شريفا سرايا . واول من بنى بمصر دارا للضيافة * (٥)

وكان عبدالرحمن بن حجيرة الخولاني فقيها من أفقه الناس * (٦) . وكان قد ولي القضاء بمصر من قبل عبدالعزیز بن مروان سنة ٦٩ هـ ومات بمصر وهو قاض سنة ٨٣ هـ فوليها اثنتي عشره سنة * (٧)

-
- (١) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٣٠٩
 - (٢) الكندي : المرجع السابق ص ٣٠٩
 - (٣) الكندي : المرجع السابق ص ٣١
 - (٤) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٣٠٠ : ٣٠١ - السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٥
 - (٥) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٢٥
 - (٦) الكندي : الولاة وكتاب القضاة ص ٣١٤
 - (٧) الكندي : المرجع السابق ص ٣١٤ - ٣٢٠

وقد كان ابن حجيرة قاضي مصر وقاضها وامين بيت المال فيها * (١)

وقد كان ابن حجيرة تلميذا لابي ذر * وابي هريرة وثقة بن عامر وعبد الله بن عمرو وغيرهم * (٢) وهم من أئمة الفقه والفتوى * ويبدو ان ابن حجيرة قد بلغ قدرا عظيما من الاجتهاد والتفقه * فقد اجازه ابن عباس امام اهل المدينة وخيره عمن نفسه فروي عبد الله بن المشيرة ان رجلا من اهل مصر سأل ابن عباس عن مسألة ، فقال : من أي الاجتهاد انت - قال : من أهل مصر - قال : تعالني وفيكم ابن حجيرة * (٣) وقد كان ابن حجيرة يحكم في كثير من الاقضية التي كان يتعرض لها بتكافؤ الشهود وبكثرة الرجال عند احد الطرفين او بشهادة المدول * قال ابن لهيعة : قضى ابن حجيرة في الشهود اذا تكافؤوا ان يسهم بينهم فان كانا احد المدعين أكثر شهودا برجلين او اكثر كان الحق معه واذا كانت السلمة بيد أحدهما فجزء يشاهد عدل كانت له وان جاء الآخر بأكثر من ذلك * * (٤)

ومذ لك كان ابن حجيرة يحكم بالمدل وقد أشرعنا انه قال : * ان القاضي اذا قضى بالمهوى احتجب الله عز وجل منه واستقر * * (٥) وبينه وان سألته تدوين القضايا كانت قد شاعت في الفترة المبكرة فذكر الروايات انه لما سأل عبد الرحمن ابن حجيرة عن ولي جدة القضاء : قال لا ادرى غير اني رأيت له قضية عند آل قيس ابن زيد الخولاني تاريخها شهر رمضان سنة سبعين ولا أعلم اني رأيت اقدم منها * (٦)

-
- (١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٣٥ - الكندي : الولاة والقضاء ص ٣٠٧ - الذهبي : المير في خير من غير ص ٩٧ - ابن كثير : البدايات ص ١٠٠ والنهاية ج ١ ص ١٠٠
 - (٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٢ ص ٢٧١ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ١٦٠
 - (٣) الكندي : الولاة وكتاب القضاء ص ٣١٦
 - (٤) الكندي / المرجع السابق ص ٣١٨
 - (٥) الكندي : السابق ص ٣١٩
 - (٦) الكندي / السابق ص ٣١٥

وقد تولى على مصر كثير من القضاة الذين كان لهم شأن عظيم في اصلاح
الدواوين مثل * توبة بن نمر الحضرمي الذي ولي قضاء مصر سنة ١١٥ هـ من قبل
والي مصر الوليد بن رفاعه والذي ظل قاضيا عليها الى حوالي سنة ١٢٠ هـ * (١) وكان
توبة اول قاض بمصر وضع يده على الاحباس زمن هشام بن عبد الملك وقد كانت الاحباس
في أيدي اهلها وفي أيدي اوصيائهم فلما كان توبة قال : ما أرى مرجع هذه الصدقات
الا الى الفقراء والمساكين فأرى ان أضع يدي عليها حفظا لها من التواء والتوارث
فلم يمت توبة حتى صارت الاحباس ديوانا عظيما * (٢) لم يكن هناك عدل من خيرين
نحيم ولا أفقه منه - كان يقبل شهادة النصارى على النصارى واليهود على اليهود *
ويسأل عن عدالتهم في أهل دينهم * (٣) وكان يخصص وقتا للحكم بين أهل
الذمة * قال يحيى بن عثمان بن صالح ان خيرين نحيم كان يقضى في المسجد بين
المسلمين ثم يجلس على باب المسجد بعد المصر على المصاح فيقضى بين
النصارى * (٤)

وكان له مجلس يشرف على الطريق على باب داره فكان يجلس فيه فوسم ما يجرو
بين الخصوم من الكلام * (٥) وكان خير بن نحيم قد ولي على القضاء واقصر بمصر
من قبل الامير حنظلة بن صفوان الكلبى سنة ١٢٠ هـ : سنة ١٢٨ هـ (٦) . . هكذا
كان لقضاة مصر دور كبير في تدبير شؤون الحياة العملية والدينية وتنظيمها على أسس
مدروسة وقواعد محكمة * ولم يكن القاضي ليضرب ان يتدخل في أحكامه احد * اذ كانت
وظيفة القضاء من الوظائف السامية التي تحاط بالهيبة والجلال * كما كان لصاحبها
نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذي يؤديه * (٧)

(١) الكندي : الولاة وكتاب القضاء ص ٣٤٦-٣٤٧

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٦

(٣) المرجع السابق ص ٣٥١ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٩٠

(٤) المرجع السابق ص ٣٥١

(٥) المرجع السابق ص ٣٥١

(٦) الكندي / الولاة ص ٣٤٨-٣٥٢

(٧) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٩٢

كما ان الاختصاص النوعي Ration Materide للقاضي كان غير محدود أكان في الامور المدنية أو الجنائية * (١) وكان القاضي يستمد احكامه القضائية من مصادر التشريع الاسلامي وهي : " ائقيان - السنة - الاجماع - الاجتهاد أو القياس * (٢)

كانت أعظم مطولة لخدمة التشريع الاسلامي هي التي قام بها * امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (المتوفى ١٠١ هـ) فقد أمر بجمع السنة وتدوينها ونشرها * (٣) وكان الدافع الى ذلك ظهور الكذب في الحديث ، وتأتي اهمية السنة (الحديث) من انها مكملة للتشريع ببيانها للكتاب * (٤) وكان امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حريصا على حفظ السنة في الايام الاسلامية * فأرسل الى مصر نافع بن أبسى نعيم سنة ١١٧ هـ ليعلم أهلها السنن * (٥) وهو فقيه أهل المدينة ومروسي عبد الله بن عمرو بن الخطاب وأصله من أصبهان * (٦)

وقد بلغ نافع بمصر شأنا عظيما فكان استاذا لكثير من أعلام النهضة التشريعية بمدينة القسطنطينية فمن تلاميذه بمصر بكير ابن عبد الله بن الأشج ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر والليث بن سعد * (٧)

-
- (١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٩٣ - وما ذكرته من المراجع
 - (٢) سيدة كاشف / المرجع السابق ص ٩٣
 - (٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٣
 - (٤) مصد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامي ص ١٤
 - (٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٩ - تاريخ الاسلام ج ٥ ص ١٠١ ، ١١
 - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤١٢ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٥٠ - السيوطي : حصن المحاضرة ج ١ ص ٢٩٧
 - (٦) ابن القديم : الفهرست ص ٤٨
 - (٧) الذهبي : تاريخ الاسلام ج ٥ ص ١٠١ ، ١١ - تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٤
 - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤١٣

٥ - دور الموالي في النهضة العلمية

ارتفع شأن الموالي في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وصارت لهم مكانة بارزة في ظلم التاريخ التشريعي لمدينة القسطنطينية وعلى رأس المائة الثانية من تاريخ الهجرة صار العلم في جميع الامصار الى كثير من الموالي وخاصة الفقه ، وذلك بعد انقراض عهد الصطبة والتابعين^(١) . قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم : لما مات العبادلة ، عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، صار الفقه في جميع البلدان الى الموالي^(٢) . ويطلق الاستاذ احمد امين ظاهرة نبوغ الموالي في العلم فيقول : انه بتوالي الفتوحات الاسلامية ، وتوالي دخول أمم كثيرة في العلة الاسلامية ومار هفكك عنصرين في الدولة الاسلامية - العنصر العربي والعنصر الاعجمي - وكان أكثر حلة العلم في عصر الصطبة العربي - لان أكثر الصطبة عرب - وقد استكثر الصطبة من الروايسى يستخذونهم في بيوتهم وفي اعالمهم . فاذا كان الصطبي ناديا فمواليه اعرايسه وتلاميذه في العلم ومتى كان عددهم حسن استمداد منهم في حكم مخططاتهم لعاداتهم مثل نافع مولى عبد الله بن عمر ، الذي أخذ عنه أكثر علمه - ولما أخذ الصطبة يملكون في الامصار المفتوحة ، اشترك العرب والعجم أيضا في تلقى العلم عنهم حتى اذا كان عصر التابعين وتابعيهم . كان بعد حملة العلم عربا وأتربهم من الموالي أو ابنا الموالي^(٣) .

ويطلق ابن خلدون ظاهرة احتفال الموالي بالعلم ونبوغهم بانفسهم في العرب بالرياسة والسياسة الى أوائل الدولة العباسية والتالى انصرافهم عن العلم ، فتولد فيهم بتوالي الاجيال الانفة من انتحال العلم لانه صار من جملة الصناعات وأهل الرياسة يستنكفون من الصناعات^(٣) .

(١) ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين ج١ ص ٢٥ - الشيرازى : طبقات الفقهاء

ص ٢١

(٢) احمد امين : فجر الاسلام ص ١٨٢ - ١٥٠

(٣) ابن خلدون : المقدمة - الفصل الخامس والثلاثون ص ٤٤ - ٥٤٥

ولعل ظاهرة نبوغ الموالى فى تلك الفترة مدينة لما أتاه أمير المؤمنين الخليفة عمر بن عبد العزيز لهم من فرص لاستظهار مواهبهم وطوئهم ، فكان عمر بن عبد العزيز القاعدة الشاذة من خلفاء بنى أمية الذين تمصبوا للمنصرى المسمى فكان يساوى بين رعاياه من العرب والموالى ، ويحزى إليه الفضل فى رد مظالم بنى أمية (قال قائل : الخلفاء ثلاثة ، أبو بكر الصديق يوم الردء — وعمر ابن عبد العزيز فى رده مظالم بنى أمية ، والمتوكل فى احياء السنة) (١)

ومن أبرز الموالى العلماء الذين رفع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز مسن شأنهم بالفسطاط (يزيد ابن ابي حبيب الأزدي — حبيب بن قيس — وقيل سويد مولى بنى ظمر بن لوى — وكنيته أبو رجاء العصرى — وهو من أصل نوى من دنقله ، وقد ولد بمصر سنة ٥٣ هـ) (٢) . . . كان يزيد طيبا طقلا (٣) وبعد من الشخصيات العظيمة فى تاريخ مصر العلى . . . فقد كان له أعظم الاثر فى أنه لون مدرسة مصر الدينية بلون جديد هو التشريع فهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام ومسائل الفقه (٤) . . . وكانوا قبل ذلك انما يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن (٥) هذا يعنى انه كان المؤسس الاول للحركة الفقهية التى امتازت بها مصر والتى مهدت الطريق لمن جاء بعده من الفقهاء . . . ويدل هذا ايضا على انه قد جهد فى ان يلفت الناس بؤنذ الى دراسة منظومة للفقه الاسالى فى مختلف فروعها وتباين اشكاله ، ذلك لان التمهير بالحلال والحرام يلخص هذا ويدل عليه (٦) . . . اما الترغيب فى الملاحم والفتن فهى

(١) ابو المظن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٧٥ — السيوطى : تاريخ الخلفاء

ص ٢٣٠ — سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ١٦٢

(٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٢٩ — تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٤ — الصبر

فى خبر من غير ج١ ص ١٦٨ — ابن حجر : تهذيب التهذيب ج١ ص ٣١٨

— السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٤٥ — طبقات الحفاظ ص ٥٢ —

الزركلى / الاعلام ج٩ ص ٢٣٦

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٥

(٤) عمر بن محمد الكندى : فضائل مصر ص ١٢ — الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١

ص ١٢٩ — تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٤ — الصبر ج١ ص ١٦٨ — القرينسى :

الخط ج٤ ص ١٤٤ — الزركلى : الاعلام ج٩ ص ٢٣٦ — ابو المظن /

النجوم ج١ ص ٣٠٨

القصص بما تحويه من روايات وقصص دينية وخلقية — فقد كانت رواية القصص تخلص
مكانا بارزا في مجال العلوم الدينية — وكان كثير من القضاة يجمعون بين القضاء
والقصص . (١)

ويبدو ان يزيد بن ابي حبيب كان له أثر في احترام هذا اللون " القصص "
بما أصبح عليه من مسائل الفقه لان القصص كانت قد جذبت اليها انظار العامة بما
خشى عليه من انصياعهم اليها وخاصة انها تحوى الكثير من الاساطير فكانت تدخل
عليها الشوائب بمرور الوقت مما أدت الى مقت الكثير لهذا اللون لانه كان يحمى
عن غرفه الاول وهو " الوعظ والارشاد " . وقد يبلغ من سمو منزلة يزيد العلمية
ان صار " مفتى أهل البلد " ، وكان احد الثلاثة الذين جعل الخليفة عمر بن
عبد العزيز اليهم الفتيا بمصر . (٢) وكانت تلك الفتيا لرجلان من الموالي
ورجل من العرب ، فأما العربي فهو جعفر بن ربيعة والموليان فيزيد بن ابي حبيب
وعبد الله ابن ابي جعفر فكان العرب انكروا ذلك فقال عمر بن عبد العزيز : ما ذنبي
اذا كانت الموالي تسمو بانفسها صعدا وانتم لاتسمون " . (٣)

(٥) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٥ — القرزى : الخطط
ج٤ ص ١٤٣

(٦) السيد احمد خليل : الليث بن سعد ص ٥٨ — ٥٩

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ص ٢٣١ — ٢٤٧ — الكمدى : الولاة
وكتاب القضاء ص ٣٠٣ — ٣١٤ — ٣٢١ — ٣٤٢ — ٣٤٨ — ٣٦٨ — ٣٩٤
القرزى : الخطط ج٤ ص ١٧

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨ — القرزى : الخطط ج٤ ص ١٤٣
ابو المطمن / النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٣٨ — السيوطى : حسن المطهرة
ج١ ص ٢٩٩

(٣) القرزى : الخطط ج٤ ص ١٤٣ — ابو المطمن : النجوم الزاهرة
ج١ ص ٢٣٨ .

وكانت الهبة اذا جاءت الخليفة ، كان اول من يباح عبدا لله ثم يزيد بن ابي حبيب ثم الناس . . . (١) وقد كان ليزيد شأن عظيم في مجال الافتاء فكان يستفتيه أبرز شخصيات مصر . قال سعيد بن غيران زياد بين عبدالمزيب بن مروان ارسل الى يزيد بن ابي حبيب قائلا : اننى لا سألك عن شئ من العلم . فارسل اليه : بل انت فاتنى فان مجيئك الى زين لك ، ومجيئى اليك شين عليك . (٢)

وكان ليزيد بن ابي حبيب الفضل في تنشأة جيل من العلماء الصرييين الذين صار لهم أثر كبير في النهضة التشريعية وفي نمو المدرسة الدينية بدينونة القضاة ومن أبرز هؤلاء عبد الله بن لهيعة والليث بن سعد . الذي كان يقول : يزيد عالما وسيدنا . (٣)

أما المولى الاخر الذي كان له أثر هام في الحياة الفقهية في مدينة القضاة فهو (عبد الله بن ابي جعفر المصري - أبو بكر الفقيه (٦٠-١٢٦ هـ) قال ابن سعد عنه : هو ثقة ، فقيه زمانه . (٤) مثل تلميذه عمرو بن الحارث الانصارى فقيل له أيهما تفضل يزيد بن ابي حبيب ، أو عبد الله بن ابي جعفر ؟

-
- (١) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٥ - القرزى : الخطط ج٤ ص ١٤٣ .
- (٢) الذهبى : المرجع السابق ج٥ ص ١٨٥ .
- (٣) الذهبى / السابق ج٥ ص ١٨٥ - ابو الحسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٣٠٨ - السيوطى / حسن الحضرة ج١ ص ٢٩٩ .
- (٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج٧ ص ٥١٤ - الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٢٩٩ - ابن حجر : تهذيب التهذيب ج٧ ص ٥ - السيوطى : حسن الحضرة ج١ ص ٢٩٩ .

قال عمرو : لو جعلنا في ميزان ما رجع هذا على هذا . . . (١) وكان عبد الله من مشهورى شيوخ المصريين . اهل العلم والخبرة والذكا . واللفظة والتفتيش والرحلة والطلب . (٢) وكان عمرو بن الطارث الانصارى المتوفى سنة ١٤٨ هـ من ابرع تلاميذ يزيد بن ابي حبيب وعبد الله بن ابي جعفر فقد تتلمذ عليها . وروى عنها الكثير . (٣) لقد كان محدثا اشتهر بقوة الحفظ وكان من مجتهدى فقهاء مصر . (٤) قال ابن وهب " لو بقى لنا عمرو بن الطارث ما احجنا الى مالك " (٥) وكان الليث بن سعد وابن وهب من ابرز تلاميذه كما يمد الاخير روايته . (٦)

كان لهذه الشخصيات العلمية اثر هام في نمو الحياة العقلية في تلك الفترة فقد مهد هؤلاء العلماء السبيل بمطعمهم التشريعى وفهمهم المستقل الذى تكوين بعض الشخصيات العلمية مثل عبد الله بن لهيعة - والليث بن سعد - اللذين عاصروا النهضة التشريعية فى الاسلام والتي اقتضت بتقيد العلم وتدوينه فسى صطائف مرتبة بعد ان كان ما يزال فى طور الحفظ والرواية الشفهية . وتذكر بعض المصادر ان ابن لهيعة والليث بن سعد قد شاركا فى حركة تدوين العلوم الاسلامية .

-
- (١) الذهبى : تاريخ الاسلام ج٥ ص ١٨٥
 - (٢) عمر بن محمد بن يوسف الكندى : فضائل مصر ص ٢
 - (٣) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٢٢ - ابن خجر : تهذيب التهذيب ج٥ ص ١٥ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٠٠
 - (٤) الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٥٧ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٣٠
 - (٥) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٢٣
 - (٦) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج١ ص ١٢٢ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٣٠ - الشيرازى : طبقات الفقهاء ص ٥٧

قال الذهبي : في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الاسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير . فصنف ابن جريج (المتوفى سنة ١٥٥ هـ) التصانيف بمكة وصنف سعيد بن ابي عروبة المتوفى سنة ١٥٦ هـ - وحامد بن سلمه وغيرها بالبصرة . وصنف ابو حنيفة الفقه والرأى بالكوفة . وصنف الاوزاعي بالشام وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثوري كتاب الجامع ثم من بعد يسير صنف هشيم وصنف الليث بن سعد . وبعد الله لهيعة ثم ابن المبارك والقاضي ابو يوسف يحقوب وابن وهب وكثير ترويب العلم وتدوينه وقبل هذا المصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم بيرون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة . (١)

وكان ابن لهيعة (المتوفى سنة ١٧٤ هـ) اول علماء الفسطاط مشاركة فسي حركة التدوين (٢) فقد كان من الجامعين للعلم والرحالين فيه وكان يدون فسي الخريطة التي يمنقه ما يسمعه او يراه . (٣) وكان علم الديار المصرية وقاضيها ومحدثها . (٤) فقد ولي القضاء بمصر في مستهل سنة خمس وخمسين ومائة من قبل امير المؤمنين ابي جعفر وهو اول قاضي ولي مصر من قبل الخليفة . (٥) وقد صرف عن القضاء في سنة أربع وستين ومائة . (٦) وكان ابن لهيعة اول قاضي حضر في طلب هلال رمضان بالجيزة . ثم كانت القضاء على ذلك حتى كان ابن ابي الليث فطلبه في اصل المقطم . (٧)

(١) الذهبي : المبروف خير من غير ص ٢١٢-٢١٣ - ابوالمظن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٣٥١ - السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٦١ - طاجي خليفة : كشف الظنون ج١ ص ٨

(٢) بوكلمان : تاريخ الادب العربي ج٢ ص ١٥٤ - فؤاد سزكين : تاريخ التواتر العربي ج١ ص ٢٦٩

(٣) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٣٢٨ - ميزان الاعتدال ج٢ ص ٦٧ - تهذيب التهذيب ج٥ ص ١٧٣ - المعبر ج١ ص ٢٦٤ - ابوالمظن :

النجوم الزاهرة ج٢ ص ٧٧ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ١٤٥
(٤) ابوالمظن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٧٧ - السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ١٤٥

(٥) الكندي : الولاة وكتاب القضاء ص ٣٦٨

(٦) الكندي / السابق ص ٣٧٠

(٧) الكندي / السابق ص ٣٧٠

كان وائد النهضة التشريعية بالفسطاط الليث بن سعد بين عهد الرحمن
النهي (٩٤ هـ / ١٧٥ هـ) العالم الذي اختار نفسه "الا ان اصحابه لم يدنوا
مذهبه". (١)

وكان الليث امام اهل مصر في الفقه والحديث معا". (٢) وكان من
سادات زمانه فقها وعلما وحفظا وفضلا وكروما". (٣) وقد تناهى اليه علم التابعين.
فقد ادرك نيفا وخمسين تابيعا". (٤)

وكان كثيرا ما يرحل الى البلاد الاسلامية للاستزادة من العلم وقد سمع
ببلاد الحجاز والعراق كثيرا من الاحاديث النبوية ونقلها الى مصر". (٥) قال
الشافعي "العلم يدور على ثلاثة مالئوالليث وسفيان بن عيينة". (٦) فقد كان
لليث مكانة بارزة في العلوم العربية المختلفة فقد كان خير النادة متعدد الجوانب.
قال عنه يعقوب بن بكير : "ما رأيت فريين رأيت مثل الليث بن سعد وما رأيت اكمل
منه". كان فقيه الهند عرب اللسان يحسن القرآن والنحو والنسب والحديث وحسن
المذاكرة". (٧)

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ ص ٢٨١ - الذهبي : تذكرة الحفاظ
ج١ ص ٢٣٨ - ابن حجر : الرحمة الفيثية ص ٣ - الصيوطي : حسن
الخطبة ج١ ص ١٢٠

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج٣ ص ٢٨٠ - السمعاني : الانساب ص ٥٣٩

(٣) ابن حجر : الرحمة الفيثية ص ٣

(٤) ابن حجر : المرجع السابق ص ٩٣ - ابو نعيم : حلية الاولياء ج٧ ص ٣٢٤
- الشيرازي : طبقات الفقهاء ص ٥٧

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٢٣٨

(٦) ابن فرعون : الدياج المذهب ص ١٥

(٧) الذهبي : تذكرة الحفاظ ج١ ص ٨٣٦ - ٨٢٧ - ابن حجر : الرحمة
الفيثية ص ٣

٦- أثر التحريب في ظهور الفكر الصوفي
ودوره في الحياتين السيامية والاجتماعية

في مصر

حركة الزهد في القرنين الاول والثاني للهجرة:

دخلت مصر ميدان التصوف في فترة مبكرة ، وقد قامت حركة التصوف في اول الامر على ايدى الزهاد والمباد واهل الورع والتقوى وكان اول هؤلاء الصلحاء والزهاد على حد قول السيوطي هو " سليم بن عتر بن حجير التميمي المصري - أبو سلمة قاضي مصر وقاصها وناسكها من الطبقة الاولى من التابعين شهد خطبة عمر بالجابية وكان يسمى بالناسك لكثرة فضله وشدته عبادته وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات. (١) وهو أحد قضاة مصر ولى قضاء مصر سنتين من قبل معاوية بن ابن سفيان - وكان قبل القضاء قاصا فجمعا له ، وبعد اول من قس بمصر وقد أقام قاضيا عشرين سنة ، وتوفى بد مياط سنة خمس وسبعين . (٢) وقد كان ينحو في حياته منحى الصوفية في الانقطاع للعبادة والانسواء بمبدأ عن الناس . يقول الكندي : " . . . عن الحسن بن ثوبان قال : ركب سليم بن عتر البحر فلما ثقل نزل وأقسام سبعة ايام لا يدري اين هو ثم جاءهم فقالوا له : أين كنت ؟ فقال : انى ذهبت الى هذا الغار فأقمت هذه السبعة شكرا لله عز وجل . (٣)

تطورت حياة الزهد والعبادة في مصر بعد ذلك واسهم كبار الزهاد والمتسكين المسلمين في اثرائها . وتمت السيدة نفيسة ممن ساهم من آل البيت في حركة الزهد في مصر . وهى ابنة الامير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (رض الله عنه) . (٤) ودخلت مصر مع زوجها المؤمن اسحق بن جعفر

(١) السيوطي : حسن المظاهرة " در الصطبة فيمن دخل مصر من الصحابة "

جا ص ٢١٨

(٢) الكندي : الولاة ص ٣٠٣ - السيوطي : حسن المظاهرة " در الصطبة فيمن دخل مصر من الصحابة جا ص ٢١٨ . "

دخل مصر من الصحابة جا ص ٢١٨ . "

(٣) الكندي : الولاة ص ٣٠٣

(٤) المقرئ : الخطط جا ص ٣١٣ - السيوطي : حسن المظاهرة جا ص ٢١٨

ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٥

الصادق في رمضان سنة ١٩٣ هـ فأقامت بها (١) وكانت عبدة زاهدة كئيصة خيرة وكانت ذات مال فكانت تحسن الى الزمنى والمرضى وعمم الناس (٢) وكان يقد على السيدة نفيسة في مصراثة الفقلا ملاهى وكبار الملماء فقد زارها الامام الشافى وبصحبته عبد الله بن عبد الحكم واستقبلتهم من وراء حجاب . ولما توفى الامام الشافى سنة ٢٠٤ هـ ادخلت جنازته اليها وصلت عليه في دارها وكانت موضع مشهدها الحلى وقالت رحم الله الشافى فقد كان يحسن الوضوء (٣) وقد احبها أهل مصر ويحقدون في كرامتها فكانوا اذا نزل بهم أمر جاءوا اليها يسألونها الدعاء . وقد ادى ازدحام الناس عند بابها الى ان فكر زوجها نسي الارتحال معها الى الحجاز ولكنها قالت له : لا استطيع ذلك وانى رأيت رسول الله (طعم) في المنام وقال لى لا ترخى من مصر ، فان الله تبارك وتعالى متوفيك بهما (٤) وقد أقامت السيدة نفيسة بمصر الى ان توفيت بها . ولما أحست بدنو اجلها كتبت الى زوجها اسحق المؤمن بالحجاز كتابا وخوت قمبرها بيدها في بيتهمسا . وكانت تنزل فيه وتصلى كثيرا وتقرأ فيه مائة وتسعين ختمة وكانت اذا عجزت عن القيام لضعفها تصلى قاعدة وتسبح وتقرأ وتبكي كثيرا ولما طنت الساعة وكان ذلك لول جمعة من شهر رمضان قرأت سورة الانعام . ولما وصلت الى قوله تعالى : لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يصطلون (٥) نعى عليهمسا

-
- (١) المقرئى : الخطط ج٤ ص ٣١٣ - السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ٢١٨
- (٢) السيوطى : المرجع السابق ج١ ص ٢٠٨
- (٣) المقرئى : الخطط ج٤ ص ٣٠٣ - السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ٢١٨
ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٥
- (٤) المقرئى : الخطط ج٤ ص ٣١٣ - ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٩
- (٥) سورة الانعام - الآية ١٢٢

فرضها ابنة أخيها الى صدرها فشهدت شهادة الحق رحمة الله عليها . (١) ،
وكانت وفاتها بمصر سنة ٢٠٨ هـ (٢) . . . ودفنت السيدة نفيسة بدارها بدار رب السباع
بين القطائع والحسكرا التي عرفت فيما بعد بكم الجارحي . . . (٣) وكان قبر السيدة
نفيسة وما يزال - مزارا يتبرك به ، ولاهل مصر عنها اعتقاد عظيم . . . (٤)

ظهور الصوفية بمصر :

لم تليث حركة الزهد بالنسطة ان تبلورت الى حركة تصوف اصبح لها
ثقل اجتماعي خاص بمصر . فقد جاء في أقوال متواتره في كتاب الولاية والقضاء
للكندي انه في ولاية السرى بن الحكم (سنة ٢٠٠ هـ) وفي اثناء الصراع السياسى
بين السرى بن الحكم والجوى صارت لطائفة الصوفية تأثير قوى في مجرى الاحداث
السياسية في مصر وأصبح الصوفية يمثلون هيئة اجتماعية لها ثقلها وتأثيرها في مجرى
الاحداث السياسية في تلك الفترة . . . فقد ظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون
بالصوفية يأمنون بالمصوف فيما زعموا ويمارضون السلطان في أمره فتراءى عليهم
رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفى . . . (٥) وكان هناك نزاع بين ابو
عبد الرحمن الصوفى فوجد نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين وألف بينهم وبين
لخم ورجل اهل الاندلس ان يدركوا ابن هلال . وكانت لخم احد من ناحية
الاسكندرية - فصاروا جميعا الى عمرو بن هلال وهم زهاء عشرة الاف من خم
ومن الاندلسيين ومن ضوى اليهم فحضره في قصره . . . (٦) وانتهت الاحداث
بقتل ابن هلال واهله في ذى القعدة سنة مائتين . . . وولاية ابا عبد الرحمن

- (١) السخاوى : تحفة الاجاب ص ٩
- (٢) القرىزى : الخطط ج ٤ ص ٣١٤ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨
- السخاوى تحفة الاجاب ص ١٢ - ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٩
- (٣) البلوى : سيرة بن طولون ص ٩٨ - القرىزى : الخطط ج ٤ ص ٣١٤ -
السيوطى / حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨
- (٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ص ٩ و ١٠ - سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسلام
ص ١٣٩
- (٥) الكندي : الولاية وكتاب القضاء ص ١٦٦ - ١٦٣ . . . القرىزى الخطط ج ١
ص ١٢٢ - / م / الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ١٢٥
- (٦) الكندي : الولاية ص ١٦٦ - ١٦٣ ، القرىزى : الخطط ج ١ ص ١٢٣

المصطفى - فبلغ من الفساد بالاسكندرية ما لا يسمح بمثله الى ان عزله الاندلسيين
انفسهم عنها (١) وبعمر الزمن صار للصوفية اثر كبير في سير الاحداث السياسية
وقد تعدى ذلك الى التدخل في اعمال بعض القضاة . . . ففدى ولاية القاضى عيسى
ابن المنكر لقضاء مصر من قبل عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هـ - كانت له طائفة
قد انحطت به من الصوفية يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلما ولي القضاء كانت
تأثيره وهو في مجلس حكمه فتقول : أيها القاضى ذهب الاسلام فعل كيت وكيت . فيترك
مجلس الحكم ومضى منهم فكله اخوانه مثل عبدالله ابن عبد الحكم وغيره فقال : لا بد
من القيام لله عز وجل بحقوقه . (٢) هكذا تعدت آراء الصوفية في تلك الفترة حياة
الزهد والاعتكاف الى التدخل الفعلى في شؤون الجماعة تدخلا شديدا الوطأة للامر
بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان يبدأهم . . .

وقد أخذ هؤلاء الصوفية يتدخلون في شؤون المجتمع السياسية الى ان جعلوا
القاضى ابن المنكر يكتب كتابا الى المأمون بانه لا يرضى بولاية ابا اسحاق بن
الرشيد (المحتشم) مصر لانهم كانوا يخافونه ويخشون ان يشد على يد اهل
الحدوان ففعل ذلك ابن المنكر وبلغ الكتاب المأمون فاحضر ابا اسحاق فقال : ما
الذى فعلت في اهل مصر . فقال : ما فعلت فيهم شيئا . فقال : هذا كتاب قاضيهم
يزعم انه لا يرضى بولايتك عليهم . فقال : ما أسأت الى واحد منهم ولا فعلت باي من
المنكر وافعلن . (٣) وانتهى الامر بان عزله ابا اسحاق عنها سنة ٢١٤هـ . (٤)

ذو النون المصري الاخميمي وروحه أسس الحياة الصوفية :

لم تلبث الحياة الصوفية ان تطورت في مصر بمدينة النسطاط متبلورة ففى الصوفيات
حركة تصوف اصبح لها نظامها وتعاليمها وتقاليدها الخاصة بها ومعالها الواضحة

(١) الكندى : الولاة ص ١٦٣-١٦٤

(٢) الكندى : السابق ص ٤٣٣-٤٤٠ - متر : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٧

(٣) الكندى : السابق ص ٤٤٠

(٤) الكندى : السابق ص ٤٤١ - متر : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٧

لماذا كل هذه الصوفيات
هكذا ص ١٥٥ ح
الصفحات
عنه ؟
(مترجم صفحات)

على يد أحد الزهاد من مدينة اخميم * موطن اهل الحكمة والمعرفة * (وهو ذو النون المصري الاخمصي - ابو الفيض ثومان بن ابراهيم وقيل الفيض بن ابراهيم المصري المعروف بذى النون - احد رجال الطريقة) (١) والذي يمد بحق واضح أسس التصوف بمصر * (٢) . وكان ذو النون احد الموالى النابيهين (٣٠٠) قال ابن يونس سمعت عليا بن عمر بن احمد بن مهدي الطافظ ببغداد يقول : اخبرت الحسين بن احمد بن المازرائي قال : قرأ على ابو عمر الكندي في كتابه " اعيان الموالى " فذكر فيه * ومنهم ذو النون بن ابراهيم الاخمصي مولى لقريش وكان ابوه ابراهيم نبيا * (٣)

ويعتبر ذو النون المصري الاخمصي من اقرباب الصوفية وله فضل كبير فسي وضع كثير من التحاليم الصوفية كما نعرفها الان . (٤) و " القطب معناه رأس العارفين وقد ظهر في كالم المتصوفة ويزعمون انه لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لاخر من اهل المرفان * وقد أشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فضول التصوف . . . (٥)

لم يكن التصوف قبل ذى النون علما بالمعنى المفهوم بل كان حركة زهدية يخلب عليها جانب العبادة . ولما جاء ذو النون اتخذ من هذه الوجهة وجهته

-
- (١) ابو نعيم : حلية الاولياء ج٩ ص ٢٣١ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٨٠ - القشيري : الرسالة ص ١١٢ - السلي : طبقات الصوفية ص ١٥ - السيوطي : حمن المحاضرة ج١ ص ٢١٨
 - (٢) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٩٨
 - (٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٨٠ - ابوالمحسن : النجوم الزاهرة ج٢ ص ٣٢٠ - السلي : طبقات الصوفية ص ١٥
 - (٤) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ٢٨٩
 - (٥) ابن خلدون : المقدمة الفصل الطادي عشر (في علم التصوف) ص ٤٢٣

اخرى علمية فتعرض لمسائل هذا العلم بالتقرير والتوضيح والتحديد وكان ذو النون يجيد التعبير والاعراب عن مكنون نفسه فكانت عباراته تنطق بالبلغة وحسن التعبير وحد ذو النون من الاوائل الذين وضعوا اللبغات الاولى في اصول التصوف الاسلامي يقول جاني (٠٠٠) انه رأس هذه الفرقة (طائفة الصوفية) فالكل قد اخذ عنه وانتسب اليه . وقد كان المشايخ قبله ولكنه كان اول من فسرها في الصوفية وتكلم في هذا الطريق . (١) ويقول نيكولسون : ان ذو النون المصري هو اول من وضع الاسماء الاولى للخصائص التيوسوفية - Theosophia ففي تاريخ الحياة الروحية الاسلامية . (٢) وقد كان ذو النون اوجد وقتة علمها وورثها وطلا وأديها . (٣)

قال ابو نعيم : " ٠٠٠ " انه القلم النض والحكم العرضي الناطق بالحقائق الفائق للطرائق - له المميزات الوثيقة والامارات الدقيقة " (٤) .

ولم ينفصل ذو النون عن الخاخ العلمي المائد في عصره فكان له نظير في العلوم الدينية . فقد اشتغل في أول امره بعلم الحديث ولايد انه تشكف في صفه بثقافة دينية أهلتة للاشتغال بهذا العلم " فهو محدود في جملة من روى الموطأ عن الامام مالك " . (٥)

-
- (١) عبد الرحمن جاني : نطق الانس ص ٢٦
 - (٢) نيكولسون - في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ١١٢
 - (٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٨٠ - السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨
 - (٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٨٠ - السيوطي / حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨
 - (٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٨٠

قال السيوطي : انه حدث عن مالك والليث وابن لهيعة . (١)

ولكن السمعاني يتشكك في صدق أحاديثه فيقول : " انه اسند عنه
أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على ما دونه . . . وخكى عنه من اللفظاديين سعيد
ابن عباس الخياط ، وابوالعباس بن مسروق الطوسي . . قال ابو الحسن الداقني :
ذو النون المصري روى عنه مالك أحاديث في أسانيد لها نظر . (٢) وقال
في موضع آخر : اذا صح السند اليه فأحاديثه مستقيمة وهو ثقة . (٣)

انصرف ذو النون عن الاشتغال بعلوم الحديث . . . ويدوان سلوك اهـ
الحديث لم يرق الي ما تصبو اليه نفسه الزاهدة . . . فقد سئل عن سبب تركه الاشتغال
بالحديث ، فقال : " . . . للحديث رجل وشغلي بنفسى استغرق وقتى والحديث
من اركان الدين ولولا نقص دخل على اهل الحديث والفقهاء لكانوا أفضل الناس نفسى
ازمانهم . . . الا تراهم بذلوا عليهم لاهل الدنيا يمتدحون بسببه دنياهم فحجبوهم
واستكبروا عليهم . . . وافتتنوا لما رأوا حرص اهل العلم والمتفهمين عليها . . . فخانوا
الله ورسوله وصار اثم كل من تبعهم في عقوبتهم . . . جعلوا العلم فظا للدين . . . وملاحا
يكسبونها بسببه . . . بعد ان كان سراجا للدين يستضاء به . . . (٤)

ويقول ابو المطمئن : " ان ذى النون المصرى كان اول من تكلم
في الاحوال ومقامات أهل الولاية . . . وانه انتقل الى القضاة وكانت له بها
مجالس عظيمة . . . (٥)

(١) السيوطي : حسن المطهرة ج١ ص ٢١٨

(٢) السمعاني : الانساب ص ٣٢٤

(٣) السمعاني : السابق ص ٣٢٤

(٤) الشمراني : الطبقات الكبرى لواقع الانوار - ج١ ص ٧٠ - ١٤٩ -

السمعاني : المرجع السابق ص ٣٢٤ - ٣٢٥

(٥) ابو المطمئن بن تشرى بردى - اللجج الزاهرة ج١ ص ٢٥٢ .

قامت فلسفة ذو النون الصوفية على دعامتين اساسيتين هما : المعرفة،
والمحبة وكانت تدور عليهما تماثليهما وآراءه الصوفية ، فهويرى ان غاية
الطريق الصوفية الوصول الى مقام المعرفة الذى تتجلى فيه الحقائق فيدركها الصوفى
ادراكا ذوقيا لا اشرافيه للعقل ولا للروية . وذلك لا يكون الا لخاصة اهل اللسان
الذين يرونه بأعين بصائرهم . . . (١) وبذلك كان ذو النون اول من تكلم فى المعرفة
بكلام نظرى دقيق . . . (٢) . . . وهو فى اقواله ومنطجه فى فلسفته يتصك بالمأثور
من الكتاب والسنة . . . فننقله فى المحبة (. . .) عن طائفة المحب لله متابمة بحبيبه صلى
الله عليه وسلم فى أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه . . . (٣)

والمحبة ضد ذى النون هى محبة العبد لله . ومحبة الله لعبده . فهى
متبادلة بين العبد والرب عن محمد بن سعيد الخوارزمى قال : سمعت ذو
النون وسئل عن المحبة - قال : " ان تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغضه الله
وتفضل الخير كله وترفض كل ما يشغل عن الله . ولا تخاف فى الله لومة لائم . مع المطف
للمؤمنين والغلظة على الكافرين وأتباع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى الدين . . . (٤) . . .
مأثوراته عن المعرفة قوله (. . .) لو ان الخلق عرفوا ذل اهل المعرفة من انفسهم
لحشا التراب على رؤوسهم وفى وجوههم . . . (٥) . . . وعن تعريف الصوفى قال
ذو النون : " انه اذا نطق أبان نطقه عن الحقائق وان سكنت نطق عنه الجسواح
يقطع الحقائق . . . (٦)

-
- (١) ابن عربى : الكوكب الدرى ورقة ١١٥
 - (٢) نيكلسون : فى التصوف الاسلاف ص ٢٤
 - (٣) الحافظ ابن نمير : حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٦٢
 - (٤) السابق ج ٩ ص ٣٦٢
 - (٥) الحافظ ابن نمير : حلية الاولياء ج ٩ ص ٣٦١
 - (٦) الملقى : طبقات الصوفية ص ٢٩

ويتجه ذو النون الى ربط المصرفة بالشريعة . فيقول " علامسة
المنار ثلاثة : لا يطفى نور مصرفته نور ورعه . ولا يمتقد باطنا من العلم فيقضى
عليه ظاهرا من الحكم ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل على هتك اسرار مطهر الله
تمالى " (١)

وكلما ازداد العارف مصرفة بالله كان اكثر خضوعا . فيقول : " المصارف
كل يوم اخشع لانه كل ساعة اقرب " . (٢)

ومن أبرز ما يميز تصوف القرنين الثالث والرابع اصطناع اصحابه لاسلوب الرمز
في التعبير عن حقائق التصوف وتعتبر هذه الرموز مبهمة على من ليس بصوفيا . لان هذه
اللغة تعبّر عن اسرار وحقائق ذوقية وهبها الله لهم . ويوضح القشيري هذه الدوافع
فيقول (. . .) وهذه الطائفة " الصوفية " مستعملون الفاظا فيما بينهم تصدوا بهما
الكشف عن معانيهم لانفسهم والاجماع والستر على من باينهم في طريقهم لتكون معاني
الفاظهم مستبهمه على الاجانب غيره منهم على اسرارهم ان تشيع في غير أهلها " (٣)
ولعل اصطناع اسلوب الرمز من جانب الصوفية كان له اثر في النزاع بينهم وبين
الفقهاء الذين بدأت خصوصتهم للصوفية منذ القرنين الثالث والرابع تشتد " لان
الفقهاء يميلون دائما الى ظاهر القرآن والسنة النبوية . اما الصوفية فلا يفرقون بين
واجب ومستور ولكل فرض من فرائض الدين اسرار . ولذلك عد الفقهاء واهل الفتيا
اكثر آراء المتصوفة بدعا في الدين يجب الرد عليها ودحضها " . (٤) . . . وقد
بدأت خصومة الفقهاء للصوفية منذ القرن الثالث والرابع تشتد وبدأ صراعهم

(١) القشيري : الرسالة ص ١٤٣

(٢) السلي : طبقات الصوفية ص ٢٦

(٣) القشيري : الرسالة ص ٣١

(٤) محمد ابو زهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية ص ١٥٧ — محمد كامل حسين :

آداب مصر الاسلامية ج ١ ص ٦٥

مع الصوفية واضط من خلال مطاوعت ذوالنون المصري الذي كانت آراؤه موضع نقد الفقهاء فاتهموه بالزندقة " . . . وأنكر عليه أهل مصر ذلك " أي أقواله الفلسفية في التصوف " وقالوا : أحدث علما لم تتكلم فيه الصحابة وسموا به إلى الخليفة العباسي المتوكل على الله ورموه عنده بالزندقة وأحضر من مصر على البريد فلما دخل سرمن رأى عاصمة العراق في ذلك الوقت " وعظه ، فبكى المتوكل وردّه مكرهاً . . . " (١)

وكان ذوالنون حجة في الاقناع ما جملة يؤثر في نفس المتوكل فيطلق سراجه . وقد بلغ من منزلة ذوالنون عند المتوكل " اننا اذا ذكر اهل الورع بين يديه يبكي ويقول اذا ذكر اهل الورع فحي هلا بذي النون " (٢) وكان ذوالنون قد اضهد وأقر بمحنة خلق القرآن . . . فقد هرب ثم رأى ان يرجع فرجع إلى مصر ووقع في يد (قاضي مصرف في ذلك الوقت " محمد بن ابي الليث " فأقر بالمحنة) . (٣)

لم يقتصر نشاط ذوالنون على نشأة ووضع أسس علم التصوف بل كانت له علوم ومعارف اخرى . . . فقد ألحقه القفطي " بطبقة جالسين حيان في انتحال صناعة الكيمياء وتقلد علم الباطن والاشراف على كثير من علوم الفلسفة . . . " (٤) ويذكر صاحب الفهرست . . . انه كان متصوفا وله أثر في الصنعة . وكتب مصنفة ، فمن كتبه ، كتاب الركن الاكبر ، وكتاب الثقة في الصنعة . (٥)

(١) ابن خلكان ج١ ص ٢٨١ - ابو المظن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٥٨
- السيوطي : حسن المحاضرة ج١ ص ٢٥٨

(٢) ابن خلكان : وفيات ج١ ص ٢٨٣ - الطوسي : اللوح ص ٤٩٨ - الصلي : طبقات الصوفية ص ٢١٣ - الثمراي : الطبقات الكبرى لواقع الانوار ج١ ص ٧

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ص ٤٥٣ - سيدة كاشف : مصرف فجر الاسلام ص ١٦١

(٤) القفطي : اخبار الطائفة بأخبار الحكماء ص ١٨٥

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٧ - ١٥٨

ويشير أحد المصادر إلى أن ذى النون كان يصرف اللغة السريانية وكان يقرأ مادون بها من نصوص وأخبار * (١) وأنه كان يقرأ مادون بالفرعونية على جد وأن الهياكل والاثار وكان يعتحن كثيرا بما صور منها ورسم على البرابي من النقوش والصور وأنه تدبر بعضها مرة فاذا مكتوب فيه " يقدر المقدرون والقضاء يضحك " وتبييض بعضها منها في ذلك القلم الأول فاذا معناه:

تدبر بالنجوم ولست تدري .. ورب النجم يفعل ما يريد * (٢)

وقد كان ذو النون كثير الملازمة لبرابا بلده (٣) اخميم التي كانت تعتبر بيتا من بيوت الحكمة القديمة وفيها التصاوير العجيبة والمثالات الثرية التي تزيين المؤمن ايماننا والكافر طغيانا ويقال انه فتح عليه علم ما فيها بطريق الولاية * (٤) ومن المرجح ان ملازمة ذى النون للبرابي كانت نتيجة لتأثره بحياة الرهبان الذين كانوا يمارسون حياتهم في الدير وفي الاماكن البعيدة النائية المحزولة وربما كانت ملازمة ذى النون لتلك البرابي لينشد مزيدا من التأمل بعيدا عن الاعين وليمارس عقيدته في الخفاء في تلك الاماكن البعيدة العقفرة وصف الحافظ ابو نعيم احوال الصوفية فيقول : (٥) الصوفية قد فارقوا المروغ والفقار وهربوا بد ينهم الى الجبال والقفار فهم الاتقياء الاخفاء * (٥) وربما يكون اشتغال ذى النون بالكيمياء هو أحد الاسباب لملازمته للبرابي فقد كانت هذه المهنة مهددا لعلم الكيمياء والسحر والاسرار والطلسمات في نظر المسلمين ومن هذه البرابي برابا اخميم * (٦)

وقد كانت لدى النون مكانة عظيمة في قلوب المصريين * فقبل انه لما توفي سنة خمس واربعين ومائتين بالجيزة لم يتمكنوا من نقل جثمانه عبر البحر المقام على النيل خشية ان ينقطع من كثرة تزام المشيعين فهربوا وحملوه في قارب تفاديا للزحمة * (٧)

-
- (١) ابو نعيم : حطية الاولياء ج١ ص ٣٣٩
 (٢) المسعودي : مرج الذهب ج١ ص ٢٢٣
 (٣) البرابا - كلمة قبطية معناها المعبد - سيدة كلشف : مصر في عصر الاخشيديين هامر ص ٢٧٩ - وما ذكرته من مراجع
 (٤) القفطي : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥
 (٥) ابو نعيم : حطية الاولياء ج١ ص ١٧ : ٢٤
 (٦) القزويني : الخط ج١ ص ٢٢٨ - الميوطي : حسن المطهرة ج١ ص ٢٨

كانت لدى النون مكانة مرموقة في عالم التصوف وكان له اتباع ومريد يسـمـن بل تأثر به كثيرين من مشايخ الصوفية في المشرق مثل "ابى يزيد البسطامى (المتوفى سنة ٢٦١ هـ) (طيفور بن عيسى بن سردشان من اهل بلدة بسطام وكان جسده سردشان مجوسيا أسلم) . (١) و ابو سعيد الحزاز " احمد بن عيسى (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) من اهل بغداد وهو أول من تكلم عن علوم الفناء والبقاء " . (٢) وطاهر المقدسى الملقب بـجبر الشام " . (٣) وقد سمع ذى النون ايضا وصحبه ابو عبد الله ابن الجلاء وهو من أكابر مشايخ الشام " . (٤) وكذلك يوسف بن الحسين المتوفى سنة ٣٠٤ هـ وكان شيخ الجبال والرى في وقته " . (٥) هكذا خلف ذى النون وراءه حركة صوفية قوية ساهمت مدبنة القسطاط فيها بفضلته ومنصيب كبير .

.....

قويت الحركة الصوفية بمصر في القرن الثالث الهجرى وصار لها ثقلها الاجتماعي ومكانتها السياسية وتأثيرها في نفوس الناس ويذكر بعض المؤرخين ان نفس من هؤلاء الصوفية كان يتدخل في شئون الولاة بالنصيحة والموعظة " مثل ابو الحسن بن بنان ابن محمد بن حمدان الحمال الزاهد الذى كان من كبار شيوخ الصوفية بمصر في القرن الثالث الهجرى وكان جريئا في الحق لا يهاب الامراء والحكام وكان

(٧) ابن عربى : الكوكب الدرى في مناقب ذى النون المصرى ورقة ١١٥ أ
- ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٣٨٣ - ابو المطمئن : النجوم
الزاهرة ج١ ص ٢٥٨ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٢٨ -
الشمصانى : الطبقات الكبرى ج١ ص ٧٠ - سيدة كاشف : مصر
في فجر الاسلام ص ٢٩٠

- (١) السلمى : طبقات الصوفية ص ٦٧
- (٢) السلمى : السابق ص ٢٢٣ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٢٢
- (٣) السلمى : السابق ص ٣١٢
- (٤) القشيري : الرسالة ص ٢
- (٥) القشيري : السابق ص ٢٢-٢٣

ذا منزلة عظيمة فى النفوس فكانوا يضحون بعبادته المثل . ويقال انه قد ضاق بجسراته احد القضاة فأتوا به الى احمد بن طولون الذى أمر ان يلقى به لسبع جاثع لانه انكر على ابن طولون شيئا من المنكرات . ومن كراماته انه عندما ألقى به الى السبع كان يشمه ويحجم عنه فرفخ من بين يديه وشاهد الناس عليه شيئا من الذهول فسألوه عن ذلك فقال : كنت افكر هل سور السباع طاهر أم لا . (١) والواقع ان امثال هذه الكرامات كانت قد اقتصت بصوفية القرنين الثانى والثالث وكان يتعلق بهما عوام الصوفية . (٢) وخلاصة القول انه قد زاد تعظيم الناس لابن بنان . لانه كان من جلة المشايخ والفاصلين بالحق والامرين بالمعروف وقد سئل ابن بنان عن اجل احوال الصوفية ؟ فقال : الثقة بالضميم والقيام بالاوامر ومراعاة السر والتخلصى عن الكونين والتثبت بالحق . (٣) وقد كان لابن بنان مكانة عظيمة فى نفوس المصريين لكراماته . فلما توفى فى رمضان سنة ٣١٦ هـ خرج فى جنازته اكثر اهل مصر وكان شيئا عجيبا . (٤)

ولم تقتصر حركة الزهد والتصوف على الرجال ، فقد كان لبعض النساء نصيب كبير فى المساهمة فى حركة الزهد والتصوف فى مصر فقد جاءت الى مصر فاطمة بنت عبدالرحمن بن ابي طالح الحوانية الصوفية . . من الصالحات المتعبדות قال الخطيب ولدت ببخداد وحملت الى مصر فطال عمرها حتى جاوزت الثمانين وأقامت سنة لاتمام الا وهى فى مصلاها بخير غطاء . . سمعت من ابيها وروى عنها ابن اخيها عبدالرحمن بن القاسم وماتت سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة . (٥)

(١) السلمى : طبقات الصوفية ص ٧٠ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٨

(٢) متر : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٤٧

(٣) السلمى : طبقات الصوفية ص ٧١ - السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٩

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢١٩

(٥) السيوطى : السابق ج ١ ص ٢١٩

وقد كانت مصر موطناً لكثير من الصوفية الوافدين الذين أتوا اليها ونشروا فيها حركة صوفية غنية وكانت لهم حوادث مع ولاة مصر تدل على سمو منزلتهم وتبريز كراماتهم . . . ومن هؤلاء الصوفية (ابو بكر محمد بن احمد بن سهل الرملى النابلسى الذى كان ابدا صالحا زاهدا قوالا بالحق وقد حكى ان كافورا الاخشيدى بعث اليه بما لفرده . وقال : " قال الله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) وما بينهما وما تحت الثرى) . فآين ذكر كافور هنا . فقال ابو بكر " صدق الله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى) . الملك والمالك كافور صوفى لا انا ثم قيل المال - توفى سنة ٣٦٣ هـ . . (١)

ومن الصوفية بمصر أيضا " ابو الحسن على بن محمد بن سهل الدينورى الصائغ الزاهد أحد المشايخ الكبار . ومن كراماته انه رأى صلى بالصحراء فى شدة الحر . وقد نشر طائر جناحيه يظله من الحر . . وقد انكر على تكين امير مصر اشياء فسيره الى القدس . لكنه عاد الى مصر وتوفى بها فى رجب سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة . (٢)

وكان ابو بكر الدقاق ابو بكر نصر بن احمد بن نصر الدقاق " من كبار رجال الصوفية بمدينة القضاة بمصر وقد تأثر بنشاط الحركة الصوفية بمصر بمدة موته . وقت رحل الصوفية اليها " قال الكتانى : لما مات ابو بكر الدقاق انقطعت حجة الفقراء فى دخولهم مصر . (٣)

(١) السيوطى : حمن المحاضرة ج١ ص ٢١٩

(٢) السيوطى : المرجع السابق ج١ ص ٢٥٠

(٣) السلى : طبقات الصوفية ص ٣١٤ - السيوطى : المرجع السابق

ومن المتصوفة الذين وفدوا الى مدينة القسطنطينية وتوفوا بها " ابو عيسى
الروزباري " ابو علي احمد بن محمد بن القاسم بن شهر يار روزباري الذي يتصل
نسبه بكسرى انوشروان فقد كان ببغداد ثم هجرها الى القسطنطينية فأقام فيها وأصبح
شيخاً من شيوخ التصوف بها الى ان توفي سنة ٣٢٢ هـ ودفن بجوار ذي النون
المصري * (١) ويبدو ان ثقافته كانت واسعة . فقد كان يفتخر على اقرانه بسعة ثقافته
ومعارفه وبيانه في شيوخه في الادب والعلم فكان يقول : شيخى فى العصف الجنييد
وفى الفقه ابو العباس ابن سريج وفى الادب ثعلب * (٢) ويشير احد المستشرقين
الى ظهور بعد الفرق " الطرق " الصوفية على ايدي بعض هؤلاء المتصوفة مثل
" الطيفوريه التي تنسب بالى ابن يزيد البسطامي والخارزمية نسبة الى ابن سعيد
الخراز * (٣)

هؤلاء هم بعض الصوفية بمدينة القسطنطينية ولا شك انهم قد مهدوا بآرائهم وافكارهم
الى علم التصوف الفيلسوف فيما بعد لانهم بالرغم من ارتقاء افكارهم الصوفية لم يتطرقوا
الى النواحي الفلاسفية المعقدة . يقول نيكولسن (. . . وضع صوفية القرنين الثالث
والرابع نظاما كاملا فى التصوف من الناحيتين النظرية والعملية ولكنهم لم يكونوا فلاسفة
ولم يمتوا الا قليلا بالمشكلات الميتافيزيقية * (٤)

استمرت الحركة الصوفية بعد ذلك تتأرجح بين النمو والازدهار تارة وتعتريها
موجتا الانحسار تارة اخرى ، الى ان وصلت الى قمة مجدها فى مصر الايوبى * حيث
وفد الى مصر الكثير من المتصوفين . . الذين تصد لهم صلاح الدين يوسف بن ايبوب
بالعناية والرعاية وانشأ لهم دورا عرفت باسم الخانقاه الصلاحية للصوفية المنظمين
للمباداة * (٥)

-
- (١) الشعرائى : الطبقات الكبرى المسماة بلواقع الانوار ج١ ص ١٠٦ -
السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٦٨
 - (٢) الشعرائى : الطبقات الكبرى ج١ ص ١٠٦
 - (٣) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ٢
 - (٤) نيكلسون : السابق ص ١٥٤
 - (٥) القرينى : الخطط ج١ ص ٢٧٤

٢- دور التصريب في نهضة الدراسات اللغوية والنحوية

تأثرت مصر بأنواع الثقافات التي كانت موجودة بمواسم الدولة العربية الاسلامية سواء كانت مكة والمدينة في عهد الخلفاء الراشدين أو البصرة والكوفة في عهد الخلافة العباسية وخاصة فيما يتعلق بالدراسات العربية . ومنذ البداية كان معلوما القرآن والسنة النبوية هم اساتذة العربية الاول بالفسطاط يقول د . شوقي ضيف (انه كان طبيعيا ان تنشط دراسات النحوي في مصر في فترة مبكرة مع العناية بضبط القرآن الكريم وقراءته مما دفع الى نشوء طبقة من المؤدبين كانوا يعلمون الشباب في الفسطاط والاسكندرية مبادئ العربية حتى يحتموا تلاوة الذكر الحكيم واسهم في ذلك العلماء من ائمة القراءات الذين كانت تجذبهم مصر اليها .^(١) وكان اول هؤلاء القراء (عبدالرحمن بن هرمز الاعرج المدني مولى ربيعة بن الطرشان عبدالملك الهاشمي الذي كان احد الحفاظ والقراء . أخذ القراءة عن ابي هريرة وابن عباس وكان يكتب المصاحف ويقرأ القرآن .^(٢) وقد اخذ عن ابي الاسود علم العربية فوضعه بالمدينة .^(٣) وقد خرج الى الاسكندرية وأقام بها الى ان ادركه أجله ومات سنة ١١٢ هـ في ايام هشام بن عبدالملك .^(٤) ولكن تكاد تجع المصادر على (ان كل القراءات في مصر رواية عن نافع بن ابي نعيم . فقيه اهل المدينة السدي بحسب الخليفة عمر بن عبدالعزيز الى مصر ليعلم اهلها قراءة القرآن والسنة .^(٥) .

- (١) شوقي ضيف : المدارس النحوية ص ٣٢٧
- (٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ١١٧ - الذهبى : تاريخ الاسلام ج١ ص ١٩٥ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٩٥ - بغية الوطاء ص ٣٠٣
- (٣) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ١١٧ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٩٥ - بغية الوطاء ص ٣٠٣ - الزبيدى : طبقات اللغويين والنحويين ص ٢٠١ - ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج١ ص ١٥٣
- (٤) السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٢٩٥ - بغية الوطاء ص ٣٠٣ - الزبيدى : طبقات اللغويين والنحويين ص ٢
- (٥) المقرئى : الخطوط ج١ ص ١٤٢ - السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ١٦٦

(١) وكان ورش القرني من أجل تلميذه " فقد انتهت إليه رئاسة الاقراء بالديار المصرية " .

والى جانب ما ساهم به أئمة القراءات فى تعميق آثار اللغة العربية بالفسطاط نبخت طائفة من فقهاء ومحدثى مدينة الفسطاط فى اللغة والنحو ، فقد كان الليث بن سعد عربى اللسان - فصيح البيان - يحسن القرآن والنحو . (٢) " وكان احمد بن صالح - أحد الحفاظ وكان اماما فى القراءات والنحو " . (٣) وكان احمد بن يحيى الوزير بن سليمان التجيبى (١٧١هـ / ٢٥٠هـ) شيخ مبرزاً من شيوخ الفسطاط - حافظاً نحويًا " . (٤) وكان أعلم أهل زمانه بالشعر والادب والغريب وأيام الناس وكان له مجلس عام بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط وقد حارب الشافعى ، أيام حضوره الى الفسطاط ، ولازمه وأخذ الكثير منه " . (٥)

وقد كان للشيوخ الوافىء بن على " الفسطاط " أثر كبير فى تعميق آثار اللغة العربية ، بما كان لهم من ملكات لسانية قوية - ومن أبرز هؤلاء " الامام محمد بن ادريس الشافعى " - الذى كان حجة فى اللغة والنحو " . (٦)

(١) السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ٢٧٧ - ياقوت الحموى : معجم الادباء ج١ ص ١١٨

(٢) السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ١١٨

(٣) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ٥٢ - السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ١١٨

(٤) القفطى السابق ج١ ص ٥٢ - السيوطى : بغية الوعاة ص ١٧٤

(٥) السيوطى : بغية الوعاة ص ١٧٤

(٦) السبكى : طبقات الشافعية ج١ ص ٣٧٤ - ياقوت الحموى : معجم

الادباء ج١٧ - ص ٢٢٩ ، ابن فرحون : الدياج الذهب ص ١٢٦

وكان يحضره روس الشافعي بالمسجد الجامع بالقسطاط طالبوا القرآن
وطالبوا الحديث والفقه والعربية . (١) ومن ائمة اللغة الذين وفوا على القسطاط
 ايضاً " عبد الملك بن هشام الذي كان اماماً في اللغز والنحو والعربية " . (٢) وقد
 كان له مجلس ادبي كبير في جامع عمرو بن العاص بالقسطاط وصار من ائمة اللغة
 والنحو بصر . (٣) وكان للمصريين بمجلس ابن هشام وسيرته فوط غرام وكثير
 رواية . (٤) وقد التقى ابن هشام بالشافعي في المسجد الجامع بالقسطاط
 وقال فيه (لقد طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنه قط . وما سمعته
 تكلم بكلمة الا اعجزها المحتر لا يجد كلمة في العربية احسن منها " . (٥) وكان
 الشافعي يجلس للمعلم . وقد التف حوله المصريون الذين عرفوا قدره . فأخذوه
 استاذاً لهم ، مثل الربيع بن سليمان وسج الخول الذي كان ظالم مصر باللغزية
 وكان الشافعي يقدره لفضله وعلمه يستدعيه الى مجلسه العلمي فيتناقشان ويتناظران . (٦)
 وكان الراغبون في أخذ اللغة يتكلمون على مجلس الشافعي بالقسطاط " قال الزعفراني
 المتوفى سنة ٢٦٠ هـ - احد تلاميذ الامام الشافعي لرجل من رؤسائهم " انكم
 لاتعاطون العلم فلما تختلفون معنا (اي تجلسون) - فقالوا : نسمع لفظة
 الشافعي . (٧)

والنحو بمعناه الاصطلاحى كهلم له اصوله وقواعده الخاصة . لم يكن قد تقرر
 بعد في تلك الفترة (الى نهاية القرن الثاني الهجرى) وانما كانت مسائله تبحث
 في المجالس العلمية الدينية ، وربما كانت تعرض للدارسين اثناء تدريسهم

-
- (١) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٧ ص ٣٠٣
 - (٢) القفطى : انباء الرواه ج ٢ ص ٢١١
 - (٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ - بغية الوطاء ص ٣١٥ - اليافعى :
 مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٨
 - (٤) السيوطى : السابق ج ١ ص ٢٢٨
 - (٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٩٩ - ابن فرحون : الديساج
 المذهب ص ١٣٣
 - (٦) السيوطى : بغية الداه ص ٢٥٢ - سيدة كاشف : مصرفى فجر الاسام
 ص ٢٨٧
 - (٧) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ١٧ ص ٢٩٩ - ابن فرحون : الديساج
 المذهب ص ١٣٤

بالفصاطح العلوم الدينية كالحديث والفقه فيضطرون للوقوف عند ها والمناقشة فيها دون ان يكون لهم كتاب فيها او منهج يلتزمون به * لانه لم يكن للدراسات اللغوية والنحوية في تلك الفترة أثر في مصر * (١)

النحو واللغة في طور الحفظ والرواية :

لم تلبث الدراسات اللغوية والنحوية بمصر ان تطورت في القرن الثالث الهجري على يد أسرة مصرية كان لها اكبر الاثر في وضع اساس علم النحو في مصر * وهي أسرة * بنى ولاء * التي اخذ النحو يأخذ طابعا مستقلا على يد ابنائها وكان رأس هذه الاسرة الوليد بن محمد التميمي المصروف بولاد العبادري المتوفى سنة ٢٦٣ هـ فعلى يد به تكونت المدرسة التي تعد النواة الاولى لدراسة النحو في مصر فتشير كثير من المصادر الى انه كان اول من ادخل علوم العربية الى الفصاطح ولم تكن كسب النحو واللغة تعرف بها قبله * (٢) وكان ولاء بصرى الاصل نشأ بمصر ورحل الى العراق وسمع بها العلماء * (٣) وكانت العراق في ذلك الوقت هي موطن الخلافة في مصر العباسي ولهذا فقد كانت ملتقى الدارسين وكانت تشد اليها رحل العلماء الراغبين في الاستزادة بعلم النحو * وكانت الرحلة وسيلة هامة للاتصال بالعلماء * وكان لاصحاب اللغة مشاركة في الرحلة مثل اصحاب الحديث * (٤) وفي رحلته ذهب لواء العبادري الى المدينة للاخذ عن علماءها ثم عرج على العراق تذكر الرواية التاريخية (ان ولاء كان يأخذ النحويين ورجل من اهل مدينة النبي

-
- (١) محمد كامل حنين : أدب مصر الاسلامية ص ٦٨
 - (٢) القفطي : انباء الرواء ج٢ ص ٣٥٤ - السيوطي : بغية الوطاء ص ٤٠٥ - الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ص ٢٣٣ - شوقي ضيف : المدارس النحوية ص ٣٢٨
 - (٣) السيوطي : بغية الوطاء ص ٤٠٥ - الزبيدي : طبقات اللغويين والنحويين ص ٢٣٣
 - (٤) الرافعي : تاريخ آداب اللغة العربية ج١ ص ٢٤٣-٢٤٤

صلى اللہ علیہ وسلم ولم يكن المدني من الحذاق بالعربية . فسمع ولاد بالخليسل
 بن احد فرحل اليه . فلقبه بالبصره . وسمع منه ولازمه ثم انصرف الى مصر . (١) ويبدو
 ان ولادا قد اصاب في رحلته وحمل علما غزيرا . فعمد انصرافه الى مصر جعل طريقه
 على المدينة ، فلقى معلمه فناظره ، فلما رأى المدني تدقيق ولاد للمعاني وتحليله
 في النحو قال : لقد ثبت بعد هذا الخردل (اي انما كبر دقة منه) (٢) وقد كان
 الذين يرحلون الى العراق يحملون معهم عند عودتهم كتب النحو واللغة حيث
 كانوا يقومون بنقلها وخطها وقراءتها وروايتها على النابهين من طلاب العلم .
 فكان ولادا هو اول من ادخل كتب النحو واللغة الى القسطنطينية بعد ان حذقها ورواها
 باسانيدها عن علماء البصرة . (٣) وكانت رحلة ولاد بداية عهد جديد في الرحلة
 الى العراق امام الملط المصريين اذ ترسموا خطاه واقتفوا اثره . ورحلوا الى مدن
 العراق يستزيدون من العلم والتقوا هناك بشيوخ النحو وعلمائه واخذوا عنهم ثم
 عادوا وهم يحملون ما درسوه وينقلون ما سمعوا ويرزون ما حفظوه وبذلك اتصلت الدراسات
 المستنوية في مصر في زمن مبكر بالدراسات النحوية بالبصرة والكوفة بالعراق (٤)
 وكان " ابو عبد الله محمود بن حسان المتوفى سنة ٢٧٣ هـ - قد تأثر بصورة واضحة
 بالعراقيين - قال ابن يونس في تاريخ مصر : ان ابو عبد الله كان نحويا مجتهدا ،
 وروى عن ابي ذرعة المؤذن وعبد الملك بن هشام (٥) وكان قديما المهدي فوسى
 طريقة اصحاب الخليل كولد وغيره ، وتصدر لافادة هذا الشأن فأخذ عنه ابو الحسين
 بن الوليد ولاد . (٦)

-
- (١) السيوطي : بنية الوطاء ص ٤٠٥ - الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٣٣
 (٢) القفطي : انباء الرواه ج ٢ ص ٣٥٤ - السيوطي : بنية الوطاء ص ٤٠٥
 - الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٣٢
 (٣) القفطي : انباء الرواه ج ٢ ص ٣٥٤ - السيوطي : بنية الوطاء ص ٤٠٥
 الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٣٢
 (٤) شوقي ضيف : المدارس النحوية ص ٣٢٨
 (٥) السيوطي : بنية الوطاء ص ٣٨٧
 (٦) القفطي : انباء الرواه ج ٢ ص ٢٦٤ - السيوطي : بنية الوطاء ص ٣٨٧ -
 الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٣٣

النحو ومكانة النحاة بالقسطنطينية في عصر المؤلفات الملمية :

كانت مصر في القرن الثالث الهجري تفتن بالمديد من اللغويين والنحاة وكان معظم هؤلاء من الوافدين اليها . وكان من أبرز هؤلاء النحاة (ابو علي احمد بن جعفر الدينوري المتوفى سنة ٢٨٩ هـ - احد النحاة المميزين - وهو من اصحاب المؤلفات الادبية النحوية وقد سار كما سلكه في بداية الامر في الاخذ عن المراقبيين ، فقدم البصرة من بلدته دينور ، واخذ عن الطازني وحمل عنه كتاب سيويه (١) ثم دخل بغداد وقرأه على العبد ايضا ثم وفد الى مصر موطنها ، فأستقر بهيها يعلم النحو " (٢) وكان ابو علي الدينوري من اصحاب المؤلفات الملمية فقد ألف كتابا في النحو سماه " المهذب " جلب في صدره اختلاف البصريين والكوفييين - وعزا كل مسألة الى صاحبها . ونقل مذهب البصريين وعول في ذلك على كتاب الاخفش (سعيد بن سعد) وله كتاب مختصر في ضائر القرآن استخرجه من كتاب الممانى للفراء " (٣) وقد تتلمذ على يديه عدد من النحاة في مصر والاندلس ، ومن تلاميذه المصريين محمد بن ولاد ، وعبد الله بن عبد العزيز استاذ يعقوب بن يوسف النجيري " (٤) ومن اخذ عنه من الاندلسيين (محمد بن موسى بن هاشم الافشين القرطبي وقد أخذ عنه كتاب سيويه رواية " (٥)

-
- (١) سيويه هو واضح علم النحو في اظاره الملمى - وعمل كتابه فيه ، ولم يسبق الي مثله احد قبله . جمع فيه كل المعلومات اللغوية والنحوية فسي عصره (ابن النديم / الفهرست ص ٨٢) .
 - (٢) القفطى : انبىاه الرواه جا ص ٣٣ - السيوطى : بغية الوعاة ص ١٣٠
 - (٣) القفطى : السابق جا ص ٣٣ - باقوت المحوى : معجم الادباء جا ص ٢٤٠ - حاجى خليفة : كشف الظنون جا ص ١٠٨
 - (٤) ابن القرض : تاريخ الملوك والرواه للملم بالاندلس جا ص ٢٣٣ - السيوطى : بغية الوعاة ص ١٢٠
 - (٥) السيوطى : بغية الوعاة ص ٣ - الزبيدى : طبقات النحويين ص ٢٣٦

وكان يعاصر ابو علي الدينوري (ابو الحسين - محمد بن الوليد التميمي -
٢٤٨-٢٩٨ هـ) احد النابيين من اسرة بنى ولاد * (١) ويعد محمد بن
الوليد من المصريين * يقول صاحب الاعلام * انه نحوي من أهل مصر مولدا ووفاء * (٢)
وقد اخذ محمد بن الوليد العربية بمصر عن محمود بن حسان وابو علي الدينوري
وغيرهما * (٣) ثم رحل الى العراق واخذ عن الجبرد وثلث له من الكتب كتاب المنق
ولم يصنع فيه شيئا * وينسب اليه خطأ كتاب المقصور والمدود * (٤) وهو لابن
ابي الحباس بن ولاد * وتذكر بعض المصادر ان محمدا هو أول من أدخل كتاب سيويه
الى مصر بعد ان انتسخه من الجبرد * فمئذ رحل الى العراق كلم الجبرد نفسه فسى
نسخه على شى * ساء له فأجابه * فأكمل نسخة وابى ان يعطيه شيئا حتى يقسراه
عليه ففضب الجبرد * وسعى الى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك * فالتجأ
ابن ولاد الى صاحب الخراج بهخداد * وكان يؤدب ولده * فأجابه * ثم السح
على الجبرد حتى أقرأه الكتاب * (٥)

ومن النطة * اصطب المؤلفات الادبية * الذين وفدوا الى القسطنطينية ايضا
(الاخفش على بن سليمان) المتوفى ٣١٥ هـ بهخداد * الذي جاء الى القسطنطينية
سنة ٢٨٧ هـ * وتصدر للتدريس بها وقد أخذ عنه المصريين اللغة * فقد مكث

-
- (١) القفطي : انباء الرواه ج٢ ص ٢٤٤ - السيوطي : بغية الوضاه ص ١١٢ -
الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٣٧
 - (٢) الزركلي : الاعلام ج٢ ص ٩٩٩
 - (٣) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١٩ ص ٩ - الزبيدي : طبقات النحويين
ص ٢٣٤-٢٣٦ - السيوطي : بغية الوضاه ص ١١٢
 - (٤) ياقوت الحموي : السابق ج١٩ ص ١٠٥ - السيوطي : بغية الوضاه ص ١١٢
 - (٥) ياقوت الحموي : السابق ج١٩ ص ١٠٥ - الزبيدي : طبقات
النحويين ص ٢٣٦

بها فترة طويلة — حيث خرج منها سنة ٣٠٠ هـ وقد قيل انه لم يفاد رهسا
الا سنة ٣٠٦ هـ . (١) وكان الاخفش تلميذا للمبرد . وروى عنه كتابه الكامل . (٢)
أحد اركان الادب الاربعة وله من الكتب — كتاب الانواء وكتاب التثنية والجمع
وكتاب الجراء . (٣)

ومن أشهر النحاة الذين قدموا الى الفسطاط وعدوا منها " ابو بكر محمد
بن عبد الله بن محمد بن مسلم — مولى حمير المعروف بالمطش المتوفى سنة ٣٠٣ هـ
قال ابن يونس في تاريخ مصر : انه كان نحويا يعلم اولاد الملوك النحو . (٤) وكان
معلما وقد أم بالجامع الحقيق بالفسطاط . (٥)

ومن اصحاب المؤلفات النحوية الذين جاءوا الى مصر ايضا (محمد بن
محمد ابن الازهرى بن طلحة المعروف بالازهرى اللقى — الاديب (٢٨٢) —
٣٧٠ هـ) وهو صاحب كتاب التهذيب فى اللغة وتفسير مختصر المبنى والتقريب
فى التفسير . (٦) وكان الازهرى عالما بالنحو . اما فى الادب ، جيب
القياس ، صحيح القريحة . (٧)

-
- (١) القفطى : انباء الرواه ج٢ ص ٢٢٧ — السيوطى : بغية الوعاه
ص ١٣
(٢) السيوطى : بغية الوعاه ص ١٣
(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٩
(٤) ابن السيبى : حسن المحاضرة ج١ ص ٣٠٦ — بغية الوعاه
ص ٦٠
(٥) السيوطى : بغية الوعاه ص ٦٠
(٦) السيوطى : السابق ص ٨
(٧) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج١ ص ٢٤٨ — السيوطى : بغية
الوعاه ص ٨

وقد كان استاذا لكثير من المصريين فقد كان مقيط بالديار المصرية . (١) ومن اجل تلاميذه " على بن محمد الهروي المصري - وهو اول من أدخل كتاب الصحاح للجوهري الى مصر ووجد فيه خلافا فهدبه وأصلحه " . (٢)

ولاشك ان وجود هؤلاء النحاة قد اسهم في ازدهار حركة النحو واللغة بالفساط وكان لهم الفضل في شيوع المؤلفات اللغوية والنحوية بها .

الدراسة النحوية بمصر بين التثبيد والتجديد :

تطورت الدراسات اللغوية والنحوية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فقد نضجت العلوم على اختلاف مواضعها وظهرت الكتب الواقفية فسي اكثرها " . (٣) وكان هذا القرن حدا يفصل بين عهدين وطريقتين " . (٤) ونفس هذا القرن تخلص علم اللغة من طريقة الفقهاء وما هجمهم حتى من الناحية الشكلية . وقد شمر ائمة اللغة في القرن الرابع الهجري بالطبعة الى ضريح يشيرون عليه . والى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة " . (٥) ويعتبر القرن الرابع فتحا جديدا في كل من الناحيتين الرئسيتين لعلوم اللغة العربية وهما : النحو وعمل المعاجم " . (٦) وتشير كثير من القرائن الى شيوع اللغة العربية في مصر في القرن الرابع الهجري " . (٧) وقد ظهر بوضوح نفور الناس من اللحن السلي حد ان اعتبر عيبا كبيرا ومن ذلك " ان الفضل بن عباس دخل على كافور فقال له : ادام الله ايام مولانا " بكسر الهميم " فانكر كافور والحاضرون في مجلسه ذلك فقسام رجل من الحاضرين من اوساط الناس ، ولعله النجيري وانشد ممتذرا عن لحن

(١) السيوطي : بغية الوطاء ص ٨

(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١ ص ٢٤٨

(٣) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة المصرية ج ٢ ص ٢٢٠

(٤) متر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ٤١٧

(٥) متر : السابق ج ١ ص ٤١٧

(٦) متر : السابق ج ١ ص ٤١٦

(٧)

اللاحن ، عسى أن يحفو كافسور:

لاغرو ان لحن الداعسى لميدنا .. أوخص من هيبته بالريق اوبهسر
فمثل سيدنا حلت مهابتسه .. بين البليخ وبين القول بالحصر
فان يكن خفض الايام عن د هـش .. من شدة الخوف لا من قلة البصر . (١)

وفي تلك الفترة * اخذت الدراسات اللغوية المصرية تشق طريقها بنفسها
وتقف على قدميها وحدها . وتنافس نظيراتها في سائر انحاء العالم الاسلامي * وظهر
لاول مرة مؤلفون مصريون متفوقون انضمت جهودهم الى جهود الوافدين من البلاد
الاخرى فخلقت حركة لغوية نشيطة اثارنت لليها انتباه العالم الاسلامي كله * . (٢)

وكان اللغويون والنحاة المصريون كثيرين ويتفاوتون من حيث الشهرة وغسزارة
الانتاج الملقى وكان في مقدمة هؤلاء * (كراع النحل - أبو الحسن علي بن الحسن
الهنائي الدوسي الازدي من اهل مصر وتوفى بها سنة ٣١٠ هـ *) (٣) . وكان كوفى
المذهب وقد أخذ عنمن البصريين ومخلط المذهبيين وكان الى قول البصريين
أميل . * (٤) . وكانت كتبه في مصر مرغوب فيها * . (٥) فقد كان كراع النمل مسن
اصحاب المصنفات وله مؤلفات عديدة مثل " المنجد في اللغة " * . (٦) قال القفطى:
" ورأيت جزءاً من كتابه " المنجد " من خطه وقد كتب في آخره " انه اكمل تصنيفاً
وورق في سنة تسع وثلاثائة " * . (٧) وله كتاب مجرد الغريب على مثال الميسر
وهلى غير ترتيبه - وقد ألف في غريب كالمعرب ولغاتهما على عدد حـروف

(١) ابو الصاغن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢ - ميده كاشف : صرفى عصر
الاشهد بين ص ٣٣٣

(٢) احمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ص ٦٢

(٣) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ٢٤٠

(٤) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ٢٤٠ - السيوطى : بغية الوطاء ص ٣٢٣

(٥) ابن النديم : الفهرست ص ١٣١ - السيوطى : السابق ص ٣٢٣

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٠

(٧) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ٢٤٠ - حاجى خليفة : كشف الظنون

الهجاء الثانية والمشرين * (١) * وقد بث كواع النحل في ثنايا كتبه آراءً ناضجة
في كثير من مشكلات علم اللغة وأصوله * (٢)

كان أعظم علماء اللغة والنحو في مدينة القسطنطينية في القرن الرابع الهجري
* أبو المباسم بن ولاد وأبو جعفر النحاس * وكان ابن ولاد * أبو المباسم - أحمد
بن محمد بن الوليد التميمي المصري نحوي مصري وفاضلها وقد أقام بها يفيد ويصنف
الى ان مات سنة ٢٢٢ هـ * (٣) وكان شيخ الديار المصرية مع أبو جعفر النحاس * (٤)
وهو من أسرة بنى ولاد التي استأثر أهلها بعلم اللغة والنحو وقد تتلمذ على علماء
القسطنطينية في أول مراحل حياته * فصعق من أبيه بمصر - ثم رحل الى بغداد فأخذ
عن الزجاج - أبو اسحق إبراهيم بن العسري ولزمه وسمع منه مع أبي جعفر النحاس وكان
الزجاج يفضل على ابن النحاس ويشغى عليه عند من يقدم ببغداد من المصريين - فكان
يقول : * عندكم تلميذ من صفته كذا كذا * فيقال له : أبو جعفر النحاس - فيقول
بل أبو المباسم بن ولاد * (٥)

وقد اشتدت المنافسة بين ابن ولاد هذا ومحاصره أبو جعفر النحاس
فقد كانا دائماً على نفور - وقد حدث ان جمع بعض ملوك مصر بينهما في مناظرة
احتدم فيها النقاش واشتد الضجار * (٦) وكان لابن ولاد مجالسه المليحة
التي يرتادها طلاب العربية * وكان عبدالله بن يحيى بن سعيد الشاعر المصري

(١) ابن النديم : الفهرست ص ١٣ - القفطي : انباء الرواه ج ١ ص ٢٤ -
طحي خليفة : السابق ج ٢ ص ١٨٦

(٢) أحمد مختار عمر : تاريخ اللغاة العربية في مصر ص ٦٣

(٣) القفطي : انباء الرواه ج ١ ص ٩٢ - السيوطي : بغية الوطاء ص ١٦٩ -
سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيد بين ص ٢٤

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨

(٥) السيوطي : بغية الوطاء ص ١٦٩ - الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٢٨

(٦) القفطي : انباء الرواه ج ١ ص ٩٩ - ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ٤

احد من لازموا مجلسه وأخذوا عنه * (١) وكان ابن ولاد على جانب كبير من العلم
بالصربية بصيرا بالنحو خبيرا بأسرار اللفظة ومن بولقاته * كتاب الانتصار لسيويه على
من المؤلفات العلمية فى النحو واللفظة ومن بولقاته * كتاب الانتصار لسيويه على
الجرد * (٢) وهو من احسن الكتب * (٤) وله ايضا * كتاب المقصور والمدود *
وهو مرتب على حروف المصموم ومعالج مشكلات الكلمات المقصورة والمدودة ويذكر طريقة
هجائها ويحصر مفرداتها وكان لابن ولاد آراء تقدمية فى كيفية تقصيد القواعـد
وفى أصول النحو تمتد من أنضج طاقيل فى هذا الموضوع * (٥) وقد تمسـر
هذا الكتاب لنقد المتن (الذى جاء الى مصر فى نهاية النصف الاول من القرن
الرابع الهجرى) — فقد قرئ على المتن فى مجلسه كتاب المقصور والمدود —
فصححه ورد فيه على ابن ولاد اغلاطا * واستشهد عند بعضها * وذلك
سنة ٣٤٢ هـ * (٦)

وتبع من النحويين بالفساط فسى بداية المصر الاخشيدي ايضا * ابو
جعفر النطاس — احمد بن محمد بن اسماعيل المرادى المصرى النحوى المتوفى

(١) السيوطى : بغية الوفاء ص ١٢٢

(٢) السيوطى : المزهر جا ص ٩١

(٣) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٥ نحو تيمور — وقد بدأ الكتاب بمسألة
نصه : (٠٠٠) هذا كتاب نذكر فيه المسائل التى زعم ابوالعباس محمد بن
يزيد ان سيويه غلط فيها — ونبينها وترد شبه التى لفت بها)

(٤) السيوطى : حسن المظاهرة جا ص ٢٨٨

(٥) احمد مختار عمر : تاريخ اللفظة المصرية فى مصر ص ٦٣

(٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان جا ص ٨٢ — القفطى : انباء الرواه جا

ص ١٠٤ — السيوطى : حسن المظاهرة جا ص ٢٢٨ — الزبيدى :

طبقات النحويين ص ٢٣٩ — سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين

ص ٣٤١

سنة ٣٢٨ هـ — الذي ارتحل الى العراق واخذ عن الزجاج والاخفش الاصغر والبرد
ونقطويه * . وحدث رجوع ابو جعفر النطش من العراق تصدر للتدريس بالجامع
بالفسطاط وكان يحضر حلقة ابن الحداد الفقيه الشافعي وكان لابن الحداد الليلة
في كل جمعة يتكلم فيها عنده في مسائل الفقه على طريقة النحو * وكان لا يدع حضور
مجلسه في تلك الليلة * (١) وكان قلمنا حسن من لعانه وكان لا يتكران يمال اهلي
النظر ويناقشهم عما اشكل عليه في تصانيفه وحبب الى الناس الاخذ عنه وانتفع به
خلق * (٢) وكان ابو جعفر واسع العلم كثير التأليف * (٣) قال ابن يونس
في تاريخه : كان ابو جعفر النطش عالما بالنحو طرما وكتب الحديث عن الحسن بن
غليب وطبقته * ولما آتى الى مصر سمع بها من ابي عبد الرحمن النسائي وغيره (٤) *
وتصانيفه تزيد على الخمسين مصنفا * (٥) ومن ابرز مصنفاه * كتاب معاني القرآن
وكتاب أعراب القرآن — وهما كتابان جليلات اغنيا عما صنف قبلهما في معناها * (٦)
ولابن جعفر النطش ايضا كتابا جليلا هو * التناحة في النحو * (٧) ويقول د ١٠ احد
مختار عمر * انه ذو اهمية كبيرة وقد وضع تلبية لطاجة الناشئة وكتب في اسلوب مبسوط
وطريقة سهلة مبسطة * والكتاب يلخص النحو كله في بضع ورقات ويقدم للسداس
المبتدئ * عبارة القواعد النحوية العلمية منحيا جانبا كل ما لا يفيد في تقويمهم

(١) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ١٠١ — الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٤

(٢) السيوطى : بنية الوطاه ص ١٥٧

(٣) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ١٠١ — ياقوت الحموى : معجم الادباء

ج٤ ص ٢٢٤

(٤) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٨٢ — السيوطى : بنية الوعاه

ص ١٥٧

(٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج٤ ص ٢٢٤

(٦) القفطى : انباء الرواه ج١ ص ١٠١ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١

ص ٨٢ — السيوطى : حسن المظاهرة ج١ ص ٢٨٨ — انظر

(٧) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج٤ ص ٢٢٤ — القفطى : انباء الرواه

ج١ ص ١٠١ — ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٨٢ — طنج خليفة

كشف الظنون ج١ ص ٤٠٦

النطق وتصحيح البيان وكل الخلافات اللفظية والمناقشات الفلسفية التي تمتلئ بها كتب السابقين وبعد هذا الكتاب ثورة على الطريقة التقليدية في دراسة النحو العربي . (١)

وهكذا كان لابي جعفر النحاس دور كبير في التجديد في مجال الدراسات اللغوية والنحوية وكانت مؤلفاته تشير الى عدم اقتصره على التأليف والتنقيب والافتداء بالمدرسة المهندادية وانما تجاوز ذلك الى تمثيل هذه الثقافة وضمها ثم اخراجها في صورة مبتكرة .

كانت مدينة القسطنطينية التي عبرت عليها الثقافة العربية ، فسي دراسات النحو واللفظ من الشرق الى الغرب عن طريق النحاة المصريين امثال ابو العباس رابين وولاد ومعاصره ابو جعفر النحاس - فقد كانت تلك المدينة ملتقى الدارسين من بلاد المغرب والانديلس للاخذ عن علماء الضوابع . وكان لهؤلاء الدارسين فضل كبير في رواج المؤلفات النحوية المصوبة في بلاد المغرب والانديلس فقد نقلوها معهم الى بلادهم وحتى نهاية القرن الرابع الهجري كانت بلاد المغرب والانديلس تعتمد اعتمادا كليا في دراسات العربية الاسلامية على مصر . ولم تنفخ تلك الدراسات هناك الا على يد المبعوثين الذين زاروا مصرودرسوا فيها . ثم طردوا الى اوطانهم يدرسون تلك المؤلفات . (٢) ومن اشهر هؤلاء الدارسين فضل الله بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن نجيب الكونى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ من اهل قوطبة ورحل الى المشرق ولقى ابا رابين وولاد وابن النحاس ومصر وسمع منهما . (٣) ومنهم ايضا قاضي قضاة الانديلس منذرين سعيد بن عبد الله البلوطى الذى رحل حاجا سنة ثمان وثلاثمائة وروى بمصر كتاب المين عن ابي العباس رابين وولاد بعد ان يدخل بل عليه ابو جعفر النحاس . (٤)

(١) احمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ص ٦٤

(٢) احمد مختار عمر : السابق ص ٦٤

(٣) ابن الفرضى : تاريخ العلماء والرواه للعلم بالانديلس ج ١ ص ٣٩٦

(٤) القفطى : انباء الرواه ج ١ ص ١٠٢ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١

ص ٨٣ - ابن الفرضى : تاريخ العلماء والرواه للعلم بالانديلس ج ٢ ص ١٤٢ -

الزبيدي : طبقات النحويين ص ٢٠٤

ومن أشهر التلاميذ الآخذين عن علماء الفسطاط " عبد الكبير بن محمد بن (١) سعيد الجزري القزويني - الذي رحل إلى المشرق وسمع بمصر من أبي جعفر الفطس ومن نسخة الأندلس الذين أخذوا عن المصريين أيضا " محمد بن اسحاق بن مندوبين إبراهيم بن أبي عكرمة الداخل إلى الأندلس قاضي الجماعة بقرطبة - رحل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة • فسمع بمصر من أبي جعفر الفطس النحوي وانصرف إلى الأندلس ومات سنة ٣٦٧ هـ • (٢)

(١) ابن الفرضي : تاريخ الملطاء والرواه للعلم بالأندلس ج١ ص ٢٤٩
(٢) ابن الفرضي : السابق ج٢ ص ٨٠ - الزبيدي : طبقات النحويين
ص ٣٣٦

٨- ديوان الرسائل ودوره فنى

تدعيم التصريب فى مصر الاسلامية

كان الشعر يشغل مكانة هامة بين علوم اللسان المصرى السائدة بمد ينفسة
الفسطاط . . الا ان التقدير والاحلال كان للكلام المنشور الى جانب تقدير الشعر ،
وكانت ملكة الخطابة تعتبر شيئا آخر مطلقا للملكة الشعرية . (١)

وكان الانشاء أو الكلام المنشور فى صدر الاسلام مقصورا على مكاتبة الخلفاء
وأمرائهم وقوادهم أو مع سواهم فى طلب حرب أو صلح . . فلما صار الاسلام دولة
تفرعت الكتابة الى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرغ احتياجاتها . كان
اهمها بالنظر الى الانشاء والبلاغة كتابة الرسائل ، وصاحبها يمس كاتب السر ،
وهو يد الخليفة ومستودع أسرار . . (٢) وكانت طريقة كتابة الرسائل مجالا
للتعمير على اظهار صور البلاغة وأساليبها . (٣) التى تعنى على حد قول العلامة
ابن خلدون (مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه - أو بمعنى آخر تركيب
الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعانى المقصوده ومراعاة التأليف الذى يطبق
الكلام على مقتضى الحال ليلغ التكلم حينئذ الفاية من أفادة مقصوده للسامع) (٤)

كان للكتابة والكتاب شأن عظيم فى الدولة الاسلامية منذ أيام الرسول عليه
الصلاة والسلام . . فقد كان على بن ابي طالب ومحمد بن عفاف من كتاب وحسى
النبي (صلعم) كما كان ابي بن كعب وزيد بن ثابت وعلاء بن سعيد بن العاص
ومعاوية بن ابي سفيان يكتبون بين يديه فى حوائج . . وكان المغيرة بن شعبة
والحسين بن نمر يكتبان طبعين الناس . . كما كان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك
مع ما كان يكتبه من وعى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان حنظلة بن الربيع يسن

-
- (١) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٤٢٢
(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ١٢٢
(٣) متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٤٢٦
(٤) ابن خلدون : المقدمة - الفصل السابع والثلاثون ص ٥٥٤ - ٥٦٠

صيفي خليفة كل كاتب من كتاب النبي اذا غاب عن عمله . فطلب عليه اسم الكاتب وكان رسول الله (صلعم) يضع عنده خاتمه . ولما تولى الخلافة ابو بكر الصديق رضى الله عنه كان يكتب له عثمان ابن عفان وزيد بن ثابت وعبدالله بن الارقم وحظلة بيبي — الربيع . وكان يكتب لمصر بن الخطاب زيد بن ثابت . وعبدالله بن الارقم . (١)

ومعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية بعد الفتوحات الاسلامية اتيح الى نظام يضبط امورها وكان عمراول من ندون الدواوين من العرب فى الاسلام . (٢) وربما أخذ هذا النظام من الفرس الذين كانوا قد سبقوا الدولة الاسلامية بزمن وبلغوا من الحضارة شأنا عظيما . فتذكر الروايات انه بعد ان وفد ابو هريرة الى أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب فادما من البحرين بطال كبير . احتار الخليفة فى عبده فأترح عليه احد الاشخاص . فقال : يا أمير المؤمنين قد رأيت هؤلاء الاطعاسم يدنون ديوانا لهم . فقال : دونوا الدواوين . (٣) ومرار الزمن تعددت الدواوين فى الدولة الاسلامية فكان منها ديوان الخراج والجنود والخاتم (انشاء معاوية بن ابي سفيان ثم كبرت وزاد انتشارها فى الدولة العباسية مثل ديوان الاحداث والبريد والزام وديوان الانشاء او الرسائل الذى كان اهل تلك الدواوين من الناحية الادبية وكانت مهمة متولية اذاعة المراسيم والبيانات وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة (٤) وقد استوجبت خاتمة مصر بعد ان تم فتحها على يد عمرو بن العاص واستقرار العرب بها ضرورة وجود مثل هذا الديوان . فقد كانت مصر مقسمة اداريا الى مصر العليا والصعيد ومصر السفلى أو اسفل الارض . وهذان

(١) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٩ و ١٠

(٢) الجهمشيارى : السابق ص ١١

(٣) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ١١ — الديوان فى الاصل كلمة فارسية الجواليقى : المحرب ص ١٥٤) — اما معناه " فهو سجل او دفتر او مجتمع الصحف يكتب فيها اسماء رجال الجيش واهل المطاع " وهو موضع لخط ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيش والعامل .
الماوردى : الاحكام السلطانية ص ١٩١

(٤) حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ص ٢٧٣

القسمان الرئيسيان كانا قسمين أقساما أو كورا • وكان بها ثمانون كورة وهـ هذه
 قصعة الى قرى تبعا لتقسيم الرومان ونظمهم الادارية • • وكان يحكم الكورة ط حسب
 الكورة الذى يعطل تحت اشرافه موظفون • وكانت الامركزية معدومة فى الولايات اى ان
 جميع موظفى الولاية رؤساء الكور تحت سلطة الوالى الذى كان تحت سلطة الخليفة
 مباشرة • ولقد احتاج الامرا الى ان يكون للوالى كتبة كثيرون يستمعين بهم فى
 تحرير رسائله الى مختلف اقسام مصر وكورها والى الخليفة نفسه • ولذا نرى فى آخر
 الرسائل والكتب التى كان يرسلها الولاة اسماء الكتبة الذين كانوا يحرونها مما
 يدل بوضوح على انه كان يصر فى ذلك العهد ديوان رسائله أو ديوان انشاءه (١)
 ويبدو انه كان هناك مراسلا بين القسطنطينية ودار الخلافة سواء فى المدينة أو دمشق
 أو بغداد • ولكن يبدو ان ذلك كان يحيط فى اول الامر وكانت تلك الرسائل
 قليلة محدودة لضعف شأن ديوان الانشاء بالقسطنطينية فى بداية عهد السلالة •
 قال القلقشندى : (• • •) لم يكن لديوان الانشاء بالديار المصرية فى هذه المدة
 صرف نظرية قاصرة عن التشبيه بديوان الخلافة • اذ كانت الخلافة يومئذ
 فى غاية الضعف ورفعة السلطان • ونياية مصر • بل سائر الولايات مضمحلة فى
 جانبها • والولايات الصادرة عن النوايا وتصاغة متضائلة بالنسبة الى ما يصدر من
 ابواب الخلافة • فلذلك لم يقع ما كتب منها ما تتوفر الدواعى على نقله ولا تنصرف
 الهمم لتدوينه • (٢) وربما ترجع ضالة هذا الديوان وعدم قيمته فى اول الامر
 الى ان القاطنين بأمر الدواوين فى تلك الفترة كانوا من الاقباط الذين يعرفون
 لغة اهل البلاد • وظل هذا الامر قائما حتى كانت خلافة الوليد بن عبد الملك
 وكانت ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان فأمر بالديوان فتمت بالحرية وصرف
 الكاتب القبطى " اشناس " وجعل طيبها ابن يبروح القوارى من اهل حمص

(١) سيدة كاشف: مصر فى فجر الاسلام ج ٢٨-٣١ وما ذكرته من المصادر
 القديمة •

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ١ ص ٢٨ - سيد تكاشف : مصر فى فجر
 الاسلام ج ٢٩

سنة ٨٢ هـ . . (١) وكان المصريون المسيحيون قد انتشروا في وظائف البلاد وكان منهم بعض رؤساء الاقاليم حتى عهد عبد العزيز بن مروان " مثل بطريرك الوالى على الصعيد " وحكم مريوط الذى كان يدعى نوافسى — كما كان فى ديوان الحكومة المركزية فى القسطنطينية او حلوان كاتبان قبطيان لادارة مصر العليا ومصر السفلى وهما " اثناسيوس واسحاق اللذين كانا فى عهد عبد العزيز بن مروان " (٢) وقد اقتضت الحاجة العامة فى البلاد قبل تعريب الدواوين ضرورة وجود مثل هذا النظام حتى يتسنى للحاكمين والمحكومين مرحلة انتقالية لتدبير امور الدولة التى كانت لفتها الرسمية " اليونانية " والمعامية القبطية " وتشير اوراق البردى حتى عهد تعريب الدواوين (٨٦ هـ — ٩٦ هـ) فى عهد الوليد بن عبد الملك وولاية عبد الله ابن عبد الملك الى وجود تلك اللغات الثلاثة " اليونانية — القبطية — العربية " والجزء الاول من مجموعة اوراق البردى العربية يشير الى التدريس بتلك اللغات فنجد احيانا نص الوثيقة باليونانية وشرح باللغة العربية ومجموعة اخرى بالعربية والقبطية . (٣) وكانت الكتابات العربية فى معظم هذه الطرز فى تلك الفترة ، لاتتعدى سطرا او سطرين تتضمن " بسم الله الرحمن الرحيم " لا اله الا الله وحده ومحمد رسول الله ثم اسم الوالى او بعض الايات القرآنية . (٤)

كانت أول الرسائل (رسالة عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب بعضها يتصل بالفتح وطلب المدد وبعضها يتصل بوصف البلد وما فيها من مدن . . فكان منها رسالته اليه فى وصف مصر بعد فتحها " . (٥) ووصف

(١) الكندى : الولاة ص ٨٨ هـ ٥٩ — المقرئى : الخطط ج ١ ص ٩٨ — ابو المطمن : النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢١٠

(٢) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ١٩٩ — وما ذكرته من المصادر القديمة

(٣) جروهطان : المرجع السابق ج ١ ص ١١ — ١٢ طراز ٣٢

(٤) جروهطان : المرجع السابق ج ١ ص ١١ — ٢٢

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٥٦ — ابو المطمن : النجوم الزاهرة

ج ١ ص ٣٢ — الصيوطى : حصن القاهرة ج ١ ص ٨٨

الاسكندرية في رسالة اخرى . (١) — كما كتب اليه يصف البحر . (٢)

وكان لولاية مصر الاقوياء كتاب ينوبون عنهم في تحرير الرسائل والكتب لرسائلها الى الولايات المختلفة وقد تهاوا هؤلاء الكتاب أرفع المناصب وصار لهم شأن عظيم في ولاية مصر . فقد كان مجاهد بن جبر مولى بنى نوفل كاتباً في مصر أيام عمرو بن العاص ، وقد استخلفه عمرو على الخراج حينما خرج الى المدينة فسأله عمرو بن الخطاب من استخلفت ؟ فقال : عمرو استخلفت مجاهدا . فقال عمر : نعم كاتب وان القلم ليرفع صاحبه . (٣) وكان وردان الرومي مولى عمرو بن العاص كاتباً له وكان يصرّف اليونانية وهو الذي كتب عهد الامان الذي أعطاه عمرو للمصريين . (٤)

وفي عهد والي الاموي عبد العزيز بن مروان ٦٥٦هـ — ٦٨٦هـ جمعت له الصلاة والخراج ولغت مصر في عهده شأوا عظيما . وقد جمعت له المغرب . (٥) فكثرت مراسلاته واحتاج الى كتاب ينوب عنه في تحرير رسائله فكان له كتاب عد يدون أشهرهم (بناس بن خنابا وكان كاتباً ماهرا من أهل الرعا . (٦) ومن كتّاب عبد العزيز بن مروان ايضاً " ابن رمانه الذي بلغ مكانة عالية عند عبد العزيز بن مروان وجمع ثروة طائلة وقد بنى له عبد العزيز دارا وغرس لهم نخيلهم الذي كان لهم بناحية حلسوان . (٧)

(١) ابن سعيد : المضرب ج١ ص ٣٧ — القرظي : الخطط ج٤ ص ٢٧
(٢) الصعودي : موج الذهب ج١ ص ٢١ — ابن سعيد : المغرب ج١ ص ٣٧ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٢٩
(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٩٣ — الطبري : تاريخ الامم والملوك ج٤ ص ٢٢٩ — القلقشندي : صبح الاعشى ج١ ص ١٣ — ابو المطاسن : النجوم الزاهرة ج١ ص ٢٤ — سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ص ١٧ — ١٨

(٥) الكندي : الولاة ص ٤٨ — ٥٢
(٦) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣٤
(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٣

وفي عهد قرة بن شريك الذي ولي مصر (٩٠-٩٦ هـ) كان لديه عسدد من الكتاب " لان الوالى كان يتعامل مع عماله فى الكور والاقاليم عن طريق الكتابة والمراسلات وكان الكتاب هم الذين يتولون هذه الاعمال . فجدده يرسل كتابا الى عامله فى كورة أشقوه (من اعمال اسيوط يوصيه بدفع الجزية الى جسطال كورتسه والى موازيت القرى " العمدة " . وفى رسالة أخرى يوصيه فيها بالعدل بين الناس والا يفعل شيئا يكرهونه . وفى رسالة ثالثة يأمره بالقبض على المجرمين " . (١) وكان للخصيب بن عبد الحميد كتاب يكتبون عنه (وكان الخصيب امير مصر على الخراج من قبل امير المؤمنين هارون الرشيد وتنسب اليه منية الخصيب بالوجه القبلى " . (٢) وكان جابر بن داود جد البلاذرى يكتب له " . . (٣)

ولم يكن أمر الكتابة قاصرا على الولاة فقد كان العلماء والوجهات يتخذون كتابا يتولون الكتابة عنهم ومنهم من صحب هؤلاء العلماء وصارت له مكانة علمية مرموقة . ومن أبرز هؤلاء " عبد الله بن صالح (المتوفى سنة ٢٢٢ هـ) الذى كان يكتب لليث بن سعد وجيه مصر وطالما " . (٤) وكان عبد الله بن صالح أقرب رجل الى الليث وكان يدخل معه فى ليله ونهاره وفى سفره وحضره ويخلو معه فى أوقات لا يخلو معه غيره " . (٥) وقد استمرت صلة عبد الله بن صالح بالليث بن سعد ما يقرب من عشرين عاما " . (٦)

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٧٠

(٢) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢٠٥

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٢٥٦

(٤) الجهشيارى : المرجع السابق ص ٥٤٥ - السيوطى : طبقات الحفاظ

ج ١ ص ٨٨ - الذهبى : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٦

(٥) ابن سرور المقدسى : الكمال فى أسماء الرجال ج ٢ ص ٢٥٦

(٦) ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٥٨

وكان للقاضي البكري (هاشم بن ابي بكر البكري) الذي ولى قضاء مصر من قبل محمد الامين سنة اربع وتسعين ومائة * (١) اكثر من كاتب مشـمـل احد بن هثع الهذاني من الكوفة * ومحمد بن عميرة النخعي كوفي ايضا * وكان عمرو بن خالد يلزمه ويترسل اليه * وكان ايضا يكتب له * (٢) ويبدو انه كان للقاضي البكري بعض الكتاب الاقباط الذين كانت لهم مكانة في نفسه * فيذكر الكندي عن حديث ليحيى بن عثمان (. .) انه لم يكن احدا * احب الي البكري من ادريس الخولاني ومقارة الكاتب وظالبا ما كان يحضر مجالسه * (٣)

وما ان شارفت الدولة الاموية على نهايتها حتى كانت الكتابة الديوانية قد صار لها اصول وقواعد تقننت ووضعت اصولها على يد احد ممن نهضوا من طائفة كتاب الرسائل بها وهو آخر هؤلاء الكتاب (عبد الحميد بن يحيى المعروف بحميد الحميد الكاتب - كاتب مروان بن محمد آخر الخلفاء الامويين * وقد كان عبد الحميد هذا في بداية حياته محلم صببية يتنقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزمو وهو الذي سهل البلاغة في الرسل * (٤)

وقد اوضح في رسالة موجهة الى الكتاب بيان بما يكون عليه هؤلاء الكتاب من اخلاق وفضائل * وبيان بما كانوا يقومون به وما يلتزمون باداءه من الاعمال منها قوله : (. . .) فجملكم معشر الكتاب في اشرف الجهات * أهل الادب والعزوات والرزانة ونصحهم بقوله : اربوا الاشمار واعرفوا عريبتها وممانيتها وايام الصرب والمعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسموا اليه نفسكم . . .) (٥) - كما نصحهم بالمنافسة في صنوف العلم والادب وبالتفقه في الدين وان يبدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض * (٦) ويبدو ان

(١) الكندي : الولاة والقضاء ص ٤١١-٤١٢

(٢) الكندي : الولاة ص ٤١٥-٤١٦

(٣) المرجع السابق ص ٤١٦

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٦ - ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٢٦

(٥) ابن خلدون : المقدمة ص ٢٤٨ - الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٧٤

(٦) الجهمشيارى : السابق ص ٧٤-٧٥

ديوان الرسائل بمصر قد صار له شأن منذ أواخر عهد الولاة الامويين بمصر
وبداية عهد الولاة العباسيين بها وصار يدمج في ديوان الانشاء او يحرف بديوان
الانشاء وكان متولى هذا الديوان لا يقل شأنه عن القاضي - قال الكندي (٠٠) لما
قدمت المسودة ردوا خير بن نصيم عن القضاء فأتاه عبد الملك بن مروان يخاطم ابمن
عم له فقدم على مقره فقال : قم مع ابن عمك فقال : كأنك وجدت علينا ان صيرناك
كاتبنا بحد القضاء . . . وقام ولم يخاطم وكان عبد الملك بن مروان النصيري قد ولى
خيرا ديوان الرسائل بعد ان كان قاضيا (٠٠) ويشهر المقرزى الى وجود هذا
الديوان وان كان لم يحدد لوجوده تاريخا معيناً - فيقول (٠٠) انه لما كانت
مصر امانة كان بها ديوان البريد ، ويقال لمتوليه صاحب البريد كما كان لبعض
امراء مصر كتاب بنشئون عنهم الكتب والرمائل (٠٠) (٢)

كما يشير القلقشندي ايضا الى وجود ديوان الرسائل ويوضح مدى ارتباطه
بديوان الانشاء - فيقول (٠٠) وكان هذا الديوان " ديوان الانشاء في الزمن المتقدم
يحبر عنه بديوان الرسائل " تسمية له باشهر الانواع التي تصدر عنه لان الرسائل
اكثر الانواع كتابة للانشاء وأعمها (٠٠) (٣)

وصار لهذا الديوان (الانشاء) شأن كبير بمصر ، ونبغ بعض الكتاب
المصريين الذين صار لهم شأن عظيم في ميدان الكتابة الانشائية (فقد كان
غيلان بن مهران بن مسلم الدمشقي كاتباً من أصل مصري وكانت له شهرة واسمعة
وزاعت رسائله . وقد عدّه الكندي من مفاخر مصر وفضائلها . . . وأطلقوا عليه
لقب رئيس البلاغة " (٤) واليه تنسب الفيلافة الذين زعموا ان الايمان

(١) الكندي : الولاة ص ٣٥٦

(٢) المقرزى : الخطط ج٢ ص ٢٦٦

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ج١ ص ٩

(٤) عمر بن محمد الكندي : فضائل مصر ص ٤٢

هو المصرفة الثابتة بالله وقد تولى غيلان سنة ١٥٠ هـ (١) وكان رجال الادب والكتاب يقتحمون من رسائله ويستحيون بها في كتبهم وأحد يشتم (٢) وقد حرص الادباء على الاستحسان برسائله في تنقيح اسلوبهم في الكتابة والترسل ويشير الجهمشيارى الى ما يؤيد ذلك فيقول (٠٠) وقد عبيد الله بن الحسن الهاشمى على المهدي مفضيا عن ذلك فيقول (٠٠) وقد عبيد الله بن الحسن الهاشمى على المهدي مفضيا عن المنصور ومهنتا بالخلافة فتكلم بكلام قد أعده اعجب الناس به واستحسنوه فيلغى ذلك فقال لشبيب بن شبه انى والله ما ألفت الى هؤلاء ولكن سل أبنا عبيد الله عما تكلمت فسأله شبيب فقال له : ما أحسن ما تكلم ولكنه لم يتعد بكلامه ان اخذ مواعظ الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما فأخبر شبيب عبيد الله بذلك فقال له ابوه : فوالله ما أخطأ حرفا ولا تجاوزت ما قال (٠٠٠) (٣)

ديوان الرسائل في العصر الطولونى :

كان حل ديوان الرسائل (الانشاء) في مصر بادي ذى بد مبعين الاضطراب والجمود . حتى ظفر ابن طولون بولاية مصر فأنشأ فيها لنفسه ديوان رسائل وبذلك وجدت الوسيلة لنشوء حركة ادبية تماثل ما نشأ في بغداد حول ديوان الرسائل (٤) فقد كانت الرسائل الديوانية هي مقياس المعرف اللغوى العام (٥) ولهذا كان حظ النثر الفنى أكبر من حظ الشعر (٦)

(١) عرب بن محمد الكندى : فضائل مصر ص ٤٢

(٢) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٤٤١

(٣) الجهمشيارى : المرجع السابق ص ٤٤١

(٤) هوقى ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربى ص ٦٠-٦١

(٥) متز : الحفارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٢٦١

(٦) احمد امين : ظهر الاسلام ص ١٢٢

وكان لقيام ديوان الانشاء بمصر في هذا الوقت أكبر الاثر في حياة النشر الفنى بها لالتحاق الكتاب المهرة به . وكان وجود هذا الديوان دافعا قويا في تنافس كتاب النشر الفنى للالتحاق به مما كان له اعنى الاثر في نهضة النشر الفنى في تلك الفترة . . . ويبدو ان التفكير في انشاء هذا الديوان كان طبيعيا لاستكمال عناصر النهضة بمصر في عصر الطولونيين . وخاصة بعد استقلال ابن طولون بمصر حتى تكون لامارته المستقلة مراسلاتها ولختها الدبلوماسية الخاصة بها . ويشير القلقشندي الى ذلك فيقول (ان احمد بن طولون هو اول من أخذ في ترتيب الملك وأقامة شعار السلطنة بالديار المصرية . ولما شخ سلطانه وأرتفع شأنه أخذ فى ترتيب ديوان الانشاء لما يحتاج اليه فى المكاتب والولايات) . (١)

وقد اشتهر عدد كبير من كتاب الدواوين في عهد الدولة الطولونية مثل " ابن عبد كان " . (٢) و احمد بن محمد الواسطى . (٣) ويعقوب بن اسحاق (٤) و احمد بن ايمن . (٥) . وغيرهم وقد كان أشهر هؤلاء الكتاب وأعظمهم مكانة هو (ابن عبد كان — ابو جعفر محمد بن مودود وكان احمد بن طولون قد أستكتبه فأقام منار ديوان الانشاء ورفع مقدمه . (٦) وقد كان بليغا مترسلا فصيحاً وله ديوان رسائل كبير) . (٧) وقد بلغ من علو منزلته الادبية ان اهل مدينة السلام (بغداد) كانوا يحسدون اهل مصر . عليه ويقولون بمصر كاتب ومحرر ليس لامير المؤمنين بمدينة السلام مثله . . . (٨) . ويعد هذا الامر ذوقا لالة ادبية خطيرة فبعد ان كانت المراق تستأثر بالادباء والكتاب المهرة ، أصبحت

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٩ — النسيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٧٣

(٢) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٨

(٣) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٨٢ — ابن سعيد : المصرب ص ٨٣

(٤) الجهمشيارى : السابق — ابن الداية / المكافأة ص ٢٢

(٥) ابن سعيد : المصرب ص ١٠٩ — وكان ابنا ايمن يكتب للمباسب بن خالد البرمكى

(٦) القلقشندي : صبح الاعشى ج ١١ ص ٢٩

(٧) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠٣

(٨) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٣ ص ١٧

للولايات المستقلة ومنها مصر الطولونية شأن آخر في اجتذاب هؤلاء الأدباء مثل ابن عبدكأن هذا الذي لم تقتصر شهرته الأدبية في كتابة الرسائل على مصر فقط بل تمدتها إلى بلاد الشام — قال ياقوت الحموي (٠٠) ان صاحب بن عباد سأل رجلاً من أهل الشام : رسائل من تقرأ عندكم ؟ فقال الرجل رسائل ابن عبدكأن — قال ومن ؟ قال رسائل الصابن ٠٠ (١)

وقد بلغ من شهرة ابن عبدكأن الأدبية ان صارت رسائله تقاليد يسير عليها الكتاب من بعده ٠ ويتابعوه فيها ٠ (٢) وبعد تقلد ابن عبدكأن ليد يوان الانشاء صار له أثر بعيد في عالم الادب — فكان يقوم باسطحان من يرغب في الالتحاق بيوان الانشاء الذي كان قد بلغ منزلة رفيعة جعلت الكثير من الكتاب العراقيين يتلمسون السبل للالتحاق به ٠ فبهوى ياقوت حد يثا عن ابن زولاق المؤرخ المصري فحواه : " ان ابا يعقوب اسحق بن نصير البغدادي قدم من المراق على ابن عبدكأن ٠ والتص التصرف — فقال ابن عبدكأن فيم تتصرف ؟ فقال في المكاتبات والاجوة والترسل وكان بين يدى ابن عبدكأن كتب قد وردت فقال له خذ هذه واجب عليها فأخذها ومضى إلى ناحية الدار ٠ فأجاب عنها فلما رآها وتأملها الحقه وأجرى عليه اربعين ديناراً في كل شهر فلم يزل معه حتى توفي ابن عبدكأن ٠ (٣)

ومن اشهر رسائل ابن عبدكأن لرسائله التي كتبها احمد بن طولون إلى ابنه العباس اثناء تمرده وخروجه على طاعة ابيه ٠ (٤) بدأها بقوله : (من احمد بن طولون مولى امير المؤمنين إلى الظالم لنفسه الماصي لربه الملم بذنبه

(١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج١ ص ٢٥٨

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٤٧ — القلقشندي : صبح الاعشى

ج ١١ ص ١٦٠ — ١٦٤

(٣) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ٢ ص ٢٢٢

(٤) الكندي : الولاء ص ٢٢٠ — ٢٢٤

الفسد لكسبه العادي لطوره الجاهل لقدرة الناكص على هبته الموكوس في فقتسه المنجوس من حظ دنياه وآخرته . . . (١) يقول الدكتور محمد كامل حسين (ان فس هذا الخطاب تتجلى صورة الكتابة المربية السليمة التي تعأثرت بما كان في مصر من آثار الثقافة اليونانية وآثار الثقافة الاجنبية التي نقلت الى المربية) . (٢)

وان كان ابن عبدك نقد وصل الى مكانة ادبية رفيعة في عهد الدولة الطولونية فكان ذلك واجعا الى اهتمام الطولونيون الزائت بكتابهم ، وقد لمسب بعض هؤلاء الكتاب دورا خطيرا في النزاع والصراع الذي قام بين العباس بن احمد بن طولون ووالده حين تمرد العباس وشق عما الطاعة عن ابيه . وكان كل من احمد بن محمد الواسطي وابن جدار قد لمب دورا بارزا في هذا الصراع - فقد كان الواسطي مختصا باحمد بن طولون - فقد كان رفيقا له قبل تقليده مصر ودخل معه سنة ٢٥٤هـ عند تقلده الحكم فيها) . (٣) كما كان ابن جدار مختصا بالعباس بن احمد بن طولون ووزيرا له) . (٤) ويبدأ تمرد العباس وخروجه على والده حينما عزم احمد بن طولون على فتح الشام . فخرج في جيشه سنة اربع وستين ومائتين واستخلف ابنه العباس على مصر وضم اليه احمد ابن محمد الواسطي مدبرا ووزيرا) . (٥) وكان ابن جدار وطاقفه معه من حرضوا العباس بان ييتمد عن ابيه ويخرج عن مصر . فلما علم الواسطي بذلك كتب الى احمد بن طولون يخبره بذلك وبلغ العباس ذلك فعزم على ما أشار عليه اصطبه وترك العباس الواسطي بمصر مقيدا . . . (٦) ويبدو ان احمد بن طولون كان مقدرًا لاخلص الواسطي له وخاصة في ظروف خروج ولده العباس عليه . فجمله كاتبه الخاص ووزيره وكثيرا

-
- (١) ابن سعيد : المغرب ص ٢٥٠ - القلقشندی : صبح الاعشى ج ٢ ص ٥٠ -
الهلوى : صيرة ابن طولون ص ٢٥٦ - ٢٦٠
(٢) محمد كامل حسين : في الادب المصري الاسلاف ص ٩١
(٣) الهلوى : صيرة ابن طولون ص ٢٣ - ٤٢ - ابن سعيد : المغرب ج ١ ص ٨٣
(٤) الكندي : الولاة والقضاء ص ٢١٩
(٥) الكندي : السابق ص ٢١٩
(٦) الكندي : السابق ص ٢٢٠ - ٢٢١

ما كان يرسله نائباً عنه الى بغداد . (١) — ولم يبلغ الواسطي تلك المعانة بمطسه
أو قدراته الادبية لانه كان ضعيفاً في اللغة ، ليس على دزاية كافية بالثقافة الادبية
الواسعة ، اذا ما قورن بابن عبد كان (وقد كان ككاتب احمد بن طولون يزورون علي
الواسطي ويحكوا عنه ان الفاظه طيبة وانه يغلط في كتبه ويكثر فاللحن فيها) . (٢) ،
وقد أورد البلوي بعضاً من رسائله . (٣)

أما ابن جدار فقد كان أرفع من الواسطي شأنًا ، فقد كان من الكتاب
المتأثرين (قال الصولي عنه : لم يكن يحصر مثله في وقته حسن البلاغة وكانت له
مكتابات كثيرة حسنة) . (٤) فكان قد كتب رسالة الى احمد بن طولون على لسان
ولده العباس حينما خرج على طاعة ابيه . يقال انها أثارت حنق احمد بن طولون
كثيراً على ابن جدار . . . وهي رسالة طويلة تبدأ بـ (. . . الى امير المؤمنين ابي
العباس احمد طولون مولى امير المؤمنين من عبد الله مولى الله المتمسك بطاعة
الله المنحرف عن زيغ ظلم المعصية الى وضوح سر البصيرة القابل من الله موعظته
والعامل بما امر به . ان يقول جل ثناؤه " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين " . . . سلام على الامير وعلى من استرجع وادكر وفكر وازدجر) (٥)
ثم تفيض باقى الرسالة في سرد ما يصفيه كاتبها منها وتوضح كتابته ما ينطوى عليه
أسلوبه في الكتابة — فقد برهنت على طول نفسه وقد رته على الاسترسال والتوسع
في مناقى القول مرة بالترادف ومرة باختراع المعانى . . . مع التفات الى القرآن
أو اقتباس منه . . . (٦)

(١) الجهمشيارى : الوزراء والكتاب ص ٥٤ — البلوى : سيرة ابن طولون
ص ٣٩-٤٢ — ابن سميد : المغرب ص ٢٥١

(٢) البلوى : سيرة احمد بن طولون ٢٤٦-٢٤٧

(٣) البلوى : السابق ص ٢٦٥

(٤) باقوت الحوى : ومجم الادباء ج ٧ ص ١٨٢

(٥) البلوى : سيرة احمد بن طولون ص ٢٥٦

(٦) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ص ٢٦٨

وقد كان لبعض المصريين مكانة أدبية رفيعة خواتهم شرف تلقدهم هذا
الديوان في عهد الدولة الطولونية مثل أسرة بنى المهاجر التي شاركت في ديوان
الانشاء بأكثر من فرد مثل: "الحسن بن محمد بن ابن المهاجر وأخوته
بنو المهاجر علي وأبو القاسم وأبو عيسى" (١) وهم ممن ينتمون إلى عبد الحميد
الكاتب وكانوا من عتبة الذين استوطنوا مصر بعد موقعة القراب" (٢)

وقد كان لأحمد بن طولون أثر كبير في تشجيع أمثال هؤلاء المصريين
على الكتابة والالتحاق بديوان الانشاء رغم مستواهم الأدبي المتواضع إذا ما قورنوا
بأسلافهم ممن تقلدوا هذا الديوان. وكانت غيبة ابن طولون من ذلك توخى ما يحمدهم
عقباه منهم. وتذكر الروايات انه لما استكتب جعفر بن عبد الفخار المصري حينما
أنفذ أحمد بن محمد الواسطي إلى بغداد - اضطرب ولم ينهض بها أسند إليه.
فقال ابن خاقان لأحمد بن طولون صديقه: الامير ايداه الله يحتاج إلى كاتب
أوفى وزنا من هذا الكاتب. فقال ابن طولون: أنا أحتمله وأقنع به لانه مصري.
فقال له ابن خاقان: والامير ايداه الله يرى ان الكاتب المصري أكتب من العراق
وأنهض بها يتولاه. فقال له: أعلم ان أصلح الاشياء لمن ملك بلدا ان يكون
كاتبه منه. فانه يجمع بذلك اشياء تحمد طاعتها منها: ان عيال الكاتب وشملته
وكل ما يملكه معه في بلده ومنها ان جميع ما يكسبه فيه. وان كان ممن يرغب في
تجارة كانت تجارته فيه أوفى شراء عقار أو بناء كان منه وهم مستقرون في خدمته
والكاتب الضريب ليس كذلك لانه يعتقد المستغلات في البلد الثاني عنى وعنه ويعتبطن
الرباع - ومن يشير عليه ان يعمر بلده الذي يحل فيه وهو كذلك في كل حال
متطلع إلى بلده فهذا الذي زهدني في كتاب العراق بما فيهم من الصلابة وثقتهم
في الكتابة" (٣)

(١) D. Zaky Hassan: Les Tulunides, PP. 286 - 287.

الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٤٥-٥٥

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٨٢

(٣) البلوي: اسيرة أحمد بن طولون ص ١٥٦ - ابن سعيد: الضرب جا

يتضح من النص السابق ان احمد بن طولون كان قد زهد في كتاب المراق خشية تعلمهم - ويبدو انه كان لا يأمن جانبهم - فقد كشف خروج المباس عن طاعة ابيه عن تعمد ابن جدار وانضمامه للمباس فقتله ابن طولون وفق الواسطى الى المراق وقتل خما رويه الحسن بن مهاجر . . . (١)

كان ابن طولون يأمن بالكتاب المصريين ، فقد كانوا عند حسن ظنه وكان يشملهم برعايته (فقد كان احمد بن طولون يعجب بالحسين بن مهاجر ومسأل عنه) . (٢) وقد تنجح بن مهاجر بكثير من الخلال الحيدة التي ظلمنا صارت ترفع من قدره - وتذكر الروايات (انه قد جرى ذكر الحسين بن مهاجر في مجلبس ابن عبد كان فقال عنه . عندما طعن عليه الحاضرون : " الصديق اجل ما يؤثر عنه ، فيه فضل وانه لعلى أفضل طريقة . . . وابن مهاجر وقور النفس صتصفر لنصيحة من ينصحه بعيد الخور ، لا يؤثر على تدبير مال صاحبه وعلى ما زين حاله عنه ، شيئا من أعراض الدنيا " . (٣) ولا شك ان اتاحة الفرصة للكتاب المصريين كان له اثر كبير في النهوض بالعلم الفنى بصرف ان كان هؤلاء الكتاب لم يلبثوا مكانة الكتاب المراقين لادبية الا ان وجودهم بدوان الانشاء كان حافزا لهم في اتقان الاساليب الادبية العربية ليبلغوا مكانة هؤلاء الكتاب المراقين .

ديوان الرسائل في عهد الدولة الاخشيدية:

وفي عهد الدولة الاخشيدية نشطت الكتابة الديوانية نشاطا لا يقل عما كان في عهد الدولة الطولونية - فقد كانت رسائل القرن الرابع الهجرى مصفة عامة * وهو القرن الذى كانت تعاصره الدولة الاخشيدية بمصرهى أدق آية من ازدهار

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٨٢-٨٣

(٢) ابن سميذ : المغرب ج ١ ص ١٠٤

(٣) الهلوى : سيرة احمد بن طولون ص ١٤٦

الفن الاسلامي ومادتها هي أنفس ما عالجته يد الفنان وهي اللغة (١) ومصدر
كان أحد ائمة اللغة والنحو وهو " ابو جعفر النحاس " قد وضع كتابا يقدم فيه ألوانا
من الدراسة الواسعة وما يحتاج اليه المشتغلون بها من أدوات وأرشادات وهو كتاب
(صناعة الكتاب) (٢) وقد فقد هذا الكتاب - وأورد القلقشندي نقفا من هذا
المؤلف المفقود يتبين منها ان غاية ما يصبو اليه النحاس في مؤلفه هو سلامة اللغة
والالفاظ حتى تأتي الرسائل كاملة الرواء بينة الاعراب واضحة الاداء . . . (٣) كما
يعرف الكتاب انواع هذه الرسائل بحسب المكتوب اليهم بها وموضوعاتها كما بين مما
يجعل في افتتاح رسائل الامراء وما يلزم ذلك من دعاة وما يجب في الكتابة الي القضاة
والنظرية . وما يحسن الي الابناء والفتيان والنساء . كما بين الفاظ الافتتاح والفاظ
الختام . (٤)

كان هناك عدد من الكتاب في ديوان الاخشيديين ويبدو هذا واضحا حينما
طلب الاخشيد من كتابه ردا على رسالة ملك الروم . فكتب له عدد من كتابه اجوبة
" رسائل " فاختار منها كتاب النجيبى . (٥) ومن كتاب الاخشيد بين محمد بن
عبد الرحمن الروزباري وكان يعاون الفضل بن جعفر بن الفرات (ابن خنزابيه)
كما كان علي بن صالح من كتاب كافور والكاظم الهندادي سهل بن محمد وابو الحسن
ابن جابر وكان يكتب لمبيد الله بن طنج الاخشيد . (٦)

(١) متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص ٤٢٩

(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج٤ ص ٢٢٤

(٣) القلقشندي : صبح الاعشى ج٨ ص ١٢٨-١٤٥

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج٨ ص ١٤٤

(٥) ابن سعيد : المغرب ص ١٦٧ - القلقشندي : صبح الاعشى ج٢ ص ١ -

سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ص ٣٢٥

(٦) ابن سعيد : المغرب ج١ ص ١٨٨-١٨٩

وقد وفد الى الفسطاط احد الكتاب المشهورين ملتحقا بديوان الانشاء وهو
 " على بن محمد بن نصر بن محمد بن سام " الكاتب الذي كان حسن البديهة شاعرا
 طاميا ، أديبا لا يسلم من لسانه أحد ، وهو من أهل بيت الكتابة وله ديوان
 رسائل وتقلد الديوان بمصر . (١)

وكان لبعض هؤلاء الكتاب شأن عظيم في تبوأ أعلى المناصب في مصر ففى
 تلك الفترة " فقد كان على بن محمد المشهور بابن كلا " بوشابة وزير وسفير للاخشيد
 فقد بلغ منزلة رفيعة عنده وكان كاتبه في دمشق قبل ان يتولى مصر فلما استقل
 بمصر ارتفع شأنه في دولته . (٢)

الاصحاح

كان اهم وأعظم هؤلاء الكتاب شأننا في عهد الدولة الاخشيدية (ابراهيم
 بن عبد الله بن محمد النجيري الكاتب وكان لما يعلم العربية . فقد أخذ
 النحو عن الزجاج في العراق وتخرج عليه من المصريين أبو الحسن الصهلب وجناد
 اللغوي) . وأعظم رسائله الكتاب الذي ارسله الاخشيد الى المانوس عظيم الروم
 وكان قد ورد الى الاخشيد كتاب المانوس عظيم النصرانية يفتخرو فيه . ويزعم ان له
 المنقطيه في خطابه اذا جرت عادته الا يخاطب الا خليفة " - فقرأ هذا الكتاب
 على الاخشيد فطلب الى كتابه اعداد رد عليه . وكتب جماعة منهم . ووقع اختيار
 الامير على الرد الذي اعداه النجيري . فأرسله الى حاكم بيزنطة . وقد أعجب
 النجيري نفسه بالكتاب فنسخ منه نسخا وانفذها الى البصرة وأعمالها بفتخري
 بها . (٣) . وهي رسالة طويلة تظهر فيها ثقافة النجيري التاريخية . (٤)

-
- (١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ج ١ ص ١٢٩
 - (٢) ابن اسعدي : المغرب ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٥ - ١٩٠
 - (٣) ابو المطسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦ - السهولى : بغية الوفاة
 ص ١٨١ - سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيد بين ص ٣٢٥
 - (٤) ابن سعيدي : المغرب ص ١٦٢ - ١٧٢ - سيدة كاشف : مصر في عصر
 الاخشيد بين ص ٣٢٥

== مصادر الرسالة ==

- اولا - المصادر الاصلية
 - ثانيا - المراجع العربية الحديثة
 - ثالثا - المراجع الافرنجية المترجمة الى العربية
 - رابعا - المراجع الافرنجية •
-

أولا : المصادر الاصلية

١- ابن الاثير (ابو الحسن على بن ابي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المتوفى سنة ٦٢٠هـ)

أ- اسد الغابة في معرفة الصحابة - ٥ اجزاء - القاهرة ١٩٣٨م

ب- العنبر السائر في أدب الكاتب والشاعر - القاهرة -

١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م

ج - الكامل في التاريخ ١٢ جزء - بولاق ١٢٩هـ

٢- الازرقسي (المتوفى ٢٠٤هـ / ٨١٩م) او (٢١٩هـ / ٨٣٤م) او

(٣٢٢هـ / ٨٣٨م)

- اخبار ركة وما جاء فيها من الآثار - جزآن - المطبعة

الماجدية بمكة ج١ ص ١٢٥٢هـ - ج٢ سنة ١٣٥٣هـ

٣- الاصطخرى (ابراهيم بن محمد المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع

الهجري - النصف الثاني من القرن الماشر الميلادي)

- كتاب مسائل الممالك - ليدن ١٩١٢م

٤- الاصفهاني (ابو الفج - المتوفى سنة ٣٥٦هـ)

- الاظنى - القاهرة (دار الكتب المصرية)

٥- ابن ابي اصيبعة (موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم الخزرجي

المتوفى سنة ٦٦٨هـ)

- عيون الانباء في طبقات الاطباء - جزآن - القاهرة ١٣٠٠هـ

٦- الانصاري (صفى الدين احمد بن عبد الله الخزرجي المتوفى بحد ٢٠٣هـ)

- خلاصة تذهب الكمال في اسما الرجال - القاهرة ١٤٢٢هـ

٧- ابن اياس (ابو البركات محمد بن احمد الخنفي المتوفى ٩٣٠ هـ)
— كتاب تاريخ مصر المعروف باسم " بدائع الزهور في وقائع الدهور "
١٢ اجزاء — القاهرة — بولاق ١٣١٢ هـ — ١٨٩٤ م .

٨- البخاري (محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ)
أ- الجامع الصحيح — مطابع دار الشعب ١٩ اجزاء — القاهرة
١٣٧٨ هـ .
ب- فتح الباري بشرح صحيح البخاري — الطبعة الاولى —
القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٩- البلوي : (ابو محمد عبدالله بن محمد الديني البلوي — المتوفى فسي
القرن العاشر الميلادي) .
— سيرة احمد بن طولون — تحقيق محمد كرد علي — دمشق /
المكتبة العربية ١٣٥ هـ / ١٩٤٠ م .

١٠- البلاذري (ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي
المتوفى ٢٧٩ هـ)
— فتوح البلدان — القاهرة ١٣١٨ هـ — ١٩٥٦ م .

١١- ابن تيمية (ابو العباس احمد بن عبد الحليم)
— مقدمة في اصول التفسير — دمشق / مطبعة الترقى ١٩٣٦ م .

١٢- الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري المتوفى
٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)
أ- بيتمة الدهر — ٤ اجزاء — القاهرة ١٩٤٧ م .
ب- لطائف المعارف — ليدن ١٨٦٧ م .

- ١٣- الجحظ (ابو عثمان عمر بن بحر بن محبوب المتوفى ٢٥٥هـ)
- البيان والتبيين ج ١ - القاهرة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م .
- ١٤- الجرجاني : التمرينات - القاهرة ١٢٨٣ هـ
- ١٥- ابن الجزرى : (شمس الدين محمد بن محمد المتوفى ٨٣٣هـ)
أ - النشرفى القراءات المشرو - دمشق ١٣٤٥هـ
ب - ظية النهاية فى طبقات القراء - نشر برجستراسر - القاهرة
١٩٣٣م .
- ١٦- ابن جلجل : (ابو داود سليمان بن حسان الاندلسى)
- طبقات الاطباء والحكماء
القاهرة - طبع المعهد العلمى الفرنسى - تحقيق الاستاذ /
فؤاد سيد ١٩٥٥م .
- ١٧- ابن جماعة : (بدر الدين بن ابراهيم ابن جماعة المتوفى ٧٢٣هـ)
- تذكرة السامع والمتكلم فى ادب المالم والمعلم
الهند - ١٣٥٣هـ .
- ١٨- الجهشيارى : (ابو عبد الله محمد بن محمد وس الجهشيارى الكوفى المتوفى
(٣٣١هـ / ٩٤٢م)
- الوزراء والكتاب
الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٣٨م .
- ١٩- الجوالقى : (ابو منصور موهوب بن احمد بن محمد الخضر)
- المعرب مع الكلام الاعجى على حروف المعجم
القاهرة ١٩٣٨م .

٢٠- ابن الجوزى (ابو الفرج عبد الرحمن بن طى البغدادي - المتوفى ٥٩٧هـ)

- نقد العلم والعلماء او تلبس باليس

ادارة الطباعة الضخيرة بالقاهرة

٢١- ابن ابي حاتم الرازي (المتوفى ٣٢٧هـ)

- الجرح والتمديد (حيدرآباد ١٩٥٢م)

٢٢- حجبى خليفة (المتوفى ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)

- كشف الظنون عن اسامى الكتب والنون

١٣ اجزاء - استنبول - ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م

٢٣- ابن حبان (محمد بن حبان البستي المتوفى ٣٥٤هـ)

- مشاهير العلماء الامصار - القاهرة - لجنة التأليف والترجمة

والنشر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

٢٤- ابن حجر المسقلاشى (احمد بن على المتوفى ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)

أ - الرحمة الفيثية بالترجمة الليثية فى مناقب سيدنا وولانا

الامام بن محمد - القاهرة - المطبعة الاميرية - ١٣٠١هـ

بولاق

ب - توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس

القاهرة - بولاق ١٣٠١هـ

ج - الاصابة فى تمييز الصحابة - ١٨ جزء / القاهرة -

مطبعة السعادة ١٣٢٣هـ

د - تهذيب التهذيب - الهند ١٣٢٥هـ - طبعة بيروت

١٣٢٥هـ

هـ - الدر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة - حيدرآباد

١٣٤٩هـ

٢٥- الحصرى القيروانى (ابو الحسن على بن عبد الفنى الفهرى المتوفى ٤٨٨هـ /

٠٩٥م)

زهرا لاداب وثمر الالباب - القاهرة ١٩٥٣م .

٢٦- ابن حوقل (ابو القاسم محمد بن حوقل البغدادي المتوفى فى النصف الثانى

من القرن الرابع الهجرى - النصف الثانى من القرن الماسم

الميلادى) .

- كتاب صور قلاوى - القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م .

٢٧- ابن خرداذبه (ابو القاسم عبدالله بن عبد الملك المتوفى ٣٠٠هـ)

- المسالك والممالك - ليدن ١٨٨٩م .

٢٨- الخطيب البغدادي (ابو بكر احمد بن عبدالله بن ابي الخير بن على بن حسن)

- تاريخ بغداد - القاهرة ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م .

٢٩- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد المشربى - المتوفى ٨٠٨هـ / ١٤٠٥ -

١٤٠٦م) .

أ - المقدمة - القاهرة - المكتبة التجارية

ب - المبرود يوان المبتدأ والخبر ج ١ القاهرة ١٢٨٤هـ .

٣٠- ابن خلكان : (ابو المباس احمد بن محمد بن ابراهيم - المتوفى ٦٨١هـ /

٢٨١م) .

- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان - القاهرة

تقيق محمد محى الدين عبد الحميد - الطبعة الاولى - مكتبة

النهضة المصرية ١٩٤٨م - طبعة عيسى البابين الحلبي .

٣١- الخوازيزمي (ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف)

— كتاب مفاتيح العلوم — القاهرة ١٣٤٤هـ — لندن ١٨٩٥م .

٣٢- الداني (ابو عمرو عثمان بن سعيد المتوفى سنة ٤٤٤هـ)

— التيسير في القراءات السبع .

تحقيق اتو برنزل — استانبول ١٩٣٠م .

٣٣- ابن الداية (ابو جعفر احمد بن يوسف المتوفى ٣٤٠هـ / ٩٤١م)

— المكافأة وحسن العقوبى — صححه وضبطه الاستاذ احمد امين بك

وعلى الجارم بك — الطبعة الاولى — القاهرة — المطبعة

الاميرية — ببولاق سنة ١٩٤١م .

٣٤- ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني المتوفى سنة ٨٠٩هـ)

— كتاب الانتصار بواسطة عقد الامهار — بيروت — المكتب

التجارى قسم ١ ج ٤ — بولاق — المطبعة الكبرى ١٣١٠هـ —

١٨٩٣م .

٣٥- الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان المتوفى ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

(١٣٤٨م)

أ — تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام

١٥ جزء — القاهرة — مطبعة السمادة ٣٦٨هـ

ب — تذكرة الحفاظ — طبع حيد راباد / الهند ١٣٢٣هـ

ج — سير اعلام النبلاء / القاهرة ١٩٥٧ / ١٩٦٢م .

د — ميزان الاعتدال في نقد الرجال — القاهرة ١٣٢٥هـ

هـ — الصبر في خبر من غير — الكويت — دائرة المطبوعات

والنشر ج ١ ص ١٩٦٠م .

٣٦- الرازي (ابن ابن حاتم الرازي المتوفى ٣٢٢٧ هـ)
أ- اداب الشافعى ومناقبه / تحقيق الشيخ عبدالغنى عبدالخالق
القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م
ب- كتاب الجرح والتعديل - مطبع المعارف العشانية - حيدر
آباد - بالهند ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م

٣٧- الراغب الاصبهاني (ابو القاسم حسين بن محمد)
- مطبوعات الادباء ومطبوعات الشعراء والبلغاء
القاهرة ١٣٢٦ هـ

٣٨- ابن رستق (احمد بن عمر المتوفى ٣٣٢ هـ)
- الاطلاق النقيصه - لندن ١٨٩١ م

٣٩- ابن رشيقي (المتوفى ٤٦٢ هـ)
- الحمد في صناعة الشعر ونقد - القاهرة ١٩٢٥ م

٤٠- الزيدى (ابوبكر بن الحسن)
- طبقات النحويين واللغويين - القاهرة ١٩٥٤ م

٤١- الزركشى (الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى)
- البرهان في علوم القرآن - الطبعة الاولى - تحقيق ابو الفضل
ابراهيم - دار اجاء الكتب العربية - " مجس الطبى وشركاه " -
القاهرة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م

أى طبعه؟ ولم يرد في الإجازة؟

٤٢- الزركلى (خير الدين)

- الاعلام - القاهرة ١٣٧٣ - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٤ - ١٩٥٩ م

- ٤٣ — ابن زولاق (ابو محمد الحسن بن ابراهيم المتوفى ٣٨٧هـ / ٩٩٧م)
— اخبار مسيوه مصرى — نشر الاساتذة محمد ابراهيم محمد
وحسين الديب — الطبعة الاولى — القاهرة ١٣٥٢ هـ —
٠ (١٩٣٣م)
- ٤٤ — ابن الزيات (ابو عبدالله محمد ناصر الدين محمد لابن عبدالله بن عمر — المتوفى
٨١٤ هـ / ١٤١١ م)
— الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى
والصغرى — القاهرة — الطبعة الاميرية بمصر —
٠ ١٣٢٥ هـ / ١٩٥٧م
- ٤٥ — ساويرس بن القفح (المتوفى فى اواخر القرن الرابع الهجرى)
— سير الالاء البطاركة ٤ مجلدات — هبوع ١٩١٢م /
باريس ١٩١٥م
- ٤٦ — السبكي (تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي — المتوفى
٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م)
— طبقات الشافعية الكبرى — ١٦ جزء — القاهرة — الطبعة
الحسنية ١٣٢٤ هـ
- ٤٧ — السخاوى (الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى
المتوفى ٩٠٢ هـ)
— الاعلان بالتوبىخ لمن دم التاريخ — القدمى مطبعة
الترقى ١٣٤٩ هـ
- ٤٨ — ابن سعد كاتب الواقدى (ابو عبدالله محمد بن سعد — المتوفى ٢٤٠ هـ /
٨٤٥ م)
— الطبقات الكبرى — ١٣ جزء — بيروت ١٣٢٦ هـ / ١٩٥٧م
وطبعة ليدن ١٨ جزء ١٩٠٥ / ١٩٢١م

٩ - ابن سعيد (طى بن موسى المقرئ المتوفى ٦٨٥هـ / ١٢٢٥م)
- المغرب فى طى المغرب - السفر الرابع - ليدن ١٨٩٩م
نشر تالكوست - اكمل تأليف المغرب فى طى المغرب الجزء الاول
من القسم الخاص بمصر وعنى بنشره والتعليق عليه الدكتور
محمد حسن - د - ميدة كاشف - د - شوقى ضيف -
القاهرة / مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م .

١٠ - سعيد بن البطريق (المصروف باسم اوتياظ المتوفى ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)
- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق جزءان فى مجلد
بيروت ١٩٠٥ - مطبعة الاباء اليسوعيين .

٥١ - السمرقندى (ابو الليث نصر بن محمد المتوفى ٣٢٥هـ)
- بستان العارفين - الاسطانة ١٢٩٦هـ .

٥٢ - السلى (ابو عبدالرحمن السلى المتوفى ٢٤٢هـ)
- طبقات الصوفية - المطبعة الاطى / دار الكتاب العربى -
مكتبة الخانجى بصر ١٩٥٣م ^{١٣٧٤هـ} *نور الهدى*

٥٣ - السمانى (ابو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمى السمانى
المرزى - المتوفى ٥٦٢هـ - ١١٦٦م)
- انساب العرب - ليدن ١٩١٢م .

٥٤ - السهلى :

- الروض الانف والمشرح الروى فى تفسير ما اشتمل عليه
حديث السيرة النبوية لابن هشام - القاهرة
بدون تاريخ .

مطبعة الجالية بصر
١٣٤٢هـ
١٩٢٤م

٥٥- السبوطي (الحافظ جلال الدين عبدالرحمن - المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

١- تاريخ الخلفاء - تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد

القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

٢- الاتقان في علوم القرآن - القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م

٣- تحذير الخواص من اكاذيب القصاص - القاهرة

٤- حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة

(المطبعة الشرفية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ - جزآن)

٥- طبقات الحفاظ - تحقيق علي محمد عمر - القاهرة -

الطبعة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

٦- بغية الرواه في طبقات اللغويين والنحاة

القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م

٧- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي - القاهرة ١٩٦٦ م

انطبعة الثانية

٥٦- الشافعي (ابو الحسن علي بن محمد المتوفى ٣٨٨ هـ)

- الك يارات - بغداد ١٩٥١ م

٥٧- الشافعي (ابو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي المتوفى ٢٠٤ هـ بمصر)

١- الام - لاجزاء او ٢ او ٣ القاهرة ١٩٦٩ م

ب- الرسالة / تحقيق الشيخ احمد شاهر - القاهرة ١٣٥٨ هـ /

١٩٤٠ م

ج- احكام القرآن (جمع البيهقي المتوفى ٤٥٨ هـ) تحقيق

عزت المطار - القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م

٥٨- ابن شاکر الکتبی : (المتوفى ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م)

- فوات الوفيات

جزآن - القاهرة ١٢٩٩ هـ

٥٩ - الشمرايى (عبدالوهاب)

- كتاب الطبقات الكبرى المسماه " بلواقح الانوار فى طبقات
الاخبار " او طبقات الشمرايى .
المطبعة الشرفية / القاهرة ١٢٩٦هـ

٦٠ - الشيرازى (ابو اسحق ابراهيم بن طى (المتوفى ٤٧٦هـ)

- طبقات الفقهاء - بغداد - المكتبة العربية ١٣٥٦هـ

٦١ - صاعد بن احمد الاندلسى (المتوفى ٦٤٢هـ)

- طبقات الامم - مطبعة السمادة بصره

٦٢ - طاش كبرى زاده (احمد بن مصطفى)

- مفتاح السمادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم
٣ اجزاء - مراجعة وتحقيق كامل بكرى - عبدالوهاب ابو
النور - القاهرة - دار الكتب الحديثة - مطبعة
الاستقلال الكبرى

٦٤ - الطبرى (ابو جعفر محمد بن جرير المتوفى ٣١٠هـ)

- تاريخ الام والملوك ١١ جزء - القاهرة ١٩٣٩م
ب - جامع البيان عن تاويل آى القرآن - القاهرة -
١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

٦٥ - ابو الطيب : (عبدالوهاب بن على)

- مراتب النحويين واللغويين - القاهرة ١٩٥٥م

٦٦ - الطوسى (السراج)

- اللع بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور
القاهرة ١٩٦٠م

٦٧ — ابن عبد البر القرطبي (أبو عمر يوسف الشافعي ٤٦٣ هـ)

أ — جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله جا
— المطبعة السلفية — المدينة — الطبعة الثانية
١٣٨٨ — ١٩٦٨ م • والطبعة الاولى / القاهرة
ادارة الطباعة المنيرية •

ب — الاستيعاب في معرفة الاصحاب / تحقيق محمد
البيطارى — مطبعة النهضة المصرية — القاهرة
ج — مختصر جامع بيان العلم وفضله • القاهرة — ادارة
الطباعة المنيرية •

٦٨ — ابن عبد ربه الاندلسي (المتوفى ٣٢٢ هـ)

— المقد الفريد — بتحقيق احمد امين وآخريين — القاهرة

١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م • لجنة التأليف والترجمة والنشر

٦٩ — عبد الله بن عبد الحكم (ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢٠٤ هـ)

— سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك ابن انس
برواية ابنه (محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المتوفى
٢٦٨ هـ) •

٧٠ — ابن عبد الحكم (ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى ٢٥٧ هـ)

— فتوح مصر واخبارها — طبعة توري — ليدن ١٩٢٠ م •
مكتبة المثنى ببغداد •

— فتوح مصر والمغرب — لجنة الهيأة المصرية بالقاهرة
١٩٦١ م •

— فتوح مصر واخبارها — المعهد المالى الفرنسى — القاهرة
١٩١٤ م •

٧٦- ابن المبرى (ابو الفرج بن هرون الططى المعروف بابن الصيرى المتوفى

٥٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) .

— تاريخ مختصر الدول — الطبعة الاولى — المطبعة الكاثوليكية

بيروت — لبنان ١٨٩٠م .

٧٢- عرب بن سعد (القرطبي — المتوفى ٣٦٦هـ — ٩٧٦م)

— صلة تاريخ الطبرى — الجزء الثانى عشر من كتاب " الطبرى

— تاريخ الام والملوك — الطبعة الاولى / المطبعة

الحسينية بمصر .

٧٣- ابن عساكر (ابو التاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين

بن عساكر الشافعى المتوفى ٥٧١هـ / ١٩٧٥م) .

— التاريخ الكبير ج١ و٢ و٥ — مطبعة روضة الشام — دمشق

١٣٢٩هـ .

٧٤- ابن العماد الحنبلى (ابو الفلاح عبد الحى بن احمد بن محمد الصالحى

المتوفى ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) .

— شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ٨ اجزاء — القاهرة —

١٣٥٠ — ١٣٥١هـ .

٧٥- المصرى : شهاب الدين احمد بن فضل الله المتوفى ٧٤٢هـ .

— مسالك الابصار فى مسالك الامصار ج١ و٢ — القاهرة —

دار الكتب المصرية ١٣٤٢هـ — ١٩٢٤م .

٧٦- القاضى عياض (المتوفى ٥٤٤هـ)

— ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك /

تحقيق د . احمد بكير محمود — بيروت .

٧٧— الفزالي (الامام ابو حامد محمد بن محمد الفزالي المتوفى ٥٠٥ هـ)
— احيا علوم الدين جا ١ و ٢ و ٣ مطبعة لجنة نشر الثقافة
الاسلامية — القاهرة ١٣٥٦ هـ .

٧٨— الفارابي (الفيلسوف ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي)
— احصاء العلوم — تحقيق د . عثمان امين — القاهرة
— الانجوا المصرية — الطبعة الثالثة ١٩٦٨ م .

٧٩— الفخر الرازي (المتوفى ٦٠٦ هـ)
— مناقب الامام الشافعي — القاهرة ١٢٧٩ هـ .

٨٠— ابو القدا (الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماه المتوفى ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ —
١٣٢٢ م) .
— المختصر في اخبار البشر جا ٢ — القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٨١— ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم ابن علي بن محمد بن فرحون الهمصري
العدني المالكي المتوفى ٧٩٩ هـ) .

— كتاب الديباج المذهبي معرفة اعيان المذهب — الطبعة
الاولى مصر ١٣٥١ هـ (المطابع المشرفة بالقاهرة مصر)

٨٢— ابن الفرضي (الحافظ ابي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي —
المعروف بابن الفرضي المتوفى ٤٠٣ هـ) .

— تاريخ العلماء والرواه للمعلم بالاندلس — ج ١ —

— مكتبة الخانجي — تحقيق عزت الحسيني المطاوع

١٣٧٢ هـ — ١٩٥٤ م .

٨٤ — القابسي (علي بن محمد بن خلف القيرواني المتوفى ٤٠٣ هـ)

— الرسالة المفصلة لحوال المسلمين واحكام المعلمين والمتعلمين

ذيل لكتاب د . احمد فؤاد الالهواني (التعليم في رأسه .

القابسي — القاهرة ١٩٤٥ م)

٨٥ — ابن قتيبة (ابي محمد عبدالله بن مسلم المتوفى ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م أو ٢٢٦ هـ /

٨٨٩ م)

١ — ادب الكاتب — القاهرة ١٣٤٦ م .

٢ — عيون الاخبار — القاهرة ١٩٢٥ م .

٣ — المصارف : طبعة دار الكتب المصرية — القاهرة

١٩٦٠ م .

٨٦ — قدامة بن جعفر (المتوفى ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م أو ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م أو ٣٢٢ هـ /

٩٤٨ — ٩٤٩ م) .

— نقد النضر — القاهرة ١٩٥٩ م .

— نقد النثر — القاهرة ١٩٣٣ م .

٨٧ — القرآن الكريم .

٨٨ — القفطي (جمال الدين علي بن محمد بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الوهاب

المتوفى ٦٤٦ هـ)

أ — مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات المطلقات من كتاب

اخبار العلماء بأخبار الحكماء / بغداد مكتبي المثنى —

مصر — مؤسسة الخانجي .

ب — انباء الرواه على انباء النطة — جزان — القاهرة

١٩٥٠ م — ١٩٥٥ م .

(٧) نشره دار الكتب الأولى ١٩٤٤ و الثاني ١٩٤٦
والثالث ١٩٤٨ والرابع ١٩٤٠ م
والخامس نشره مؤسسة الخانجي ١٩٦٤

٨٩- القلقشندي (ابو الميماس احمد المتوفى ٨٢١ هـ)

— صبح الاعشى في صناعة الانشاء اج ٢ — القاهرة ١٩١٣ — ١٩٢٥ م

٩٠- ابن قيم الجوزية (شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المتوفى ٧٥١ هـ) ولد ^{٧٩١} ~~٧٩١~~

أ — اعلام الموقمين عن رب العالمين — القاهرة ١٣٢٥ هـ — والطبعة

الثانية — مطبعة السمادة بمصر ١٩٥٥ م

بمدارج السالكين — القاهرة ١٩٥٦ م ^{حقيقه محمد حيا مدرسي - السنة المحرم}

٩١- ابن كثير (عماد الدين ابو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى ٥٢٤ هـ)

— البداية والنهاية في التاريخ — طبعة السمادة بمصر — الطبعة

الاولى ١٩٣٦ م

٩٢- الكندي (ابو عمر محمد بن يوسف الكندي — المتوفى ٣٥٠ هـ)

— الولاة وكتاب القضاء — الابهاء اليسوعيين — بيروت ١٩٠٨ م

— ولاة مصر — دار صادر — بيروت ١٣٢٩ هـ / ١٩٥٩ م

٩٣- الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد بن جيب البصري المتوفى ٤٥٠ هـ)

— الاحكام السلطانية والولايات الدينية — القاهرة ١٣٩٣ هـ —

١٩٢٣ م

٩٤- ابو المطاسن (جمال الدين يوسف بن تغري بركي الاثباكي المتوفى ٨٢٤ هـ)

— النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — الاجزاء من ١ : ٤

القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٣٠ م

٩٥- الصمودي (ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المتوفى ٣٤٦ هـ)

أ — مروج الذهب ومعادن الجوهر جا ٢ — القاهرة ١٣٢٢ هـ —

١٩٥٨ م

ب — التبيين والاشراف : القاهرة ١٩٣٨ م

٩٦- المقدسى (المعروف بالبشارى ابو عبدالله محمد بن احمد - المتوفى -

٣٧٥هـ أو ٣٨٨هـ) .

- احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم (الطبعة الثانية -

ليدن ١٩٠٩م) .

٩٧- القرزى (تولى الدين احمد بن على بن عبدالقادر بن محمد المتوفى ٨٤٥هـ)

أ - البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب - تحقيق

د - عبدالمجيد عابدين - القاهرة ١٩٦٦م .

ب - المعاظ والاعبار فى ذكر الخطط والاثار - طبعة

بولاق - جزآن ١٢٢٠هـ - طبعة مؤسسة الطبى

بالقاهرة - جزآن .

ج - انما الخفا باخبار الائمة الفاطميين الخفيا

جا - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م - نسخة اخرى

تحقيق - د - جمال الدين الشيال - القاهرة ١٩٤٨م .

٩٨- ابن النديم (محمد بن اسحق - المتوفى ٣٨٣هـ)

- الفهرست - القاهرة - المكتبة التجارية الكبرى .

٩٩- الحافظ ابو نعيم (احمد بن عبدالله الاصبهانى المتوفى ٤٣٠هـ)

- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء - الطبعة الاولى -

القاهرة ١٣٥١هـ - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٢ / ١٩٣٨م .

١٠٠- النوى : (محى الدين بن شمسرف المتوفى ٦٧٦هـ)

أ - تهذيب الاسماء واللغات - القسم الاول - ادارة الطباعة

المنيرية - بالقاهرة .

ب- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير (مختصر
من كتاب الارشاد لابن الصلاح المتوفى ٦٤٣ هـ - على
هامش الجزء الاول لشرح الكرمانى على البخارى) - القاهرة
بدون تاريخ .

١٠١- التويرى : (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب المتوفى ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ -
١٣٣٢ م) .
- نهاية الارب فى فنون الحرب - الاجزاء ١ الى ٤
القاهرة ١٩٦٣ م .

١٠٢- ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام المتوفى ٢١٣ او ٢١٨ هـ)
- تهذيب سيرة ابن هشام - تحقيق عبد السلام هارون -
دار محمد بمصر ١٣٧٤ هـ - السيرة النبوية - القاهرة
١٩٣٦ م .

١٠٣- اليافعى (عبدالله بن اسعد بن على بن سليمان المتوفى ٧٦٨ هـ)
- مرآة الجنان وعمرة اليقظان - الطبعة الاولى - حيدرآباد
الهند - ١٣٣٧ هـ .

١٠٤- ياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومى - المتوفى
٦٢٦ هـ) .

أ - معجم البلدان ٨ اجزاء - القاهرة ١٩٣٦ م .
ب - معجم الادباء (ارشاد الارب الى معرفة الاديب)
٢٠ جزء ١ - القاهرة ١٢٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

١٠٥- ابن وهب (عبدالله بن وهب بن مسلم القرشى - المتوفى ١٩٧ هـ)
- الجامع فى الحديث جا تحقيق دافيد ويل - مطبعة المعهد انسلمى
الفرنسى بالقاهرة ١٩٣٩ م .

(٧) ضيف دارى صادر وبيروت ١٩٧٤ هـ
١٩٥٥ م

ثانياً - المراجع العربية الحديثة

١- ابراهيم احمد المدوى (الدكتور)
ابن عبدالحكم - رائد المؤرخين العرب - الانجوا المصرية
١٩٦٣م

٢- احمد امين بك:
١- فجر الاسلام ج١ - القاهرة ١٩٤١م
٢- ضحى الاسلام ج٢ - الطبعة الاولى - لجنة التأليف
والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٥٣ - ١٩٣٥م

٣- احمد تيمور باشا:
نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربع (الحنفى
والمالكي والحنبلى وانتشارها عند جمهور المسلمين) القاهرة
دار الكتاب العربى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥م

٤- احمد شلبسى : (الدكتور)
تاريخ التربية الاسلامية - بيروت ١٩٥٤م

٥- احمد عيسى : (الدكتور)
تاريخ البيمارستانات في الاسلام - دمشق ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٩م

٦- احمد فريد الرفاعى (الدكتور)
- عصر المأمون - جز ١ - الطبعة الاولى - مطبعة دار الكتب
المصرية ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧م

٧- احمد فكمبرى:
- مساجد القاهرة ومدارسها ج١ - دار المعارف بمصر ١٩٦١م

والشافعى

٧

- ٨- احمد مختار عمر (الدكتور)
- تاريخ اللغة العربية بمصر - الهيئة المصرية العامة للتأليف
والنشر - القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م.
- ٩- امين الخولسى
- المجددون في الاسلام ١٩٦٥ م.
- ١٠- جرجى زيدان
١- تاريخ آداب اللغة العربية - الاجزاء من ١ : ٣
القاهرة ١٩٣٧ م.
٢- تاريخ التمدن الاسلامى - ج ٣ - القاهرة - دار الهلال
١٩٥٨ م.
- ١١- جواد على (الدكتور)
تاريخ العرب قبل الاسلام - الجزء ١ من ١ الى ٨
المجمع الملى العراقى - ١٣٧ هـ - ١٩٥٦ م.
- ١٢- حسن الياشا (الدكتور)
- الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار - القاهرة ١٩٦٥ م.
- ١٣- حسن الياشا (الدكتور) وآخرين
- القاهرة - تاريخها - فنونها - اثارها (القاهرة - مطبعة
الاهرام التجارية ١٩٧٠ م).
- ١٤- حسن ابراهيم حسن : (الدكتور)
١- تاريخ الاسلام السياسى - الاجزاء من ١ : ٣ القاهرة ١٩٣٥ م.
٢- تاريخ عمرو بن العاص - القاهرة ١٩٢٢ م.

- ٣- تاريخ الدولة الفاطمية - القاهرة ١٩٥٨م .
- ٤- الفاطميون في مصر (وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص
- المطبعة الاميرية بمصر - القاهرة ١٩٢٢م) .
- ١٥- حسن ابراهيم حسن (الدكتور) وعلى ابراهيم حسن
- النظم الاسلامية - القاهرة ١٩٢٩م .
المطبعة
- ١٦- حسن اجعد محمود (الدكتور)
- حضارة مصر الاسلامية في العصر الطولوني
القاهرة ١٩٦٣م .
- ١٧- حسن عبدالوهاب
- تاريخ المساجد الاثرية - طبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٦م .
- ١٨- حسين مؤنس (الدكتور)
- فجر الاندلس (دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي
الى قيام الدولة الطولونية - القاهرة - الشركة العربية
للطباعة والنشر ١٩٥٩م) .
- ١٩- الخربوطلي (الدكتور على حسني)
١- مصر العربية الاسلامية - القاهرة - مطبعة الانجلو ١٩٦٣
٢- الحضارة العربية الاسلامية - القاهرة ١٩٦٢م .
- ٢٠- دائرة المعارف الاسلامية
١- مادة / علم التاريخ (مطبعة الاحمد بالقاهرة ١٣٥٧هـ /
١٩٣٨م)
٢- مادة / ابن عبدالحكم / طبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر - القاهرة ١٩٣٣م .

٢١- دراسات عن ابن عبد الحكم

- اعداد مجموعة من الاساتذة - القاهرة - المكتبة العربية -

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

٢٢- زكى مبارك (الدكتور)

- النشر الفنى فى القرن الرابع الهجرى - جزء ١ - القاهرة ١٩٥٧م

٢٣- زكى محمد حسن (الدكتور)

١- الفن الاسلامى فى مصر جا - القاهرة ١٩٣٥م

٢- مصر والحضارة الاسلامية - القاهرة - ١٩٤٢م

٣- الرحالة المسلمون فى المصور الوسطى - القاهرة ١٩٣٧م

٤- كوز الفاطميين - القاهرة - ١٩٣٧م

٥- فنون الاسلام - القاهرة - ١٩٤٨م

الشيخ

٢٤- ابو زهرة - الدكتور محمد

١- الشافعى - حياته وعصره - آراؤه وفقهه - القاهرة ١٩٣٣م

٢- تاريخ المذاهب الاسلامية جا - دار الفكر العربى

بالقاهرة

٢٥- سعاد باهر (الدكتور)

- مساجد مصر وأولياؤها الصالحين جا المجلس الاعلى

للشئون الاسلامية بالقاهرة

٢٦- السيد عبد العزيز سالم (الدكتور)

١- تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى - الطبعة

الثانية - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٩م

٢- التاريخ والمؤرخون العرب - القاهرة ١٩٦٧م

٢٧ - سيدة اسماعيل كاشف (الدكتورة)

١ - مصرفى عصر الولاة - القاهرة

٢ - مصرفى فجر الاسلام - الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٧٠ م

٣ - مصرفى عصر الاخشيديين - الطبعة الثانية - القاهرة
١٩٧٠ م

٤ - احمد بن طولون (القاهرة) - لجنة التأليف والترجمة والنشر
- القاهرة ١٩٦٥ م

٥ - عبد العزيز بن مروان - القاهرة ١٩٦٧ م

٦ - الوليد بن عبد الملك - القاهرة - المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٢ م

٧ - مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه - الطبعة
الثانية - القاهرة ١٩٧٦ م

٢٨ - شوقى ضيف (الدكتور)

١ - الفن ومذاهبه فى الشعر العربى - القاهرة ١٩٤٣ م

٢ - الفن ومذاهبه فى الشعر العربى - بيروت - ١٩٥٦ م

٣ - المدارس النحوية - القاهرة ١٩٦٨ م

٢٩ - الفيا (الدكتور جمال الدين)

- تاريخ مصر الاسلامية من الفتح العربى الى نهاية العصر

الفاطمى ج ١ دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م

٣٠ - طه حسين (الدكتور)

- مع المتبى - القاهرة ١٩٣٣ م

٣١ - عبد الرحمن بدوى (الدكتور)

- التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية - دراسات لكبار

المستشرقين - الف بينها وترجمها د . عبد الرحمن بدوى - (الطبعة
الثانية - مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٦ م)

- ٣٢- عبد الرحمن زكي (الدكتور)
١- الفسطاط وضاحتها (القطائع والعسكر) القاهرة - دار
المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م.
٢- تراث القاهرة العلمي والفني في العصر الاسلامي - مكتبة
الانجلو المصرية ١٩٦٩م.)
- ٣٣- عبد المزين الدوري (الدكتور)
- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب - بيروت ١٩٦٠م.
- ٣٤- عبد اللطيف حمزه (الدكتور)
- الحركة الفكرية في مصر - القاهرة ١٩٤٧م.
- ٣٥- عبد الله خورشيد الهري (الدكتور)
١- القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الاولى للهجرة -
القاهرة - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧م.
٢- القرآن وعظومه في مصر من ٢٠هـ : ٣٥٨هـ (القاهرة
- دار المعارف)
- ٣٦- علي باشا مبارك
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة - جزآن -
القاهرة ١٣٠٦هـ.
- ٣٧- فيليب حتى (الدكتور)
- تاريخ العرب مطول جزآن (بيروت ١٩٥٨م.)
- ٣٨- محمد الصادق عرجون
- التصوف في الاسلام - منابعه - أطواره - القاهرة ١٩٦٧م.

٣٩ — محمد عبدالعنان

١ — مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية — طبع دار الكتب
المصرية ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.

٢ — مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى — القاهرة
— لجنة التأليف والترجمة والنشر — الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ /
١٩٦٩م.

٤٠ — محمود احمد

— جامع عمرو بن العاص — القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٣م.

٤١ — مراد كامل (الدكتور)

— حضارة صرفى العصر القبلى — القاهرة

٤٢ — مصطفى منير ادهم

— رحلة الامام الشافعى الى مصر — القاهرة ١٩٣٠م.

٤٣ — ولفسون اسراييل (الدكتور)

— تاريخ اللغات السامية — الطبعة الاولى — القاهرة —

مطبعة الاعتماد ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

ثالثا : المراجع الافرنجية المترجمة الى العربية :

- ١- ارنولد (توماس)
- الدعوة الى الاسلام - ترجمة د . حسن ابراهيم حسن
ود . عبد الحميد عابدين واسماعيل النهراوى (القاهرة
١٩٥٧م) .
- ٢- صمزبتشر (أ . ل)
- تاريخ الامة القبطية وكتبتها ٣ اجزاء - ترجمة اسكنسدر
تادرس - القاهرة ١٩٠٠م .
- ٣- بتلر (الفرد . ج)
- فتح الصرب لمصر - تعريب محمد فريد أبو حديد - مطبعة
دار الكتب المصرية بالقاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٥٠هـ / ١٩٣٣م .
- ٤- بروكلمان (كارل)
١- تاريخ الشعوب الاسلامية - تعريب د . نبيه فارس وضير
بمبكي - بيروت ١٩٤٨-١٩٤٩م .
٢- تاريخ الادب العربى الاجزاء من ١ : ٤ تعريب
د . عبد الحليم النجار - القاهرة ١٩٦٢م .
- ٥- بل (هـ . آيدرس)
- حضارة مصر اليونانية الرومانية وعلم اليردى (من الاسكنسدر
الاكبر حتى الفتح العربى) دراسة فى انتشار الحضارة
واضمحلالها - تعريب د . محمد عواد حسين - د . عبد اللطيف
احمد على . (القاهرة ١٩٥٤م) .

٦- جروهان (ادولف)

- اوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية - الاجزاء من (الى ٥
مترجمة د . حسن ابراهيم حسن - القاهرة ١٩٣٤م .

٧- دى كاسترى :

- الاسلام خواطر وسوانح - ترجمة احمد فتحى زغلول - القاهرة
- ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م .

٨- روزنتال (فرائز)

- علم التاريخ عند المسلمين - ترجمة صالح احمد الملى -
مراجعة توفيق حسين - بغداد مكتبة المثنى - ١٩٦٣م .

٩- على بهجت وأبى جبرائيل

- كتاب خبرات القسطنطينية على بهجت ومحمود عكوش -
الطبعة الاولى - القاهرة - دار الكتب - ١٣٤٠هـ / ١٩٢٨م .

١٠- فلهوزن : (يوليوس)

- احزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الاسلام (الخواص
والشيمة) ترجمة د . عبدالرحمن بدوى - القاهرة / مكتبة
النهضة المصرية ١٩٥٨م .

١١- وبل (ولهم)

موجز تاريخ القبط - ترجمة د . مواد كامل - القاهرة

١٢- وهيب كامل (الدكتور)

- ١- استرابون فى مصر (القاهرة ١٩٥٣م)
- ٢- د يودور الصقلى فى مصر (القاهرة ١٩٤٧م)
- ٣- هيروت فى مصر (القاهرة ١٩٤٦م)

١٣- متز (آدم)

- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى - جزان
(ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده - القاهرة ١٣٧٧هـ -
١٩٥٧م) .

١٤- نيكولسون (رينولد)

١- فى التصوف الاسلاص وتاريخه (ترجمها وألف بينهما
وخونها د . ابو الملا غيفى (القاهرة ١٩٤٧م - ١٩٥٦م)
٢- الصوفية فى الاسلام - ترجمة نورالدين شريه (القاهرة
١٩٥١م) .

١٥- هرنشيو :

علم التاريخ (الرسالة السابعة) ترجمه وعلق حواشيه وأضاف
اليه فصلا فى التاريخ عند العرب - د . عبد الحميد المبادى
- القاهرة ١٩٣٧م .

١٦- هوروفتش (يوسف)

- المفازى الاول ومؤلفوها - ترجمه الدكتور حسين نصار -
القاهرة ١٩٤٩م

رابعاً : المراجع الأفرنجية :

- 1) Butler-Alfred, J. :
The Ancient Coptic Churches of Egypt. 2 Vols.,
Oxford, 1884.
- 2) Bevan : History of Egypt under the Ptolemic Dynasty.
- 3) Geswell (K.A.C.) :
Early Muslim Architecture (Umayyads, Abbasids
and Tulunids), Vol.1, 2., Oxford 1932-1940.
- 4) Encyclopaedia of Islam. (Vol.III, Leiden, London, 1936).
- 5) D. Georgy Sobhy Bey :
Lectures in the History of Medicine., Cairo -
Fuad I University Press, 1949.
- 6) Lane-Pool (Stanley) :
A History of Egypt in the Middle Ages, London,
1924.
- 7) Milne, (J. Grafton) :
A History of Egypt under Roman Rule, London, 1924.
- 8) Munier: (Henri) :
L'Egypte Byzantine. (Precis de l'hist. d'Egypte,
T. Vol. II, 1932.
- 9) Quatremère: (Et.) :
Recherches Critique et Historiques sur la langue
et littérature de l'Egypt; Paris, 1808.
- 10) Farag Rofail Farag :
Sociological and moral studies in the field of
Coptic monasticism, Leiden, 1964.
- 11) Gastón Wiet :
Catalogue général du musée Arabe du Caire.
Stèles funéraires, Vol.1: IV; Le Caire, 1932.

12) D. Zaky Mohamed Hassan :

Les Tulunides. Etude de l'Egypte Musulmane
à la fin du ix^e siècle, Paris, 1933.

13) Woolner (H.C.) :

Languages in history and Politics.
